تجليات من سماء الغيبة

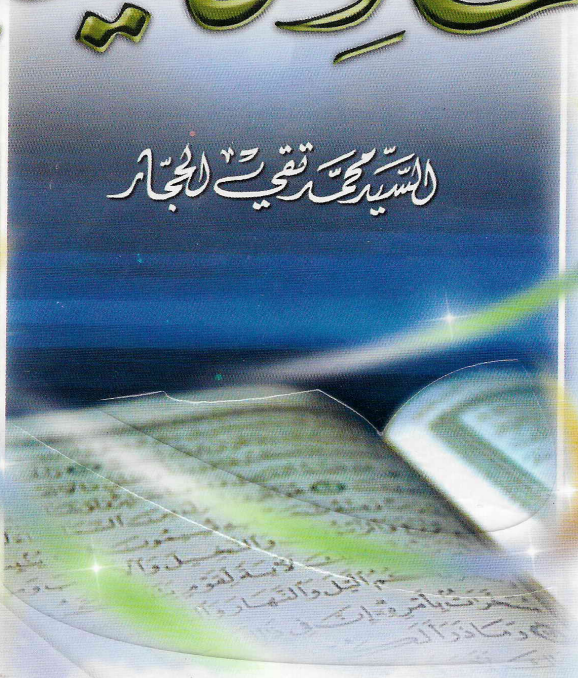

السيد محمد تقي الحجار

دار الحجة البيضاء

تجليات من

سماء الغيبة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

تجليات من سماء الغيبة

السيد محمد تقي الحجار

دار المحجة البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهمَّ لك الحمد على ما أنعمت فأتممت وأعطيت فأجزلت ووفقت فسددت والصلاة والسلام على أشرف خلقك محمد الذي اصطفيته (فكان كما انتجبته سيد من خلقته وصفوة من اصطفيته وأفضل من اجتبيته وأكرم من اعتمدته قدمته على أنبيائك وبعثته إلى الثقلين من عبادك وأوطأته مشارقك ومغاربك وسخرت له البراق وعرجت بروحه إلى سمائك وأودعته علم ما كان وما يكون إلى انقضاء خلقك) وعلى آله الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً (فكانوا هم السبيل إليك والمسلك إلى رضوانك)[1] واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد

لما كانت الإرادة الإلهية متعلقة بهذا الخلق على هذه الصورة التي ركبها الله تعالى في الإنسان وهو على هذا الحال والوجود لا يخرج عن نطاق باقي العوارض المندرجة كل تحت جنسها، ولما كان الإنسان جسماً نامياً متحركاً بإرادة فهو من القسم الثالث من العوارض (الحيوان) كما وأنه بهذه الصفة لا يختلف عنه مطلقاً إلّا من جهة تعلق الإرادة الإلهية به مرة

---

(١) من دعاء الندبة.

أخرى فميزته برتبة العقل وهي زائدة عن رتب الحيوان فأصبح لهذا المخلوق عنوان آخر إن تحقق المائز، وإلّا بقي على أصله لا يخرج عن حده وعليه يكون العقل برزخاًبينهما والعبور إلى الضفة الأخرى لا يكون إلّا بالانقياد للعقل الذي أطاع الأمر وانقاد إليه فأمر الإنسان بتصديق اطاعته وهذا منتهى العبودية حيث يكون العبد مصداقاً من خلال متعلقاته؛ ولكن إذا تحركت الحيوانية في الإنسان ابتعدت الروح عن مسار الإنسانية.كما وأن للعقل العملي آثاراً مستبانة في سمات المجتمع من خلال الإنسان نفسه وبغياب العقل العملي يتسم المجتمع بضده ويتحرك الإنسان فيه بلا إنسانيته لانعدام الطاعة (التي هي العقل العملي) لا انعدام معرفتها لأن الكثير منا يعرف الصواب وضده لكن طغيان الضد على الأفعال يخلّف ريناً على القلب يمنع من تحقق الصواب.

فيكون العمل بالضد أسهل على النفس لقربها منه، كما وأنها موجودة لكن تحصيلها لا يحتاج إلى بذل الجهد العالي وهو السعي والمشقة وإنما بالمعنى الواطئ وهو التبصر في الأحكام الخمسة كل بحسبه حيث إن للأحكام الخمسة أُطراً ثلاثة رسمها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله في إحدى خطبه: إن الله تبارك تعالى حدَّ حدوداً فلا تعتدوها وفرض فرائض فلا تنقصوها وسكت عن أشياء ولم يسكت عنها نسيانا فلا تتكلفوها رحمة من الله لكم فاقبلوها ثم قال: حرام بيّن وحلال بيّن وشبهات بين ذلك فمن ترك من اشتبه عليه من الإثم فهو لما استبان له أترك والمعاصي حمى الله عزَّ وجلَّ فمن يرتع حولها يوشك أن يدخلها[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: (إنما الأمور ثلاثة أمر بيِّن رشدُه فيتبع وأمر بيِّن غيُه فيجتنب وأمر مُشكِل يُردُ علمه إلى الله وإلى رسوله، قال

---

(١) عوالي اللآلي.

رسول الله ﷺ: حلال بَيِن وحرام بيِن وشبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم ثم قال في آخر الحديث فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات)[1].

وهذا الرسم هو عين النجاة، فإنّ معرفة الحلال يوجب إتباعه ومعرفة الحرام يوجب تركه وعدم معرفتهما أو أحديهما تكون شبهة لا يعلم منشؤها من الحلال هي حتى يعمل بها أم من الحرام حتى تترك لأنّ المكلف مأمور بالامتثال للأوامر والكف والامتناع عما يغاير قوام إنسانيته فتكون الشبهة موجبة للتعارض بينهما الموجب لترك العمل حتى يحصل الدليل حيث إن في مثل هذا الحال لا أقوائية إلّا لدليل التوقف.

جاء في الكافي أن حمزة بن الطيار عرض على أبي عبد الله الصادق عليه السلام بعض خطب أبيه عليه السلام حتى إذا بلغ موضعاً منها قال له: كف واسكت ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: لا يسعكم فيما ينزل بكم مما لا تعلمون إلّا الكف عنه والتثبت والرد إلى أئمة الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد ويجلوا عنكم فيه العمى ويعرفوكم فيه الحق قال الله تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

ولما كان التوقف فعل الحيران والحياة لا توقف فيها لانعدام الحيرة في دستورها قال تعالى:

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[3] فما كان للإنسان إلّا العمل إما بمقتضى الحيوانية فيأتي قوله تعالى:

---

(١) تهذيب الأحكام ج٦ ص٢٦٠.
(٢) الكافي.
(٣) يس ٤٠.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

وإما بمقتضى العقل فيكون قوله تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[3].

فإن اخترنا هذا نجد أن لكل إمام دوراً في التوجيه لأجل قدح الخير في النفوس فتستضيء بهداه، من جهة وكشف مزالق النفس لكي تتخلى عن أوهامها التي تجعلها مصداقاً من مصاديق المستدرجين الذين تتوالى عليهم النعم من دون أداء شرطها ومقومها وهو الشكر ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[4] (بالشكر تدوم النعم)[5] وسنورد ما يتعلق بالاستدراج من مضامين بما يسعه البيان في محله إن شاء الله.

ومن هذا الهدى، كان خاتم المعصومين (روحي له الفداء) قد جعلنا تحت رعايته ونظره الشريف مبيناً لنا آفات زماننا التي بها ومنها البلاء؛ فبيَّن لكل شريحة من شرائح المجتمع دورها الكفيل بنجاتها، فأخذ في الدعاء مبيّناً سبل الضلال بذكر سبيل النجاة مع مفتاح الخير للكل. بين التكليف وزمن الغيبة: عندما تستحدث مسألة أو يدلهم خطب أو تختلف الآراء

---

(١) الأعراف: من الآية ٨٥.
(٢) الحشر من الآية ٧.
(٣) النساء الآية ٥٩.
(٤) إبراهيم آية٧.
(٥) غرر الحكم ص٢٧٨.

وتضيع حقيقة الأحكام، فما كان على المسلم أو الموالي إلّا شدّ الرحال وقطع المسافة حتى يصل إلى كهف الورى ووارث علوم الأنبياء عليهم السلام كما أنهم المظهرون لأمر الله ونهيه، فيحل بحضرته المشكل ويزال النقاب عن المبهمات.

وهذا ديدن الناس في الزمن الذي كان المعصوم بين ظهرانيهم ومن عاند واستكبر فلا يلومن إلّا نفسه ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾[1] فكان من الصنف الأول قليل، ومن الصنف الثاني الكثير الكثير حتى تكثر ظلمات الدنيا بسبب انحرافهم عن جادة الحق فانعدم منهم شكر وجود الإمام حتى سلبهم الله تبارك وتعالى تلك النعمة العظيمة قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾[2] فغياب الإمام صاحب العصر والزمان - وان كان هذا الغياب لا يسلب الحصانة التي جعلها الله تعالى في شخص النبي أو الإمام لتكون مانعاً من نزول السخط أو العذاب وإنما فقط سلب التوفيق لأنّ النواظر تشبعت بالحرام فلم يعد عندها الاستعداد والقابلية على التشرف بالنظر إلى نور الله في الأرض والسباحة في فيوضات الولاية.

ولأجل أن لا نلتحق بهم فيعمنا سوء توفيقهم علينا أن نعمل لنيل رضاه روحي فداه وهو تفعل الأحكام التكليفية الخمسة في النفس عن أبي أسامة قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام لأودعه فقال لي: يا زيد ما لكم وللناس قد حملتم الناس علي والله ما وجدت أحداً يطيعني ويأخذ بقولي إلّا رجل واحد رحم الله عبد الله بن أبي يعفور فإنه أمرته بأمر وأوصيته بوصية فاتبع قولي

---

(١) الكهف: ٢٩.
(٢) الأنفال ٣٣.

وأخذ بأمري والله إن الرجل منكم ليأتيني فأحدثه بالحديث لو أمسكه في جوفه لعز وكيف لا يعز من عنده ما ليس عند الناس يحتاج الناس إلى ما في يديه ولا يحتاج إلى ما في أيدي الناس فآمره أن يكتمه فلا يزال يذيعه حتى يذل به عند الناس ويعير به قلت جعلت فداك إن رأيت كف هذا عن مواليك فإنه إذا بلغهم هذا عنك شق عليهم فقال: إني أقول والله الحق وإنك تقدم غداً الكوفة فيأتيك إخوانك ومعارفك فيقولون ما حدثك جعفر فما أنت قائل؟ قال أقول لهم ما تأمرني به لا أقصر عنه ولا أعدوه إلى غيره قال اقرأ من ترى أنه يطيعني ويأخذ بقولي منهم السلام وأوصيهم بتقوى الله والورع في دينهم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول السجود وحسن الجوار فبهذا جاء محمد وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها من برٍّ أو فاجر فإن رسول الله كان يأمر برد الخيط والمخيط صلوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل هذا جعفري فيسرني ذلك وقالوا هذا أدب جعفر وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره والله لقد حدثني أبي أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي رضوان الله عليه فكان أقضاهم للحقوق وأداهم للأمانة وأصدقهم للحديث إليه وصاياهم وودائعهم يسأل عنه فيقال من مثل فلان فاتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً جروا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح فإنه ما قيل لنا فما نحن كذلك لنا حق في كتاب الله وقرابة من رسول الله وتطهير من الله وولادة طيبة لا يدعيها أحد غيرنا إلّا كذاب أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي فإن الصلاة عليه عشر حسنات خذ بما أوصيتك به وأستودعك الله[1].

---

(١) مشكاة الأنوار ص٦٥.

وعليه يكون هذا عين التكليف في زمن الغيبة.

وهذا الدعاء ذو مضامين وإشارات عالية، ويعدّ دساتير التكليف في زمن الغيبة، وكيف لا وهي صادرة من علة التكوين والإيجاد، ومع هذا فإن كل من يشمله الخطاب يفهمه بحسبه وينهل منه بقدره؛ والعذر من ذوي الأفهام، فهم يدلون بغير دلوي وسعة نهلهم أعمق من نهلي؛ كما والعذر من أمثالي فإنّ أخطأت التعبير فذاك حد استيعابي.

ولشدة تأثري بهذا الدعاء المبارك ويقيني بأنه (عجل الله فرجه الشريف) ينظر لنا نظرة رحمة وعطف برغم كل ما يصله منا من أذى؛ وإن دوام ما يصله منا ساعد على حجبه عنا(يعز عليّ أن أرى الخلق ولا تُرى)[1] فزال عنا أهلية التشرف بالنظر إلى وجهه الجامع لكل الوجوه؛ فإنه بقية الله في أرضه (اللَّهمَّ أرني الطلعةَ الرشيدة والغرة الحميدة وأكحل بصري بنظرة مني إليه وعجّل فرجه وسهل مخرجه)[2].

وإليك الدعاء معروض على الروايات لبيان مضامينه كي تتضح جوانب السلب والإيجاب في مسيرة حياتنا. واعتمدنا في أغلب الفقرات على الاختصار قدر الإمكان حتى لا تضيع الفكرة.

---

(١) دعاء الندبة.

(٢) دعاء العهد.

الدعاء

(اَللّهُمَّ ارْزُقْنا تَوْفيقَ الطّاعَةِ وَبُعْدَ الْمَعْصِيَةِ وَصِدْقَ النِّيَّةِ وَعِرْفانَ الْحُرْمَةِ وَأَكْرِمْنا بِالْهُدى وَالْاِسْتِقامَةِ وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنا بِالصَّوابِ وَالْحِكْمَةِ وَامْلَأْ قُلُوبَنا بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَطَهِّرْ بُطُونَنا مِنَ الْحَرامِ وَالشُّبْهَةِ وَاكْفُفْ أَيْدِيَنا عَنِ الظُّلْمِ وَالسَّرِقَةِ وَاغْضُضْ أَبْصارَنا عَنِ الْفُجُورِ وَالْخِيانَةِ وَاسْدُدْ أَسْماعَنا عَنِ اللَّغْوِ وَالْغيبَةِ وَتَفَضَّلْ عَلى عُلَمَائِنا بِالزُّهْدِ وَالنَّصيحَةِ وَعَلَى الْمُتَعَلِّمينَ بِالْجُهْدِ وَالرَّغْبَةِ وَعَلَى الْمُسْتَمِعينَ بِالْاِتِّباعِ وَالْمَوْعِظَةِ وَعَلى مَرْضَى الْمُسْلِمينَ بِالشِّفَاءِ وَالرّاحَةِ وَعَلى مَوْتاهُمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَعَلى مَشايِخِنا بِالْوَقارِ وَالسَّكينَةِ وَعَلَى الشَّبابِ بِالْاِنابَةِ وَالتَّوْبَةِ وَعَلَى النِّسَاءِ بِالْحَيَاءِ وَالْعِفَّةِ وَعَلَى الْأَغْنِيَاءِ بِالتَّواضُعِ وَالسَّعَةِ وَعَلَى الْفُقَرَاءِ بِالصَّبْرِ وَالْقَناعَةِ وَعَلَى الْغُزاةِ بِالنَّصْرِ وَالْغَلَبَةِ وَعَلَى الْأُسَرَاءِ بِالْخَلاصِ وَالرّاحَةِ وَعَلَى الْأُمَرَاءِ بِالْعَدْلِ وَالشَّفَقَةِ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ بِالْاِنْصافِ وَحُسْنِ السّيرَةِ وَبارِكْ لِلْحُجّاجِ وَالزُّوّارِ فِي الزّادِ وَالنَّفَقَةِ وَاقْضِ ما أَوْجَبْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ)[1].

---

(١) عدة الداعي.

من أخبار ذي القرنين

انطلق ذو القرنين يسير في البلاد حتى مرَّ بشيخ يقلب جماجم الموتى فوقف عليه بجنوده

فقال له: أخبرني أيها الشيخ لأي شيء تقلب هذه الجماجم؟

قال: لأعرف الشريف من الوضيع والغني من الفقير فما عرفت وإني لأقلبها منذ عشرين سنة.

فانطلق ذو القرنين وتركه فقال: ما عنيت بهذا أحداً غيري !!

فبينا هو يسير إذ وقع إلى الأمة العالمة من قوم موسى الذين يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ فلما رآهم قال لهم: أيها القوم أخبروني بخبركم فإني قد درت الأرض شرقها وغربها وبرها وبحرها وسهلها وجبلها ونورها وظلمتها فلم ألق مثلكم فأخبروني ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟

قالوا: فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا !!

قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟

قالوا: ليس فينا لص ولا ظنين وليس فينا إلّا أمين !!

قال: فما بالكم ليس عليكم أمراء؟

قالوا: لا نتظالم !!

قال: فما بالكم ليس بينكم حكام؟

قالوا: لا نختصم !!

قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟

قالوا: لا نتكاثر !!

قال: فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون؟

قالوا: من قبل أنا متواسون متراحمون !!

قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟

قالوا: من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا !!

قال: فما بالكم لا تستبون ولا تقتلون؟

قالوا: من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم وسسنا أنفسنا بالحلم !!

قال: فما بالكم كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة؟

قالوا: من قبل أنا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضاً!!

قال: فأخبروني لِمَ ليس فيكم مسكين ولا فقير؟

قالوا: من قبل أنا نقسم بالسوية!!

قال: فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ؟

قالوا: من قبل الذل والتواضع !!

قال: فلِمَ جعلكم الله عزَّ وجلَّ أطول الناس أعماراً؟

قالوا: من قبل أنا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل !!

قال: فما بالكم لا تقحطون؟

قالوا: من قبل أنا لا نغفل عن الاستغفار !!

قال: فما بالكم لا تحزنون؟

قالوا: من قبل أنا وطنا أنفسنا على البلاء فعزينا أنفسنا !!

قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات؟

قالوا: من قبل أنا لا نتوكل على غير الله عزَّ وجلَّ ولا نستمطر بالأنواء والنجوم !!

قال: فحدثوني أيها القوم هكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟

قالوا: وجدنا آباءنا يرحمون مسكينهم ويواسون فقيرهم ويعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويستغفرون لمسيئهم ويصلون أرحامهم ويؤدون أمانتهم ويصدقون ولا يكذبون فأصلح الله لهم بذلك أمرهم !!!! فأقام عندهم ذو القرنين حتى قبض وكان له خمسمائة عام[1] .

---

(١) بحار الأنوار ط٤ ج١٢ باب٨ مؤسسة الوفاء _ بيروت.

اَللّٰهُمَّ ارْزُقْنا تَوْفيقَ الطّاعَةِ وَبُعْدَ الْمَعْصِيَةِ

إن أول ما ينقدح في الذهن من لفظة الرزق، هو رزق الأموال لما لها من أثر في نفوس الأغلب الأعم منا كما وأنها تحتل مساحة واسعة من الأذهان بل تشغل تمام حيز النفس لأن كل أنفاسنا تشهق وتزفر في الأموال وتتحرك في مدارها. فالواحد منا ينظر إلى الدلاء أي دلو يدلي أكثر حتى ينزع بكله نحوه بغضّ النظر عن مورده وإيراده.

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[1] وجاء في الوحي القديم: (يابن ادم خلقتك من تراب ثم من نطفة فلم أعِ بخلقك أو يعييني رغيف أسوقه إليك في حينه)[2] وقال الرسول الأكرم ﷺ: (لا تتشاغل عما فرض عليك بما قد ضمن لك فإنه ليس بفائتك ما قد قسم لك ولست بلاحق ما قد زوي عنك)[2].

وقال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: (لكل ذي رمق قوت ولكل حبة آكل)[3].

---

(١) العنكبوت: ٦٠.

(٢) عدة الداعي.

(٣) أعلام الدين ص ٣٤٤.

قال عليه السلام أيضاً: (فيما وعظ به لقمان ابنه أنه قال: يابني ليعتبر من قَصُر يقينه وضعف تعبه في طلب الرزق إن الله تعالى خلقه في ثلاثة أحوال من رزقه وآتاه رزقه ولم يكن في واحدة منها كسب ولا حيلة إن الله سيرزقه في الحالة الرابعة أما أول ذلك فإنه كان في رحم أمه يرزقه هناك في قرار مكين حيث لا برد يؤذيه ولا حر ثم أخرجه من ذلك وأجرى له من لبن أمه يربيه من غير حول به ولا قوة ثم فطم من ذلك فأجرى له من كسب أبويه برأفة ورحمة من قلوبيهما حتى إذا كبر وعقل واكتسب ضاق به أمره فظن الظنون بربه وجحد الحقوق في ماله وقتر على نفسه وعياله مخافة الفقر)[1].

ولهذا أول ما ابتدأ (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه) بالدعاء بالرزق أولاً لتحفيز الجوارح عسى أن تتوجه إلى باقي المضامين فتعيها وثانياً لأن التوفيق للطاعة أول مدارج الكمال.

وقد أكون متجرياً عند البعض، بل سيئ الأدب عند الآخر؛ لكن لو تصفحت المجتمع بمختلف طبقاته وبأحواله، ستجد من يبتاع الحرام ويخادع نفسه أنه يشتري بأمواله ظنّاً منه أنها من حلال، وقد غفل أن الحلال لا يلقح إلّا حلال. وآخر محسوباً على أهل العلم يأكل اللحم المستورد من بلاد الكفر ويعتبر بسوق المسلمين ؟! وآخر يتعامل بالضمائر لفقده رأس مال ضميره، بنشر صورة لمسيخ، أو دعاية لكنيف، أو مقال لطلحة، أو يكون مزمار ابن العاص يزمر لمعاوية في المحافل. فأراد الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن نثوب من تقوقعنا ونصحوَ من غفلتنا ونتفهم واقعنا بأن المناط بنا هو غير ما نسعى له، وفي هذه الفقرة أشارة إلى أن الرزق المحمود هو ليس الرزق المادي لأنه مكفول منه سبحانه وتعالى ومنحه بعد طلبه زيادة فضل، وإنما المأمول هو السعي لتحصيل رزق توفيق الطاعة.

---

(١) أمالي الصدوق ص٣٢٠.

ما هو التوفيق؟

والتوفيق من جهة اللغة هو: التسديد وإلهام الخير، ولكن من جهة التحصيل الفعلي يمكن أن نسأل: مَن المُسَدّدْ؟ ومَن المُلهَم؟ وكيف يكون تصديق المعنى اللغوي في النفس فضلاً عن المصداق الخارجي، وهو من الأعراض الخفية وإصابة واقعها في غاية الإشكال بسبب خلط الأمور المؤدي إلى تداخل الدين والدنيا والمؤدي إلى الفرز بالباصرة والعمل بالظن فيكون السعي لتوظيف الدين للدنيا وفي الدنيا، لا إصابة الواقع بالبصيرة والفرز باليقين حتى يكون العمل في الدنيا بالدين وللدين. قال أمير المؤمنين عليه السلام (لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلّا فتح الله عليهم ما هو أضر منه)[1].

وبالرغم من أن الإسلام أراد تحقيق أدنى سمات المسلم وهو إظهار صورة الأحكام الشرعية في مجال العمل ولو ظاهراً، وليس هذا نفاقاً أو رياء - وإن كان لا يخلو من بعض سماته - وإنما "من باب من شبَّ على شيء شاب عليه" فمن اعتاد على إظهار الخير من نفسه بفعله لا بدَّ أن تزول أضداده بذلك الاعتياد، ألا ترى لو أن قطعة قماش مليئة بالأوساخ والدهن إذا وضعت في النهر لفترة تتجاذبها جزيئات الماء فإن إزالة طبقات الدهن منها تكون سهلة ولا تحتاج إلّا إلى بذل جهد يسير لتنظيفها بالكلية ؟! والأقرب من هذا قول الإمام الصادق عليه السلام: (لو كان على باب أحدكم نهر فاغتسل منه كل يوم خمس مرات هل كان يبقى على جسده من الدرن شيء إنما مثل الصلاة مثل النهر الذي ينقي كلما صلى صلاة كان كفارة لذنوبه إلّا ذنب أخرجه من الإيمان مقيم عليه)[2].

ولكن نجد أن إظهار الأحكام دون عمل يؤدي إلى ضياعها والاستهانة

---

(١) قصص الراوندي ص١٩٦.

(٢) نهج البلاغة ج١٨ص٢٦٨.

بها !! ولا تعجب فشريط التاريخ في ذهنك حاضر من يوم السقيفة إلى يومنا هذا، استعرضه فما تجد إلّا البعد عن أحكام آل محمدﷺوللأسف الشديد حتى التوجه الظاهري لم يحصل منا لأنا نظهر لحظة التدين حينما يكون مائزاً لنيل المآرب والأغراض. فطوبى لمن تعرض لنفحة التوفيق فشملته، وإن كان الكل متعرضاً لها لكن فرصة الجذبة لا تأتي إلّا بغتة ولا تصيب إلّا من سبقت له العناية لسبق فعل الطاعة منه وما ذكر عن أهل السلوك من جلاء الرين عن القلوب ومراحله من التخلي والتحلي والتجلّي إلّا تهيأً للنفحة والدخول في ساحة الجذبات (والقابلية للاستفاضة إنما تحصل بانقلاع النفس عن العلائق الجسمانية والحواجب الظلمانية، وانقطاعها إلى الله تعالى وتصفية مرآتها عن الغبار ومحو جميع الأنداد والأغيار، فإنّ لذلك الأثر العظيم في حصول الأنس وتجلّي القلب بأنوار القدس فيتجلى الله تعالى على قلبه بنور عظمته، وإليه أشار نبينا الأعظمﷺ فقال: «من أخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وأنطق بها لسانه»)[1] (ولا فضل للمخلوق فيما وفق له وأنّى له ذلك وهو محض الخطيئة ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم)[2].

ونوال التوفيق من مجاهل الأمور ليس له فعل خاص به إلّا مجاهدة المعصية، وهذا يستدعي توخي الحذر من الوقوع في الاستدراج.

وكل فعل من الأفعال له خصوصية في الآثار، فالمعصية لها أثرها الوضعي، من جهة فعلها فإنها توجب ظلمة ومن جهة الترك توجب توفيقاً وكل من أثر الظلمة وأثر التوفيق له مساره الخاص فالظلمة لا تحجب إلّا ما

---

(١) التهذيب ج٢ فصل الصلاة والمفروض منها.

(٢) مواهب الرحمن ج١ ص٢٤٤ البحث الفلسفي.
النور: من الآية ٢١.

يقابلها من أثر التوفيق، والتوفيق لا يبعد إلّا عما يقابله من الشر، وهذا معلوم، لكن لنقرأ الروايات التي بها يزال رين النفوس قبل رين القلوب.

روي أن رجلاً سأل الإمام الكاظم عليه السلام : أليس أنا مستطيع لما كلفت؟

فقال له عليه السلام : ما الاستطاعة عندك؟

قال الرجل: القوة على العمل قال له عليه السلام: قد أعطيت القوة إن أعطيت المعونة قال له الرجل : فما المعونة؟ قال عليه السلام: التوفيق قال: فلم إعطاء التوفيق؟ قال عليه السلام: لو كنت موفقاً كنت عاملاً، وقد يكون الكافر أقوى منك ولا يعطى التوفيق فلا يكون عاملاً[1]. وعن الإمام علي عليه السلام : من التوفيق حفظ التجربة[2].

- من التوفيق التوقف عند الحيرة[3].
- إن من النعمة تعذر المعاصي[4].
- من حسنت نِيتُه أمده التوفيق[5].
- من لم يَمدّه التوفيق لم يَنَبْ إلى الحق[6].
- كيف يتمتع بالعبادة من لم يعنه التوفيق[7].

وقال : إن الله إذا أراد بعبد خيراً وفقه لإنفاذ أجله في أحسن عمله ورزقه مبادرة مَهْلِه في طاعته قبل الفوت[8].

---

(١) فقه الرضا.
(٢) نهج البلاغة ج١٩.
(٣) غرر الحكم.
(٤) نفسه.
(٥) نفسه.
(٦) غرر الحكم.
(٧) نفسه.
(٨) نفسه.

وقال: ما أمر الله سبحانه بشيء إلّا وأعان عليه[1].

قال الإمام الصادق عليه السلام: ما كلّ من نوى شيئاً قدر عليه ولا كلّ من قدر على شيء وفق له ولا كلّ من وفق لشيء أصاب له فإذا اجتمعت النية والقدرة والتوفيق والإصابة فهنالك تمت السعادة[2].

- طلبت حلاوة العبادة فوجدتها في ترك المعصية وطلبت حب الله عزَّ وجلَّ فوجدته في بغض أهل المعاصي[3].

التوفيق والخذلان:

الفرد تصارعه قوتان لجذبه فأيهما أكثر رصيداً عنده كان من نصيبها، بمعنى: أن لكل من التوفيق والخذلان مقومات وآثاراً، واستعدادات السبق لنيل الجذبات التي تختلف كل بحسبها، فبحسب مقدار استنارة القلب من النور يكون التوفيق قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[4] وعن أمير المؤمنين عليه السلام: من كان له من نفسه يقظة كان عليه من الله حفظة[5]. وبحسب مقدار الرين يكون الخذلان قال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾[6] وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: إن المعاصي يستولي بها الخذلان على صاحبها حتى توقعه بما هو أعظم منها[7]. وعنه صلى الله عليه وآله: التوفيق ممد العقل والخذلان ممد الجهل[8].

---

(١) نفسه.
(٢) كنز الفوائد.
(٣) المستدرك ج١٢ص١٧٣.
(٤) العنكبوت ٦٩.
(٥) غرر الحكم.
(٦) المطففين ١٤.
(٧) غرر الحكم.
(٨) نفسه.

ما يوجب التوفيق:

من المسلّم وجوب شكر المنعم، بل من أهم الواجبات، لما لها من أثر في ديمومة اتصال العلائق واستمرارها، وإنه سبحانه وتعالى له في كل شيء حجة، فعلى مستوى البشر نجد أن أحدنا يحتاج الشكر إن أحسن ويحتاج الإطراء والمديح إن أنعم والإنسان من نقصه يحتاج إلى هذا والقياس مع الفارق ولا أقصد أنه سبحانه يحتاج الشكر لعلة فيه وكيف ذلك وهو الشكور المطلق قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾[1]، بل أشكره سبحانه وتعالى لنقصي أيضاً حيث تأتيني النعم بلا استحقاق وبلا عمل مني أستحق عليه الجزاء الحسنى وأنا محض الخطيئة وإنما أشكره لدوام سد نقصي ولو كفرت بأنعمه وهي عندي أسبح بها لم يكن توفيقاً وإنما استدراجاً.

ما هو الاستدراج؟

وقد ذكره القرآن وجاءت الروايات مشيرة إلى رموزه ومشخصاته. قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2].

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾[3].

قال صاحب القاموس: الاستدراج من الله للعبد أنه كلما جدد خطيئة جدد له نعمة وأنساه الاستغفار، أو أن يأخذه قليلاً قليلاً ولا يباغته. واستدرجه جعله كأنه يدرج بنفسه.

وقال الراغب في مفرداته: للاستدراج معنيين أحدهما أخذ الشيء تدريجاً، لأنّ أصل الاستدراج مشتق من(الدرجة) فكما أن الإنسان ينزل من

---

(١) لقمان: ٢٦.
(٢) القلم: ٤٤.
(٣) الأعراف: ١٨٢.

أعلى البناية إلى أسفلها بالسلالم درجة درجة أو يصعد من الأسفل إلى الأعلى درجة درجة ومرحلة مرحلة.

والمعنى الثاني هو اللف والطي، كطي السجل.

وعلى تعريف الراغب: فإن القرآن قد اخذ هذين المعنيين وجمعهما في مفهوم كلي واحد وهو العمل التدريجي، أي إن الإنسان يمر بمراحل متتالية يطوي فيها اللاحق السابق، وهذه المراحل يجب إن تستثمر وتستغل في التنظير الإلهي لا التنظير الفردي وإلّا كان في درج المستدرجين بالرغم من أن السماء لا يفوتها التعجيل بالعقوبة.

وجاء عنهم عليهم السلام: (إنما يعجل من يخاف الفوت)[1].

وهذه العقوبة نتيجة المخالفة وتحكيم (الأنا) في التطبيق وهذا ضرر مؤداه إلى الفساد، وقد يكون مرده على نفس المخالف، كما لو خالف مخالفة شخصية بحتة أو على المجتمع، كما لو كانت مخالفة تعود على الجماعة، بل حتى المخالف الشخصي تعود مخالفته على المجتمع لأنه أحد أفراده.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (مثل مؤمن لا تقية له كمثل جسد لا رأس له ومثل مؤمن لا يرى حقوق إخوانه المؤمنين كمثل مَن حواسه كلها صحيحة وهو لا يتأمل بعقله ولا يبصر بعينه ولا يسمع بأذنه ولا يعبر بلسانه عن حاجة ولا يدفع المكاره عن نفسه (بالإدلاء بحججه) ولا يبطش بشيء بيديه ولا ينهض إلى شيء برجليه فذلك قطعة لحم قد أتته المنافع فصار غرضاً لكل المكاره فكذلك المؤمن إذا جهل حقوق إخوانه)[2].

ولفظة المخالف اصطلاح عصري وعند القرآن هو المذنب والعاصي، فكان تركهم في طيهم مراحلهم عذاب استدراجي، لأن عليه أن يستثمر

---

(١) من أدعية عشية عرفة \ إقبال الأعمال ص٤١٦.

(٢) تفسير الإمام العسكري.

أنفاسه في الطاعة لتحصيل الثواب والذي من جملته استمرار استصلاح الأرض، وبارتكابه الذنب والمعصية أو بمخالفته قد فوت على نفسه فرصة التحصيل. قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

ومع هذا فلا تعجيل على الطغاة والعاصين وفقاً لسنته سبحانه وتعالى في عباده بل يفتح عليهم أبواب النعم.

عن أبي جعفر عليه السلام: قال بينا موسى عليه السلام يمشي على ساحل البحر إذ جاء صياد فخرَّ للشمس ساجداً وتكلم بالشرك ثم ألقى شبكته فخرجت مملوءة ثم ألقاها فخرجت مملوءة ثم أعادها فخرجت مملوءة فمضى ثم جاء آخر فتوضأ وصلى وحمد الله وأثنى عليه ثم ألقى شبكته فلم يخرج شيئاً ثم أعاده فخرجت سمكة صغيرة فحمد الله وأثنى عليه وانصرف.

فقال موسى عليه السلام: يا رب عبدك الكافر تعطيه مع كفره وعبدك المؤمن لم تخرج له غير سمكة صغيرة فأوحى الله إليه انظر عن يمينك فكشف له عما أعد الله لعبده المؤمن ثم قال انظر عن يسارك فكشف له عما أعد الله للكافر فنظر ثم قال يا موسى ما نفع هذا الكافر ما أعطيته ولا ضَر هذا المؤمن ما منعته.

فقال موسى عليه السلام: (يا رب يحق لمن عرفك أن يرضى بما صنعت)[2].

والاستدراج هنا ليس معناه إلى الكفر والضلال لورود الآية في الكفار، ولأن معنى الاستدراج إيهام العبد أنه سبحانه غير ساخط على فعل الإنسان بالمعصية مما ينتج عنه المفسدة وسبب إلى الإصرار على القبيح وذلك لأن العبد بغروره يعتقد أن موالاة النعم عليه وهو عاص من باب الرضا عنه ولا

---

(١) الأعراف: من الآية ٨٥.
(٢) بحار الأنوار.

يعلم أنه استدراج له ونقمة عليه. وهذا مناف لأهم أصل من أصول الدين وهو العدل، ولكن للمتيقن بالأصول بتمامها لا يفوته معرفة أن المكلف إذا كان عالماً بقبح القبيح أو متمكناً من العلم بقبحه ثم رأى النعم تتوالى عليه وهو مصر على المعصية كان ترادف تلك النعم كالمنبه له على وجوب الحذر.

وورد أن المنافقين مستورون بستر الله لكن على وجه الاستدراج والإمهال، لأنه تعالى في سبوح أقداس قدسه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[1].

أي أوجب على نفسه الإنعام على خلقه أو الثواب لمن أطاعه أو إنظار عباده وإمهاله إياهم ليتداركوا ما فرطوا فيه ويتوبوا عن معاصيهم.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾[2] وفتح أبواب النعم رحمة منه ورأفةً بحالهم عسى أن يثوبوا من غفلتهم فيتوبوا؛ ولكن ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾[3] كلما ازدادت عليه النعم ازداد طغياناً.

وما هذا إلّا نتيجة الغفلة والركون إلى الصادر من المكلف من الطاعات التي تنسيه الشكر العملي للنعم حتى يتكون له حجاب مولداً له العجب بنفسه وفعله.

جاء في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر رحمه الله:

(إياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها، وحُبَ الإطراء؛ فإنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه، ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين)[4].

---

(١) الأنعام: من الآية ٥٤.
(٢) هود: ٥٢.
(٣) عبس: ١٧.
(٤) المستدرك.

وهذا لا يخلو عن إحدى اثنتين: إما أن تكون هذه النعم مدعاة للتنبيه والإيقاظ من الغفلة فتكون الهداية عملية لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يأمر بشيء ويأتي خلافه حاشا ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[1] أو أنها تزيدهم غروراً وجهلاً فيظن من نفسه الخير والصواب في فعله وعمله فيحُلَ به العذاب بسلب النعم التي لم تترك أثرها، وإنما كان ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾[2] فيهوي به في الهاوية وحاله كحال المريض يتصور أنه معافى وهو يتحرك بالعقاقير ما دام لها مفعولاً وبانتهائه يخمد وتشل حركته. بخلاف النعم المشكورة فإنها وإن سلبت يبقى لها أثر يحوم حوله حتى ترجع إليه بأحسن منها.

وهذا التأخير والإهمال ينذر المذنبين حتى لا يتوهمون بصحة العمل لعدم أخذهم بتعجيل العقوبة.

من مواعظ الإمام الحسين عليه السلام

قال: (الاستدراج من الله سبحانه لعبده أن يسبغ عليه النعم ويسلبه الشكر)[3].

سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الاستدراج فقال:

(هو العبد يذنب الذنب فيملى له وتجدد له عندها النعم فتلهيه عن الاستغفار من الذنوب فهو مستدرج من حيث لا يعلم)[4].

وعنه عليه السلام قال: (إذا أحدث العبد ذنباً جدد له نعمة فيدع الاستغفار فهو الاستدراج)[5].

---

(١) فصلت: ٣٤.
(٢) النور: ٣٩.
(٣) الكافي.
(٤) البحار.
(٥) الكافي.

ثم تتعلق قلوبهم بحب الدنيا وشهواتها، لأن القلب لا يمكنه العمل باتجاهين مطلقاً؛ فإما أن يكون عمله للآخرة فحينئذ يوظف الدنيا لها وهذا ما نجده عند أهل الدين من عرفاء وصالحين؛ وأما أن يكون عمله للدنيا فيوظف لها الآخرة وهذا ما نجده عند كثير من الناس المتّسمين بسمات الصالحين لأجل تحصيل منافعهم وتحقيق مآربهم ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾[1] جاء عن الإمام الكاظم عليه السلام:

(أوحى الله تعالى إلى داود: يا داود حذر وأنذر أصحابك عن حب الشهوات، فإنّ المعلقة قلوبهم بشهوات الدنيا قلوبهم محجوبة عني)[2] عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: يا أيها الناس إن لله في كل نعمة حقاً فمن أداه زاده ومن قصر عنه خاطر بزوال النعمة وتعجل العقوبة فليراكم الله من النعمة وجلين كما يراكم من الذنوب فرقين[3].

وقال عليه السلام: إذا وصلت إليكم أطرافُ النِّعَم فلا تُنْفِرُوا أقصاها بقلَّة الشُّكر[4].

وقال عليه السلام إذا رأيتم الله تتابع نعمه عليكم وأنتم تعصونه فاحذروه[5].

وعليه استحصال التوفيق للفرد لا يكون إلّا باستحصال مقومات الدين ولا تكون مقومات واقعية فعلية إلّا باستعمالها في مواردها.

جاء في زبور آل محمد عليهم السلام:

(اللَّهمَّ إن أحداً لا يبلغ من شكرك غاية إلّا حصل عليه من إحسانك ما يلزمه شكراً. ولا يبلغ مبلغاً من طاعتك وإن اجتهد إلّا كان مقصراً دون

---

(١) البقرة: ٩.
(٢) تحف العقول.
(٣) ابن ابي الحديد.
(٤) نفسه ج٢٠.
(٥) نفسه.

استحقاقك بفضلك فأشكر عبادك عاجز عن شكرك، وأعبدهم مُقصر عن طاعتك)[1].

وأيضاً روي عن داود عليه السلام حيث قال: (يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلّا بنعمة ثانية من نعمك؟ فأوحى الله تعالى إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني)[2].

عن أمير المؤمنين عليه السلام: كما أن الجسم والظل لا يفترقان كذلك الدين والتوفيق لا يفترقان[3].

وقال: أيها الناس من استنصح الله وفق ومن اتخذ قوله دليلاً هدي للتي هي أقوم فإنّ جارَ الله آمن وعدوه خائف[4].

وقال: ليس من التوفيق كفران نعم الله[5].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: شكر كل نعمة الورع عن محارم الله[6].

الطاعة:

والطاعة التي نرجو أثرها في التوفيق منحصرة في طاعة الأئمة الاثني عشر ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[7] وطاعتهم طاعة لرسول الله لأنه صلى الله عليه وآله أمر بهم وباتباعهم (إن مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)[8] وطاعة الرسول طاعة لله لأنه تعالى أمر

---

(١) مناجاة الشاكرين الصحيفة السجادية.
(٢) مشكاة الانوار ص٣٥.
(٣) غرر الحكم.
(٤) شرح النهج ج٩ص٤٧٣.
(٥) المستدرك ج١١باب تحريم كفران النعم.
(٦) الكافي.
(٧) الانبياء: ٧٣.
(٨) البحار باب فضائل اهل البيت.

بطاعته ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1] وكلها تنصب في طاعة الله سبحانه.

طاعة الله وآثارها:

الإمام علي عليه السلام: اعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل والمحدث الذي لا يكذب[2].

الإمام علي عليه السلام: لم تخل من لطفه مطرف عين في نعمة يحدثها لك أو سيئة يسترها عليك أو بلية يصرفها عنك فما ظنك به لو أطعته[3].

- إن الله سبحانه جعل الطاعة غنيمة الأكياس عند تفريط العجزة[4].
- الطاعة تطفئ غضب الرب[5].
- طاعة الله مفتاح كل سداد وصلاح كل فساد[6].
- إنه لا يدرك ما عند الله إلّا بطاعته[7].
- رحم الله امرءاً قمع نوازع نفسه إلى الهوى فصانها، وقادها إلى طاعة الله بعنانها[8].

الإمام الصادق عليه السلام: طلبت السرعة في الدخول إلى الجنة فوجدتها في العمل لله تعالى[9].

---

(١) الحشر: من الآية ٧.
(٢) شرح النهج ج١٠خطبة في فضل القرآن.
(٣) نفسه ج١١.
(٤) وسائل ج١٥.
(٥) غرر الحكم.
(٦) نفسه.
(٧) وسائل ج١٥.
(٨) مستدرك ج١١.
(٩) مستدرك ج١٢في نوادر الجهاد.

طاعة الرسول وأولي الأمر:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالي وإليها يرجع الغالي[1] وعنه عليه السلام: كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم! وهم أزمة الحق وأعلام الدين وألسنة الصدق[2]. - إذا قلت الطاعات كثرت السيئات[3]. عن الأصبغ قال: لما ضرب أمير المؤمنين عليه السلام الضربة التي كانت وفاته فيها اجتمع إليه الناس بباب الدار وكان يراد قتل ابن ملجم لعنه الله فخرج الحسن عليه السلام فقال: معاشر الناس إن أبي أوصاني أن أترك أمره إلى وفاته فإن كان له الوفاة وإلّا نظر هو في حقه فانصرفوا يرحمكم الله قال فانصرف الناس ولم أنصرف فخرج ثانية وقال لي: يا أصبغ أما سمعت قولي عن قول أمير المؤمنين؟ قلت: بلى ولكني رأيت حاله فأحببت أن أنظر إليه فأستمع منه حديثاً فاستأذن لي رحمك الله فدخل ولم يلبث أن خرج فقال لي: ادخل فدخلت فإذا أمير المؤمنين عليه السلام معصب بعصابة وقد علت صفرة وجهه على تلك العصابة وإذا هو يرفع فخذاً ويضع أخرى من شدة الضربة وكثرة السم.

فقال لي: يا أصبغ أما سمعت قول الحسن عن قولي؟

قلت بلى: يا أمير المؤمنين ولكني رأيتك في حالة فأحببت النظر إليك وأن أسمع منك حديثاً.

فقال لي: اقعد فما أراك تسمع مني حديثاً بعد يومك هذا، اعلم يا أصبغ أني أتيت رسول الله عليه السلام عائداً كما جئت الساعة فقال: يا أبا الحسن اخرج فناد في الناس الصلاة جامعة واصعد المنبر وقم دون مقامي بمرقاة وقل للناس ألا من عقّ والديه فلعنة الله عليه ألا من أبق من مواليه فلعنة الله

---

(١) خصائص الائمة ص٩٨ والنمرقة: الوسادة.

(٢) النهج خطبة ٨٧.

(٣) غرر الحكم.

عليه ألا من ظلم أجيراً أجرته فلعنة الله عليه يا أصبغ ففعلت ما أمرني به حبيبي رسول الله عليه السلام فقام من أقصى المسجد رجل فقال : يا أبا الحسن تكلمت بثلاث كلمات وأوجزتهن فاشرحهن لنا فلم أرد جواباً حتى أتيت رسول الله عليه السلام فقلت ما كان من الرجل، قال الأصبغ : ثم أخذ عليه السلام بيدي وقال: يا أصبغ ابسط يدك فبسطت يدي فتناول إصبعاً من أصابع يدي وقال: يا أصبغ هكذا تناول رسول الله عليه السلام إصبعاً من أصابع يدي كما تناولت إصبعاً من أصابع يدك ثم قال: ياأبا الحسن ألا وإني وأنت أبوا هذه الأمة فمن عقنا فلعنة الله عليه ألا وإني وأنت موليا هذه الأمة فعلى من أبق عنا لعنة الله ألا وإني وأنت أجيرا هذه الأمة فمن ظلمنا أجرتنا فلعنة الله عليه ثم قال آمين فقلت آمين قال الأصبغ: ثم أغمي عليه[1].

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام : إن أطعتموني فإني حاملكم إن شاء الله على سبيل الجنة وإن كان ذا مشقة شديدة ومذاقة مريرة[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : واقتدوا بهدى نبيكم فإنه أفضل الهدى واستنوا بسنته فإنها أهدى السنن[3].

وقال في صفة النبي صلى الله عليه وآله : فهو إمام من اتقى وبصر من اهتدى[4].

الإمام الصادق عليه السلام : إن الله عزَّ وجلَّ أدَّب نبيه حتى إذا أقامه على ما أراد قال له: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فلما فعل ذلك زكاه الله فقال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فلما زكاه فوض إليه دينه فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[5] ومن كتابه عليه السلام لمالك الأشتر رحمه الله

---

(١) علي من المهد إلى اللحد.
(٢) النهج ج٩ كلامه ع مع أهل البصرة.
(٣) أعلام الدين.
(٤) المناقب.
(٥) بصائر الدرجات.

حين ولاه مصر : واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة[1].

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن وتوفيق من الله فإذا أشار عليك الناصح العاقل فإياك والخلاف فإن في ذلك العطب[2].

وقال أمير المؤمنين : أنا علم الهدى وكهف التقى ومحل السخاء وبحر الندى وطود النهى[3].

- بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم ذروة العلياء[4].

- أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا؟ بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى[5].

أفضل الطاعات:

لو تفحصت حِكم وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام في الواقع ثم استقرأتها ستجدها عين الصدق والمصداق كتطابق اللفظ مع المعنى وبعد كل من الاستقراء والعثور على نتيجته اعمل بحكمه وكلامه عليه السلام ولا أقول لك ماذا ستجد وإنما أترك الأمر لك تستلهم النور درراً. - إياكم ومحقرات الذنوب فإنّ لها من الله طالباً وإنها لتجتمع على العبد حتى تهلكه[6].

---

(١) نهج البلاغة.
(٢) البحارج٧٢ في المشورة.
(٣) البحارج٢٥ - مجموعة ورام ج٢.
(٤) النهج ج١ص٢٠٧- روضة الواعظين ج٢.
(٥) المناقب.
(٦) إرشاد القلوب.

عن الإمام علي عليه السلام : أفضل الطاعات هجر اللذات[1]، أفضل الورع تجنب الشهوات[2]. قال الإمام الصادق عليه السلام : كتب رجل إلى أبي ذر يا أبا ذر أطرفني بشيء من العلم فكتب إليه : إن العلم كثير ولكن إن قدرت أن لا تسئ إلى من تحبه فافعل، قال: فقال له الرجل : وهل رأيت أحداً يسيء إلى من يحبه؟ فقال له : نعم، نفسك أحب الأنفس إليك فإذا أنت عصيت الله أسأت إليها[3]. عن الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة النبي صلى الله عليه وآله في فضل شهر رمضان فقال عليه السلام فقمت فقلت: يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزَّ وجلَّ[4]. قال صلى الله عليه وآله: اتقوا معاصي الله في الخلوات فإنّ الشاهد هو الحاكم[5]. عنه عليه السلام: أطع العاقل تغنم اعص الجاهل تسلم[6]. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قيل له إن قوماً من هذه الأمة يزعمون أن العبد قد يذنب الذنب فيحرم به الرزق فقال ابن عباس فوالذي لا إله غيره لهذا أنور في كتاب الله من الشمس الضاحية ذكر الله في سورة (القلم) أنه كان شيخاً وكانت له جنة وكان لا يدخل بيته ثمرة منها ولا إلى منزله حتى يعطي كل ذي حق حقه فلما قبض الشيخ ورثه بنوه وإن له خمسة من البنين فحملت جنته في تلك السنة التي هلك فيها أبوهم حملاً لم يكن حملت قبل ذلك فراحوا الفتية إلى جنتهم بعد صلاة العصر فأشرفوا على ثمره ورزق فاضل لم يعاينوا مثله في حياة أبيهم فلما نظروا إلى الفضل طغوا وبغوا وقال بعضهم لبعض إن أبانا كان شيخاً كبيراً قد ذهب عقله

---

(١) غرر الحكم.
(٢) نفسه.
(٣) ارشاد القلوب.
(٤) الطفل بين الوراثة والتربية.
(٥) مجموعة ورام ج٢.
(٦) غرر الحكم.

وخرف فهلم فلنتعاقد عهداً فيما بيننا أن لا نعطي أحداً من فقراء المسلمين في عامنا هذا شيئاً حتى نستغني وتكثر أموالنا ثم نستأنف الصنيعة فيما يستقبل من السنين المقبلة فرضي بذلك منهم أربعة وسخط الخامس وهو الذي قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ فقال الرجل يابن عباس كان أوسطهم في السن فقال لا بل كان أصغر القوم سناً وكان أكبرهم عقلاً وأوسط القوم خير القوم والدليل عليه في القرآن قوله إنكم يا أمة محمد أصغر القوم وخير الأمم قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ فقال لهم أوسطهم اتقوا الله وكونوا على منهاج أبيكم تسلموا وتغنموا فبطشوا به وضربوه ضرباً مبرحاً فلما أيقن الأخ أنهم يريدون قتله دخل معهم في مشورتهم كارهاً لأمرهم غير طائع فراحوا إلى منازلهم ثم حلفوا بالله أن يصرموا إذا أصبحوا ولم يقولوا إن شاء الله فابتلاهم الله بذلك الذنب وحال بينهم وبين ذلك الرزق الذي كانوا أشرفوا عليه فأخبر عنهم في الكتاب قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَٰٓئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾[1] قال كالمحترق فقال الرجل يابن عباس ما الصريم؟ قال: الليل المظلم ثم قال لا ضوء له ولا نور فلما أصبح القوم ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾[2] قال وما التخافت يابن عباس؟ قال يتشاورون يشاور بعضهم بعضاً لكي لا يسمع أحد غيرهم فقالوا: ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾[3] وفي أنفسهم أن يصرموها ولا يعلمون ما قد حل بهم من سطوات الله ونقمته ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ وعاينوا ما قد حل بهم ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾[4] فحرمهم الله ذلك الرزق بذنب

---

(١) سورة القلم، الآيات: ١٧ ـ ٢٠.
(٢) سورة القلم، الآيات: ٢١ ـ ٢٣.
(٣) سورة القلم، الآيتان: ٢٤ ـ ٢٥.
(٤) سورة القلم، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.

كان منهم ولم يظلمهم شيئاً ﴿قَالَ أَوَسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1] قال يلومون أنفسهم فيما عزموا عليه ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ فقال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2][3].

---

(١) سورة القلم، الآيات: ٢٨ ـ ٣٠.

(٢) سورة القلم، الآية: ٣٣.

(٣) بحار الأنوار.

وَصِدْقَ النِّيَّةِ وَعِرْفانَ الْحُرْمَةِ

الحياة قائمة على العمل ولا يحصل إلّا بدافع والدافع تارة يكون واقعياً حقيقياً فتتحد إرادة المريد النفسية مع المراد خارجاً وأخرى يكون ذلك الاتحاد الخارجي مغايراً للإرادة النفسية مع المراد وبالرغم من تحققه في الخارج لا يكون واقعياً ولهذا عالم النفس عالم غريب الأطوار لمغايرة الأفعال للدوافع والمقاصد فتتحرك الواهمة في النفس لتصور حسن الفعل والصنيع قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾[2].

ولو كان الفعل الخارجي كافياً في الدلالة على الملازمة مع الإرادة لما قال عليه السلام: (إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى)[3].

فأراد (روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء) الإشارة إلى أن النية التي هي القصد والباعث للفعل وما تنطوي عليه النفس، يجب أن تكون صادقة الانبعاث والتلازم مع الضمير حينما تتجسد فعلاً في الخارج؛

---

(١) العنكبوت: من الآية ٣٨.
(٢) النساء: ٤٩.
(٣) التهذيب.

والنوايا الصادقة موطنها الفطرة، فإنّ تحركت واتحدت مع مصاديقها في الفعل الخارجي حصل لها نوع انبعاث لأجل إدراك مدار التكليف الذي هو الأحكام التكليفية الخمسة، أربعة منها سهلة بسيطة وواحدة صعبة مركبة وهي الحرمة، وقد تكون نفس الأربعة طريقاً لها فينتج عنها ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾[1] وبمعرفة حقيقة الحرمة وهي تجلّي الحكم الوضعي بعد أثر تجلّي تكليف الحرمة، أي: يكون لهما تشخص خارجي كالأعيان الخارجية فينعدم الإفراط والتفريط في قوى النفس وما أظن هذا يحصل سوى للمعصومين عليهم السلام.

نعم على مستوانا بالرغم من (تدنينا) ممكن تحصل لنا حالة التصديق والعرفانية والارتباط بينهما شريطة الاقتباس من نور هديهم والأخذ عنهم كما ورد: (من أتاكم نجا ومن لم يأتكم هلك)[2] ثم إن للواهمة سطوة إن وجدت منافذها لتصور حسن الفعل والصنيع إن كان في الفعل الخارجي كفاية في الدلالة على الملازمة مع الإرادة، والأمر ليس كذلك.

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾[3] وفي هذا المضمار نكتة لطيفة يشير لها صاحب المواهب رحمه الله حيث يقول: «يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ﴾ كمال الأهمية للنيات، فإنّ عليها يدور صلاح الأعمال وفسادها والثواب والعقاب، وظاهر اللفظ إنما يكون معتبراً لكونه كاشفاً عن النيات»[4]

---

(١) البقرة: ٩.
(٢) الزيارة الجامعة.
(٣) النساء: ١٤٢.
(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ج٣ ص٣٤.

صدق النوايا وآثاره في الخارج:

ولما كان القلب ملك الجوارح فخلوص النية يكون له أثره في كل حركة وسكون وإلّا كان في عداد الغافلين والغفلة تخرج الإنسان عن حدِّه قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

وصدق النية على قدر صفاء المعرفة القلبية قوةً وضعفاً وتسير في خط معاكس للغفلة، وكلما قويت النية ضعفت الغفلة وبالعكس تنعكس.

الإمام الصادق عليه السلام: طلبت ثقل الميزان فوجدته في شهادة أن لا إله إلّا الله محمد رسول الله[2].

الصدق: الجمال صواب القول بالحق والكمال حسن الفعال بالصدق[3].

عنه عليه السلام: إن أشدّ الناس تصديقاً للناس أصدقهم حديثاً وإن أشدّ الناس تكذيباً لهم أكذبهم حديثاً[4].

وقال عليه السلام: الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل يس الذي يقول: ﴿...اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ وحزقيل مؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم[5] وعنه عليه السلام: ثلاث يقبح فيهن الصدق: النميمة وإخبارك الرجل عن أهله بما يكرهه وتكذيبك الرجل عن الخبر[6].

---

(١) الأعراف: من الآية ١٧٩.
(٢) مستدرك الوسائل ج١٢ص١٧٣.
(٣) غرر الحكم.
(٤) نفسه.
(٥) البحارج٣٨ص٢١٢.
(٦) نفسه ج٦٨ ص٨.

وعن الإمام علي عليه السلام: لا تكن صادقاً حتى تكتم بعض ما تعلم[1].

وعنه عليه السلام: أصدق المقال ما نطق به لسان الحال[2].

وعنه عليه السلام: الصدق رأس الدين[3].

عنه أيضاً عليه السلام: تزين لله عزَّ وجلَّ بالصدق في الأعمال[4].

وعنه عليه السلام: الصدق ينجيك وإن خفته والكذب يرديك وإن أمنته[5].

وعنه عليه السلام: من نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه[6].

الإمام الباقر عليه السلام: ألا فاصدقوا؛ فإن الله مع من صدق[7].

الإمام الباقر عليه السلام: تعلموا الصدق قبل الحديث[8].

الإمام الصادق عليه السلام: من صدق لسانه زكا عمله[9].

الإمام الصادق عليه السلام: أحسن من الصدق قائله وخير من الخير فاعله[10].

الإمام الصادق عليه السلام: أيما مسلم سُئل عن مسلم فصدق وأدخل على ذلك المسلم مضرة كتب من الكذابين ومن سُئل عن مسلم فكذب فأدخل على ذلك المسلم منفعة كتب عند الله من الصادقين[11].

---

(١) البحار ج٧٥ص٨.
(٢) غرر الحكم ص٢١٧.
(٣) نفسه ٢١٨.
(٤) نفسه.
(٥) نفسه.
(٦) روضة الواعظين ج١ص٤٣.
(٧) البحار ج٦٦ص٣٨٦.
(٨) الكافي ج٢ص١٠٤.
(٩) نفسه.
(١٠) أمالي الطوسي ص٢٢٢.
(١١) الاختصاص ص٢٢٤.

وعنه عليه السلام: الصدق مطابقة المنطق للوضع الإلهي، الكذب زوال المنطق عن الوضع الإلهي تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة تجنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة[١].

النية:

عن رسول الله عليه السلام: يا أبا ذر ليكن لك في كل شيء نية صالحة حتى في النوم والأكل[٢].

وعنه عليه السلام: الإيمان قول مقول وعمل معمول وعرفان العقول[٣].

الإمام علي عليه السلام: النية أساس العمل[٤].

- على قدر النية تكون من الله العطية[٥].

- من حسنت نيته أمده التوفيق[٦].

وعنه عليه السلام: ولو أن الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم، فزعوا إلى ربهم بصدق من نياتهم وَوَلَهٍ من قلوبهم، لَرَدَّ عليهم كل شارد، وأصلح لهم كل فاسد[٧].

وفي دعاء المكارم: وانته بنيتي إلى أحسن النيات وبعملي إلى أحسن الأعمال اللَّهمَّ وفر بلطفك نيتي[٨].

---

(١) مجموعة ورام ج٢.
(٢) مكارم الأخلاق.
(٣) الأمالي للمفيد المجلس السابع.
(٤) غرر الحكم.
(٥) نفسه.
(٦) غرر الحكم.
(٧) البحار ٦٤ في شدة ابتلاء المؤمن.
(٨) الصحيفة السجادية دعاء مكارم الأخلاق.

الإمام الباقر عليه السلام : إذا علم الله تعالى حسن نية من أحد، اكتنفه بالعصمة[1].

الإمام الصادق عليه السلام: إنما قدر الله عون العباد على قدر نياتهم فمن صحت نيته تم عون الله له ومن قصرت نيته قصر عنه العون بقدر الذي قصر[2].

قال أبو علي بن سينا في كتاب الإشارات:

أول درجات حركات العارفين ما يسمونه هم الإرادة وهو ما يعتري المستبصر باليقين البرهاني أو الساكن النفس إلى العقد الإيماني من الرغبة في اعتلاق العروة الوثقى فيتحرك سره إلى القدس لينال من روح الاتصال فما دامت درجته هذه فهو مريد[3].

---

(١) أعلام الدين.
(٢) الأمالي للمفيد المجلس السابع.
(٣) كتاب الإشارات.

وَأَكْرِمْنا بِالْهُدى وَالاِسْتِقامَةِ

كل فقرة من فقرات هذا الدعاء هي رتب طولية نحو الكمال وبتمامها يحصل التكامل لإنسانية الإنسان وبالنتيجة تتحقق فيه خلافة الله في الأرض.

ثم بعد أن أصبحت الحرمة حاضرة وتشاهد كما تشاهد الميتة التي يشمئز منها ويفر من جيفتها صار مهيئاً لنيل حبوة الهدى والاستقامة. قال أمير المؤمنين عليه السلام : (إن من أحب عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه. . . . فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى)[1]. وهذه خصوصية من أكمل حلقات الكمال وتدرج في مدارجه ولكن من لم يعنه توفيق الكمال على الاستكمال فقد يدركه اللطف لنيل كرمه وإن كان الكل لا ينال ما نال إلّا به قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[2] والهداية لها معنى الإرشاد بلطف فيكون استعمالها في الخير لا في الشر كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾[3] ومعنى آخر وهو

---

(١) أعلام الدين ص١٠٩.
(٢) فاطر: من الآية ٤٥.
(٣) آل عمران: ١٣٨.

الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب فيكون استعمالها في الخير والشر، فيكون استعمالها في الشر كقوله تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾[1].

إلى كثير من الآيات المباركات المنساقة بكلا المعنيين. ثم المعاني كثيراً ما تكون تابعة للاستعمال فتكون ألفاظها صارفة لها، والهداية غلب عليها الاستعمال الأول تبعاً للقرآن لأنه كثيراً ما استعملها فيه.

فبعد التوفيق للطاعة ومعرفة أس الأحكام وهي الحرمة- لأنّ آثارها الوخيمة تشكل ظلمات تمنع من نيل الفيوضات - نطلب منه سبحانه أن يتفضل علينا ويكرمنا بالهداية لطاعته، هداية أبدية غير متزلزلة لأن من حقائق الهداية هو استكشاف عيوب أنفسنا بأنفسنا كي لا نُصاب بالعجب والتكبر والزهو وغيرها، وإنما نستشعر دوماً بالتقصير لا أن نشعر به لأن الشعور وحده غير كافٍ في الثبات واستدامة الهداية فيظن البعض باستحقاقه لها لأنه صلى وصام، وأنه لو لم يكن أهلاً لما استدل على إصابة الأمور، وهذا منتهى الجهل والضلال نستجير بالله؛ قال عليه السلام: (لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ثم كان الاثنان أحب إليكم من الواحد لم تبلغوا الاستقامة)[2].

أما الاستشعار فهو الحالة الوسط بين خوف الاستدراج ورجاء قبول الأعمال لنيل الاستكمال، عن أمير المؤمنين عليه السلام في موعظته لأحد أصحابه: (أكثر من أن تقول اللّهمَّ لا تجعلني من المعارين ولا تخرجني من التقصير).

قال قلت: أما المعارون فقد عرفت أن الرجل يعار الدين ثم يخرج منه فما معنى لا تخرجني من التقصير؟

---

(١) الصافات: من الآية ٢٣.

(٢) عدة الداعي.

فقال عليه السلام : كل عمل تريد به الله عزَّ وجلَّ فكن فيه مقصراً عند نفسك ؛ فإنّ الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصرون إلّا من عصمه الله عزَّ وجلَّ[1] .

وهذا لا يتحقق إلّا بالاستقامة لأنها لغة: الاعْتدالُ والاستواء في مقابل الانحراف والاعوجاج، وبعبارة أدق هي الدين المتقوم أولاً: بطاعة الله سبحانه التي تعد من أوجب الواجبات فإن ما عنده جل شأنه لا يدرك إلّا بها، وهي مفتاح كل توفيق الذي أدناه نيل لطفه وإطفاء غضبه، فما ظنك بنوال القرب منه بطاعته؟!

قال أبوعبدالله عليه السلام :لا يستغني المؤمن عن خصلة وبه الحاجة إلى ثلاث خصال توفيق من الله عزَّ وجلَّ وواعظ من نفسه وقبول من ينصحه[2].

والانحراف عن واحد منها وقوع في الظلمات وهي سبل متعددة للشيطان أما الاستقامة فسبيل واحد لا يقبل التعدد بأي وجه ولهذا استعمله القرآن مفرداً لأنّ مبدأه منه تعالى ومنتهاه إليه وعبر عنه بالنور بخلاف الظلمات فإنها متعددة حسب الاعتقادات والأهواء الباطلة.

جاء في مناجاة المريدين من زبور آل محمد: سبحانك ما أضيق الطرق على من لم تكن دليله وما أوضح الحق عند من هديته سبيله إلهي فاسلك بنا سبل الوصول إليك وسيرنا في أقرب الطرق للوفود عليك[3].

قال عليه السلام : ثلاثة هن من أفضل الأعمال: مجاهدة النفس ومغالبة الهوى والإعراض عن الدنيا جاهدوا أهواءكم تملكوا أنفسكم[4] .

---

(١) الكافي ج٢.
(٢) مشكاة الأنوار ص ٣٣٢باب نوادر الحب والبغض والتوفيق.
(٣) مناجاة المريدين.
(٤) مجموعة ورام ج٢.

وقال عليه السلام : بالهدى يستكثر الاستبصار[1].

عن علي عليه السلام : ولقد بصرتم إن أبصرتم وأسمعتم إن سمعتم وهديتم إن اهتديتم[2].

- رحم الله امرءاً سمع حكماً فوعى ودعي إلى رشاد فدنا وأخذ بحجزة هاد فنجا[3].

- ألا وأنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال إلى الردى[4].

- كيف يستطيع الهدى من يغلبه الهوى[5].

إخباره عليه السلام في الملاحم : يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي . . . . تخرج له الأرض أفاليذ كبدها، وتلقي إليه سلماً مقاليدها فيريكم كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب والسنة[6].

في الاستقامة:

عنه عليه السلام : كيف يستقيم من لم يستقِم في دينه[7]؟

عن علي عليه السلام قال: قلت يا رسول الله أوصني قال: قل ربي الله ثم استقم قال قلت ربي الله وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب فقال ليهنئك العلم يا أبا الحسن لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً[8].

---

(١) غرر الحكم.
(٢) خصائص الأئمة.
(٣) تحف العقول.
(٤) إرشاد القلوب.
(٥) غرر الحكم.
(٦) البحار ٣١.
(٧) غرر الحكم.
(٨) المناقب ج٢.

وعن علي عليه السلام: اعلموا أن الله تبارك وتعالى يبغض من عباده المتلون فلا تزولوا عن الحق، وولاية أهل الحق، فإنّ من استبدل بنا هلك[1].

وعنه عليه السلام أيضاً: من لزم الاستقامة لزمته السلامة[2].

عنه عليه السلام: ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه فمن استطاع منكم أن يلقى الله تعالى وهو نقي الراحة من دماء المسلمين وأموالهم سليم اللسان من أعراضهم فليفعل[3].

وقال عليه السلام: ردع النفس عن تسويل الهوى شيمة العقلاء[4].

وقال عليه السلام: إن طاعة النفس ومتابعة الهوى رأس كل محنة ورأس كل غواية[5].

وقال عليه السلام: رحم الله امرءاً أقمع نوازع نفسه إلى الهوى فصانها، وقادها إلى طاعة الله بعنانها[6].

وعنه عليه السلام قال: العقل والشهوة ضدان، ومؤيِد العقل العلم ومزين الشهوة الهوى والنفس متنازعة بينهما فأيهما قهر كانت في جانبه[7].

وقال عليه السلام: ذهاب العقل بين الهوى والشهوة[8].

---

(١) تفسير فرات سورة الزمر.
(٢) كنز الفوائد.
(٣) المستدرك ج٩.
(٤) المستدرك ١٢.
(٥) نفسه.
(٦) المستدرك ١١.
(٧) غرر الحكم.
(٨) نفسه.

وقال الصادق عليه السلام: والهوى عدو العقل ومخالف الحق وقرين الباطل وقوة الهوى من الشهوات وأصل علامات الهوى من أكل الحرام والغفلة عن الفرائض والاستهانة بالسنن والخوض في الملاهي ومن لم يتعاهد النقص من نفسه غلب عليه الهوى[1].

(١) مصباح الشريعة.

وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنا بِالصَّوابِ وَالْحِكْمَةِ

لا يخفى أن الإنسان تميز عن سائر المخلوقات بالنطق وجعل اللسان آلة له عنه عليه السلام: ما الإنسان لولا اللسان إلّا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة[1].

ولما كان اللسان آلة ناقلة لما حملت ومرتبة لما نشر عليها من حروف لتدل على معانٍ يجب أن تكون مقصودة ومرادة قال أمير المؤمنين عليه السلام: «تكلموا تعرفوا فإنّ المرء مخبوء تحت لسانه[2].

كما أن نفس القصد والإرادة تارة تكون عن جهل وأخرى عن علم ومعرفة.

عن علي عليه السلام إياك والكلام فيما لا تعرف طريقته ولا تعلم حقيقته فإنّ قولك يدل على عقلك وعبارتك تنبئ عن معرفتك[3].

فإن كانت عن علم ومعرفة كان الإنسان جميلاً بنطقه مهذباً بكلماته وأنت ترى الكثير ممن يحملون جمال الشكل والمظهر فتنجذب إليه لشكله لكن سرعان ما يصدمك نطقه لأنه لا يكشف إلّا عن جيفة؛ وكثير ممن

---

(١) غرر الحكم.
(٢) معدن الجواهر.
(٣) غرر الحكم.

أشكالهم لا تجذب النظر لكن إن جالسته فلا تشم منه إلّا عبق الطهر ويكشف عن أصداف درر تغطيها حروف حكمة كأنها ترتب لأول مرة.

عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام: الناس أبناء ما يحسنون وقدر كل امرئ ما يحسن فتكلموا في العلم تبين أقداركم[1].

وعنه عليه السلام: الجمال في اللسان والكمال في العقل[2].

وعنه عليه السلام: صورة المرأة في وجهها وصورة الرجل في منطقه[3].

وقال العباس بن مرداس:

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي أثوابه أسد مزير
ويعجبك الطرير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطرير
فما عظم الرجال لهم بفخر ولكن فخرهم كرم وخير

واللسان جندي في مملكة النفس وتحت سلطنة القلب فإنّ ما يختلج فيه تظهره الجوارح شاءت أم أبت لأنّ الأوامر بيد السلطان فلا يأمر إلّا بصفته إن عدلاً فعدل وإن جوراً فجور وعليه فله آفات سببها انقياده لآمره.

قال عليه السلام اللسان سبع إن خلي عنه عقر[4].

وللقلب آمر إن انقاد له، انقاد اللسان.

قال عليه السلام: إذا تم العقل نَقَص الكلام[5].

وإلّا فالقلب يعمى وينقطع صوت العقل فيكون الجهل.

---

(١) الكافي ١/ ٥٠ باب النوادر.
(٢) غرر الحكم.
(٣) بحار الأنوار ٧١/ ٢٩٣.
(٤) شرح النهج / الحكمة ٦٠.
(٥) شرح النهج ٧ / ٩٢.

قال عليه السلام: لا ترى الجاهل إلّا مُفَرِّطاً أو مُفْرِطاً[1].

وجاء في حكم فيثاغورس: أنَّ أكثر الآفات إنما تعرض للحيوانات لعدم الكلام، وتعرض للإنسان من قبل الكلام[2].

إشارة إلى أن الحيوان تحركه غرائزه التي لا تعقل سوى الحاجة للإشباع فيقع في المهالك لعدم إدراكه المنافع والمضار، والكلام معناه الإدراك والتعقل المؤدي إلى تفهم الحركات والتوجه للإشباع، وهذه الصورة من أوجه تشابه الإنسان مع الحيوان في الوقوع في المهالك إن ترك عنان لسانه الذي لا حدود له فهو وحده يقابل تحركات الحيوان.

قال عليه السلام: يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئاً من الجوارح فيقول أي رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً فيقال له خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها فسفك بها الدم الحرام وانتهب بها المال الحرام وانتهك بها الفرج الحرام[3].

عن علي عليه السلام: كم من دم سفكه فم[4].

وآفات الحيوان أهون في عثراته لعدم ترتب أثر على زلاته إلّا الإنسان الذي يعلوه رتبة لعدم محدودية لسانه بخلاف باقي الجوارح فإنّ لها حدّاً يحدها ومانعاً يمنعها فالعين حدها ما وسعها النظر واليد حدها ما تطوله وهكذا، وعدم محدودية اللسان تظهر من خلال تدخله فيما لايعني ومن فضول الكلام، فيكون الحديث بما لايعني غير متناهٍ ولا تعرف له أنواع وأقسام حتى يمكن حصرها وتجنبها إلّا من جهة واحدة فقط هي أن الكلام

---

(١) شرح النهج باب حكمه ع ص٤٧٩.
(٢) جلاء الكروب.
(٣) الكافي ٢/ ١١٥.
(٤) غرر الحكم.

الصادر من الإنسان لو سكت عنه لم يأثم ولم يتضرر بشيء لأنه سكت فيظهر أن الكلام زائد لا حاجة فيه كما أن الكلام بما لايعني مذموم وعلاج ذلك إما الصمت أو التكلم فيما يعني مما يتعلق بدين أو دنيا.

ومما قيل في عثرات اللسان يموت الفتى من عثرة بلسانه
وليس يموت المرء من عثرة الرِجل فعثرته من فيه ترمي برأسه
وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

وقيل أيضاً:

الحلم زين والسكوت سلامة فإذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما إن ندمت على سكوتي مرة لكن ندمت على الكلام مرارا

وقال بعض الحكماء: حظي من الصمت لي ونفعه عليَّ، وحظي من الكلام لغيري ووباله راجع عليَّ[1].

وسُمع رجل يتكلم فيخطئ فقيل له: بكلامك رزق الصمت المحبة[2].

وبالرغم من أن بالكلام بعث الأنبياء، وبالكلام صُفّت الحكمة، وبالكلام تهيأت القلوب وانفعلت الجوارح، وبالكلام أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ثم بالكلام عُرِف الصمت ولم يُعْرَفُ الصمت بالكلام، بالرغم من كل هذا يبقى الصمت طريقاً لتهذيب الكلام حتى يحصل صواب النطق في المنطق، ثم إنه فضل على الكلام لأنه ليس كل من تكلم أصاب وإنما الصواب موكول بالصمت.

وقال مهادرجيس الحكيم: إذا كانت الكلمة فافض بها إلى دليل وإلّا فضع يدك على فيك[3].

---

(١) نهج البلاغة.
(٢) نفسه.
(٣) جلاء الكروب.

عن عليّ عليه السلام :لسان العلم الصدق، لسان الجهل الخرق[1].

وعنه عليه السلام: لسان المقصر قصير[2].

وعنه عليه السلام: أصدق المقال ما نطق به لسان الحال[3].

ومما جاء عنه عليه السلام من كتاب كتبه لمالك الاشتر: املك حمية أنفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك[4].

عن الباقر عليه السلام: كان أبو ذر يقول: يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك[5].

- من الحكمة أن لا تنازع من فوقك ولا تستذل من دونك ولا تتعاطى ما ليس في قدرتك ولا يخالف لسانك قلبك ولا تترك الأمر عند الإقبال وتطلبه عند الإدبار[6].

عن علي عليه السلام: إن في الإنسان عشر خصال يظهرها لسانه: شاهداً يخبر عن الضمير، وحاكماً يفصل بين الخطاب، وناطقاً يرد به الجواب، وشافعاً يدرك به الحاجة، وواصفاً يعرف به الأشياء، وأميراً يأمر بالحسن، وواعظاً ينهى عن القبيح، ومعزاً تسكن به الأحزان، وحاضراً تجُلى به الضغائن، ومونقاً تلتذ به الأسماع[7].

الإمام زين العابدين عليه السلام: حق اللسان إكرامه عن الخنا، وتعويده الخير وترك الفضول التي لا فائدة لها، والبر بالناس، وحسن القول فيهم[8].

---

(١) غرر الحكم.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدرنفسه.
(٤) النهج لمحمد عبدة ص٤٤٤.
(٥) غرر الحكم.
(٦) غرر الحكم ص٥٩.
(٧) الكافي ٨/ ٢٠.
(٨) البحار٧١/ ٢٨٦.

عنه عليه السلام: ما عمل من لم يحفظ لسانه[1].

عنه عليه السلام: لا يسلم أحد من الذنوب حتى يخزن لسانه[2].

عن علي عليه السلام: البلاء موكل بالمنطق[3].

علي عليه السلام: أمسك لسانك؛ فإنها صدقة تتصدق بها على نفسك[4].

عن علي عليه السلام: لاشيء أعود على الإنسان من حفظ اللسان وبذل الإحسان[5].

عن الإمام الصادق عليه السلام: إذا أراد الله بعبد خزياً أجرى فضيحته على لسانه[6].

عنه عليه السلام لما سأله معاذ بن جبل عما يدخله الجنة ويباعده عن النار، فأخبره إلى أن قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت بلى يا رسول الله، قال: كف عليك هذا وأشار إلى لسانه[7].

وقال عليه السلام: إذا ازدحم الجواب خفي الصواب[8].

وقال عليه السلام: من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحاً وعند الخطأ عاذراً[9].

وقال عليه السلام: حفظ الدين ثمرة المعرفة ورأس الحكمة تجنب الخدع[10].

---

(١) البحار٧٧/ ٨٥.
(٢) تحف العقول ص٢٩٨.
(٣) من لا يحضره الفقيه ٤/ ٣٧٩ من ألفاظه ص الموجزة.
(٤) الكافي ٢/ ١١٤.
(٥) غرر الحكم.
(٦) البحار ٧٥ / ٢٢٨ مواعظ الصادق عليه السلام.
(٧) الترغيب والترهيب.
(٨) تصحيح الاعتقاد ص٢٥.
(٩) نهج البلاغة باب حكمه.
(١٠) غرر الحكم ص٢١١.

وقال عليه السلام : كسب الحكمة إجمال النطق واستعمال الرفق[1].

وقال عليه السلام : التخمة تفسد الحكمة، البطنة تحجب الفطنة[2] وقال عليه السلام : غير منتفع بالحكمة قلب معلول بالغضب والشهوة[3].

وقال عليه السلام : غير منتفع بالعظات قلب متعلق بالشهوات[4].

وقال عليه السلام : كيف يصبر على مباينة الأضداد من لم تعنه الحكمة[5]؟

وقال الصادق عليه السلام : الغضب مسحقة لقلب الحكيم[6].

وقال أيضاً : من لم يملك غضبه لم يملك عقله[7].

وقال الصادق عليه السلام : ليس لملول صديق ولا لحسود غنى وكثرة النظر في الحكمة تلقح العقل[8].

وقال الكاظم عليه السلام : يا هشام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار لأن الله تعالى جعل التواضع آلة العقل وجعل التكبر من آلة الجهل ألم تعلم أن من شمخ إلى السقف برأسه شجه ومن خفض رأسه استظل تحته وأَكَنّه فكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله ومن تواضع لله رفعه[9].

وقال الهادي عليه السلام : الحكمة لا تنجع في الطباع الفاسدة[10].

---

(١) نفسه.
(٢) نفسه.
(٣) نفسه.
(٤) نفسه.
(٥) نفسه ص٥٩.
(٦) غرر الحكم ص٥٩.
(٧) الكافي ٢/ ٣٠٥.
(٨) تحف العقول ص٣٦٤.
(٩) البحار ١/ ٣١٢.
(١٠) البحار ٨٢/ ٣١٢.

عنه عليه السلام : أول الحكمة ترك اللذات وآخرها مقت الفانيات[1].

نظر بعض الصالحين إلى رجل يفحش في قوله فقال يا هذا إنما تملي على حافظيك كتاباً إلى ربك فانظر ما تودعه[2].

وقيل للربيع بن خيثم: يا ربيع ما نراك تذم أحداً؟ فقال: ما أنا عن نفسي براضٍ فأتحول من ذمي إلى ذم الناس إن الناس خافوا الله على ذنوب العباد وأمنوه على ذنوبهم[3].

و قيل للقمان: ألست عبد آل فلان ؟

قال: بلى.

قيل: فما بلغ بك ما نرى؟

قال: صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني وغض بصري وكف لساني وعفة طعمتي فمن نقص عن هذا فهو دوني ومن زاد فهو فوقي ومن عمله فهو مثلي[4].

وقال المسيح عليه السلام : إنه ليس على كل حال يصلح العسل في الزقاق وكذلك ليس على كل حال تعمر الحكمة فيها إن الزق ما لم ينخرق أو يقحل أو يتفل فسوف يكون للعسل وعاء وكذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات ويدنسها الطمع ويقسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة[5] وعنه صلى الله عليه وآله: كلمة الحكمة يسمعها المؤمن خير من عبادة سنة[6].

---

(١) البحار ٧٨ / ٣٧٠.
(٢) شرح النهج لابن ابي الحديد ٢/ ٩٦ نبذ من أقوال الصالحين والحكماء.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) مجموعة ورام ٢/ ٢٣٠.
(٥) البحار ١٤/ ٣٠٧.
(٦) اعلام الدين ص٢٩٤.

وعن علي عليه السلام: ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه، ولا بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه الناس أبناء ما يحسنون وقدر كل امرئ ما يحسن فتكلموا في العلم تبين أقداركم[1].

وعنه أيضاً: ليس بحكيم من ابتذل بانبساطه الى غير حميم[2].

وعنه عليه السلام: من عُرِفَ بالحكمة لحظته العيون بالوقار والهيبة[3].

- الصمت منجاة[4].

- العاقل من عقل لسانه[5].

- الصمت روضة الفكر[6].

- أحمد من البلاغة الصمت حين لا ينبغي الكلام[7].

- إنما يستحق اسم الصمت المضطلع بالإجابة وإلّا فالعي به أولى[8].

- إذا تكلمت بالكلمة ملكتك وإذا أمسكتها ملكتها[9].

- إذا غلبت على الكلام فإياك أن تغلب على السكوت[10].

- رب كلام جوابه السكوت[11].

---

(١) الكافي ١/ ٥٠ باب النوادر.
(٢) غرر الحكم.
(٣) تحف العقول.
(٤) غرر الحكم.
(٥) نفسه.
(٦) نفسه.
(٧) نفسه.
(٨) غرر الحكم.
(٩) ميزان الحكمة.
(١٠) ميزان الحكمة.
(١١) نفسه.

- صمتك حتى تستنطق أجمل من نطقك[١].

- قد أفلح التقي الصموت[٢].

- كن صموتاً من غير عي فإن الصمت زينة العالم وستر الجاهل[٣].

- من عقل صمت[٤].

- لا عبادة كالصمت[٥].

- الصمت زين العلم وعنوان الحلم[٦].

- نعم قرين الحلم الصمت[٧].

- الصمت يكسيك الوقار ويكفيك مؤنة الاعتذار[٨].

آثار الصمت:

- الزم الصمت يلزمك النجاة والسلامة والزم الرضا يلزمك الغناء والكرامة[٩].

- الزم السكوت واصبر على القناعة بأيسر القوت تعز في دنياك وتعز في أخراك[١٠].

- إن أحببت سلامة نفسك وستر معايبك فاقلل كلامك وأكثر صمتك يتوفر فكرك ويستنر قلبك ويسلم الناس من يدك[١١].

---

(١) غرر الحكم.
(٢) نفسه.
(٣) نفسه.
(٤) نفسه.
(٥) نفسه.
(٦) نفسه.
(٧) غرر الحكم ص٢١٦.
(٨) ميزان الحكمة ج٦ص١٠٨.
(٩) غرر الحكم.
(١٠) نفسه.
(١١) نفسه.

- داووا الغضب بالصمت والشهوة بالعقل[١].

- صمت الجاهل ستره[٢].

- من لزم الصمت أمن الملامة[٣].

- سبب السلامة الصمت[٤].

- صمت يعقبك السلامة خير من نطق يعقبك الملامة[٥].

- من سكت فسلم كمن تكلم فغنم[٦].

قال رسول الله ﷺ: إن من أشر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه[٧].

عن أبي عبد الله عليه السلام: قال الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار[٨].

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ الكلام ثلاثة فرابح وسالم وشاجب فأما الرابح فالذي يذكر الله وأما السالم فالساكت وأما الشاجب فالذي يخوض في الباطل[٩].

قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من ماز موضع كلامه من عقله قل كلامه فيما لا يعنيه[١٠].

---

(١) نفسه.
(٢) نفسه.
(٣) نفسه.
(٤) غرر الحكم.
(٥) نفسه.
(٦) نفسه.
(٧) البحار ج١٣ص٣٥١.
(٨) البحار ج٦٨.
(٩) وسائل ج١٢ ص١٩٩.
(١٠) نفسه.

أمير المؤمنين عليه السلام قال في بعض خطبه: أيها الناس اعلموا أنه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه ولا بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه[١].

- ثلاثة يحبها الله قلة الكلام وقلة المنام وقلة الطعام[٢].
- ثلاثة يبغضها الله كثرة الكلام وكثرة المنام وكثرة الطعام[٣].
- جاهدوا أنفسكم على شهواتكم تحل قلوبكم الحكمة[٤].
- جلاء هذه القلوب ذكر الله وتلاوة القرآن[٥].
- هانت عليه نفسه من أمّر عليها لسانه[٦].

---

(١) الاختصاص.
(٢) مجموعة ورام ج٢ص١٢١.
(٣) نفسه.
(٤) نفسه.
(٥) نفسه.
(٦) البحار ج٦٨ ص٢٩٠.

وَامْلَأْ قُلُوبَنا بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ

للقلب معنيان:

الأول: ذلك العضو الصنوبري المحمي بالضلوع والقابع في القفص الصدري تروح له الرئتان لتأدية مهمة ضخ الدم على شكل دوران إلى جميع أجزاء الجسم بانتظام بلا ملل وتوقف لتستمر حركة الجسم المادية.

وقطعاً هذا المعنى ليس هو المطلوب من استعمال لفظ القلب سواء أكان في القرآن أم في السنة المقدَّسة.

المعنى الثاني: هو «اللطيفة الربانية أو العقل العملي أو النفس الناطقة الإلهية في مقام فعليتها، أو النفس اللوامة الفعلية، أو الجميع بحسب مراتبها المختلفة شدّة وضعفاً»[1].

وهذا هو واقع المراد من لفظ القلب، وعلى كل حال فاختيار القلب كوعاء دون غيره من الجوارح فيه إشارة إلى مصدرين رئيسيين يتصارعان في السطو على الإنسان لتوجيهه بمسارها؛ المصدر الأول: العقل الذي ليس له إلّا مسار واحد هو الانقياد للأوامر والنواهي الإلهية لأن الأمور حاضرة

---

(١) مواهب الرحمن ج٣ص٣٥٦.

عنده، وله القدرة على التمييز ولو خلي وطبعه فلا يأمر إلّا بالطاعة ولا ينهى إلّا عن خلافها.

والمصدر الثاني: القلب الذي هو ميدان المعركة، تتصارع فيه القوى، فإن تغلب العقل بأدواته عمل بمقتضاها، وإن تغلبت الأخرى عملت بمقتضاها أيضاً.

ولما كان للإنسان جوارح يجرح ويجترح بها اخذ بذكرها وابتدأ بالقلب لأنه ملكها فيجب مَلءُ فراغه بالعلم ثم بالمعرفة حتى ينعكس ذلك على جنوده الذين سيرد ذكرهم واحداً تلو الآخر وذكر ما ينبغي تركه وما يجب فعله.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: العلم أول دليل والمعرفة آخر نهاية[1].

وحتى لا يبقى مجال لإفراط أو تفريط في باقي القوى كانت المعرفة نور القلب لما لها من أثر في سلوك ذلك الملك.

قال عليه السلام: إياكم وفضول المطعم فإنه يسم القلب بالفضلة ويبطئ الجوارح عن الطاعة ويصم الهمم عن سماع الموعظة[2].

ثم إن الذي يُمَكن العقل من ملء القلب بالعلم هو الاستعداد لتقبل الإيمان ولا يمكن التقبل إلّا بعد إعمال الحد الوسط لباقي القوى.

عن الإمام الباقر عليه السلام: لا يقبل عمل إلّا بمعرفة، ولا معرفة إلّا بعمل، ومن عمل دلته معرفته على العمل، ومن لم يعرف فلا عمل له[3].

---

(١) غرر الحكم.
(٢) البحار٦٩ص١٩٩.
(٣) تحف العقول ص٢٩٤.

في العلم:

شرف الإنسان من الوهلة الأولى وفضل على سائر المخلوقات بالعلم ولهذا أول ما نزل القرآن ليدل على ذلك الشرف ويُذّكر به على لسان النبي بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[1].

وما كان قوله ﷺ (وما أقرأ) إلّا تأكيداً لما سيلقى وتذكيراً على أن نعمة العلم لا تضاهيها إلّا نعمة الإيجاد من جهة، ومن جهة أخرى إن القلم هو رمز وكناية عن العلم والذي به تعرف العلوم وأن الحياة لا تكون إلّا بالعلم ولا يتمكن الإنسان من التفاعل مع ما حوله إلّا بالعلم وهناك آيات كثيرة تدل على العلم منها: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٦﴾[2].

﴿الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝١﴾[3].

﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ۝٤٩﴾[4].

﴿وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٧﴾[5].

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩﴾[6].

---

(١) سورة العلق.
(٢) سبأ الآية ٦.
(٣) إبراهيم الآية ١.
(٤) العنكبوت الآية ٤٩.
(٥) الجاثية الآية ١٧.
(٦) الحديد: الآية ٩.

أما الروايات فلا حصر لها وسبب عدم الحصر أنها ترجمان القرآن وتقريب صوره إلى الأذهان كل بحسبه.

منها قوله عليه السلام: الناس ثلاث فالعالم الرباني الناس منه في راحة لأنه تكفل بحمل عبء إدراك الأحكام والغور في مسارات الأحكام الخمسة وتوظيفها لخدمة المجتمع يتعامل على طبقها حتى تستمر الحياة بأمان ويسود المجتمع العدل والخير وكذلك المتعلمون ممن هم في خط التماس مع العالم الرباني ولذلك وصفهم عليه السلام بأنهم على سبيل نجاة لكن خراب الدنيا بالصنف الثالث الذي يدخل تحته المتعلم لكن لا على سبيل النجاة وسيأتي توضيحه في محله إن شاء الله تعالى والكلام عن العلم فقد عرف بأنه نور يقذفه الله في قلب من يشاء وهو العلم المطلق سواء أكان للدنيا أم لتكميل النفوس لتحصيل الآخرة

عن أمير المؤمنين عليه السلام: إن الإيمان يبدو لمظة في القلب كلما ازداد الإيمان عظماً ازدادت[1].

وعنه عليه السلام: بالإيمان يستدل على الصالحات وبالصالحات يستدل على الإيمان[2].

وعنه عليه السلام: قال لي رسول الله: يا علي اكتب، فقلت: ما أكتب؟ فقال بسم الله الرحمن الرحيم، الإيمان ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، الإسلام ما جرى على اللسان وحلت به المناكحة[3].

- وقال عليه السلام: لا تسترشد إلى الحزم بغير دليل العقل فتخطئ منهاج الرأي فإن أفضل العقل معرفة الحق بنفسه وأفضل العلم وقوف الرجل عند علمه[4].

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١٩ص١١١.
(٢) غرر الحكم ص٨٨.
(٣) البحار ج٥٠ ص٢٠٨.
(٤) البحار ج٧٥ ص٧.

قيمة المعرفة

عنه عليه السلام: رب معرفة أدت إلى تضليل[1].

عنه عليه السلام: لقاح المعرفة دراسة العلم[2].

عنه عليه السلام: ليست الروية كالمعاينة مع الإبصار، فقد يكذب العيون أهلها، ولا يغش العقل من استنصحه[3].

عنه عليه السلام: واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، لن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه[4].

عن الإمام الصادق عليه السلام: إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تعرفون حتى تصدقوا ولا تصدقون حتى تسلموا أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلّا بآخرها[5].

- طلبت الشرف فوجدته في العلم[6].

الإمام الكاظم عليه السلام: من لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه[7].

عن علي عليه السلام: القلوب أقفال مفاتحها السؤال[8].

- العلم خزائن ومفاتحها السؤال فاسألوا يرحمكم الله فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل، والمعلم، والمستمع، والسامع والمحب لهم[9].

---

(١) غرر الحكم ص٩٥.
(٢) نفسه ص٤٩.
(٣) نهج البلاغة ص٥٢٥.
(٤) شرح النهج لابن ابي الحديد ج٩ص١٦.
(٥) وسائل الشيعة ج٥ ص١٨٤.
(٦) مستدرك الوسائل ج١٥ ص١٧٤.
(٧) الكافي ج١ ص١٧.
(٨) غرر الحكم ص٦٠.
(٩) صحيفة الرضا ص٤٢.

- سل عما لا بدَّ لك من علمه ولا تعذر في جهالته[١].

- من أحسن السؤال علم[٢].

- إذا سألت فاسأل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً فإنّ الجاهل المتعلم شبيه بالعالم، وإن العالم المتعسف شبيه بالجاهل[٣].

- الناس منقوصون مدخولون إلّا من عصم الله سائلهم متعنت ومجيبهم متكلف[٤].

- لا يستحي العالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا علم لي به[٥].

- من كلامه قبل شهادته: غداً ترون أيامي ويكشف لكم عن سرائري وتعرفونني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي[٦].

عن الإمام الصادق عليه السلام: إن من أجاب في كل ما يسأل عنه لمجنون[٧].

عن الإمام زين العابدين عليه السلام: لا تزهد في مراجعة الجهل وإن كنت شهرت بخلافه[٨].

عن رسول الله عليه السلام: حسن السؤال نصف العلم[٩].

وعنه عليه السلام: أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة[١٠].

---

(١) غرر الحكم ص٦٠.
(٢) نفسه.
(٣) غرر الحكم ص٦٠.
(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد الحكمة ٣٤٣.
(٥) الجعفريات ص٢٣٦.
(٦) شرح النهج ج٩ ص١١٦.
(٧) معاني الأخبار ص٢٣٨.
(٨) البحار ج٧٥ ص١٦١.
(٩) كنز الفوائد ج٢ ص١٨٩.
(١٠) جامع الأخبار.

وَطَهِّرْ بُطُونَنا مِنَ الْحَرامِ وَالشُّبْهَةِ

صحة البدن من النعم التي لا يمكن عدها ولا حصرها وتتوقف على أسباب ونعم من جملتها الأكل، ونعمة الأكل أيضاً تتوقف على أسباب منها نوع الغذاء وأسبابه وعلى شهوة الطعام والميل إليه وإرادته وعلى أسباب تحصيله وطرق أخذه لتحصيل لذة المطعم رغم أنها أخس اللذات لاشتراك كل ما دب ودرج معها حتى الديدان والحشرات، إلّا انه يفترق عنها بقوة إضافية يميز بها صلاح العواقب وفسادها، فالحيوان يأكل ما يستلذ به في الحال ويسد له حاجته الآنية ولا يدرك الحال الثاني المتعقب للأكل الذي قد يسبب له المرض أو الموت لأنه لا يدرك إلّا الإحساس بالحاضر.

لكن الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان قوة العقل ليدرك بها أضرار الأطعمة ومنافعها في الحال والمآل وهذه المنفعة العقلية سبب الصحة البدنية ولا يحتاج هذا النوع من الصحة إلى ورع عن المحارم أو إلى الاحتياط في الدين ولا إلى أي واعز أو رادع سوى صلاحية المأكول للأكل وتحصيل فوائده لبناء البدن المادي الذي لا طريق له إلّا إلى الفناء.

أما الصحة الروحية فهي نعمة فوق كل نعمة بل لا تضاهيها نعمة، حيث

إن صلاح المُطعم يفتح أمامه آفاق العروج، وفساده يطفئ الأنوار فتعيش في خمول فذبول فأفول.

ثم إن الصحة الروحية التي هي الغاية، اتخذت البدن طريق لها وما يدخل المعدة من طعام تتأثر به لكن لا من جهة صحته وفساده البدني وإنما من جهة التشريع وأحكامه الخمسة فإن للمباحات أثر على النفس وإذا تكثرت يكون أثرها كأثر الطعام الفاسد على البدن فما ظنك بالمكروهات بل بالمحرمات !؟

قال أمير المؤمنين عليه السلام : إذا مُليَ البطن من المباح عَميَ القلب عن الصلاح[1].

وعن المسيح عيسى عليه السلام : يابني إسرائيل لا تكثروا الأكل فإنه من أكثر الأكل أكثر النوم ومن أكثر النوم أقل الصلاة ومن أقل الصلاة كتب من الغافلين[2].

عن النبي صلى الله عليه وآله : الأكل في السوق دناءة[3].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: نهى رسول الله عن الأكل على الجنابة وقال إنه يورث الفقر[4]. وعنه عليه السلام أيضاً: كثرة الأكل من الشره والشره من العيوب[5].

وعن الإمام الصادق عليه السلام : كثرة الأكل مكروه[6].

وما ذلك إلّا لأنّ كثرة الأكل لا تنم عن صحة روحية - وإن حصلت للآكل الصحة البدنية - وإنما هو دليل على مشاركة الشيطان واستمكانه منه.

---

(١) غرر الحكم.
(٢) تنبيه الخواطر ص٤٧.
(٣) مكارم الأخلاق.
(٤) الفقيه ٤ باب ذكر جمل من مناهيه ص.
(٥) مستدرك الوسائل ١٦ باب كراهة كثرة الأكل.
(٦) الوسائل ٢٤.

قال ﷺ: المؤمن يأكل في معاء واحد والمنافق في سبعة أمعاء[1].

وهذا مثل ضرب للمؤمن في زهده وقناعته بخلاف غيره الذي يدفعه حرصه على الدنيا وعدم قناعته إلى عدم المبالاة في مأكله ومشربه من أين يتناوله كما أن ذلك يجره إلى الشبع المتولد عنه القسوة وطاعة الشهوة.

وقال لقمان لابنه: يابني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة[2].

ثم إن التاريخ حفظ لنا صوراً عن أشخاص ليس لهم همٌّ إلّا احتواء الموائد مما أفصحوا عن سريرتهم إنهم بهائم في هيكل إنسان!! منهم معاوية ابن أبي سفيان: كان يأكل في اليوم أربع أكلات أخراهن عظماهن ثم يتعشى بعدها بثريدة عليها بصل كثير ودهن كثير قد شغلها وكان أكله فاحشاً يأكل فيلطخ منديلين أو ثلاثة قبل أن يفرغ وكان يأكل حتى يستلقي ويقول يا غلام ارفع فلأني والله ما شبعت ولكن مللت[3].

ومنهم: عبيد الله بن زياد كان يأكل في اليوم خمس أكلات أخراهن خبية بعسل ويوضع بين يديه بعد أن يفرغ الطعام عناق أو جدي فيأتي عليه وحده[4].

وكان سليمان بن عبد الملك المصيبة العظمى في الأكل دخل إلى الرافقة فقال لصاحب طعامه أطعمنا اليوم من خرفان الرافقة ودخل الحمام فأطال ثم خرج فأكل ثلاثين خروفاً بثمانين رغيفاً ثم قعد على المائدة فأكل مع الناس كأنه لم يأكل شيئاً. وقالوا كان الطعام الذي مات منه سليمان أنه

---

(١) مصباح الشريعة باب ٣٤ في الأكل.
(٢) مجموعة ورام ص٩٤ باب تهذيب الاخلاق.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٨ ص٣٩٧ نوادر المكثرين من الأكل.
(٤) نفسه.

قال لديراني كان صديقه قبل الخلافة: ويحك لا تقطعني ألطافك التي كنت تلطفني بها على عهد الوليد أخي قال فأتيته يوماً بزنبيلين كبيرين أحدهما بيض مسلوق والآخر تين فقال لقمنيه فكنت أقشر البيضة وأقرنها بالتينة وألقمه حتى أتى على الزنبيلين فأصابته تخمة عظيمة ومات[1].

وكان الحجاج عظيم الأكل قال مسلم بن قتيبة كنت في دار الحجاج مع ولده وأنا غلام فقيل قد جاء الأمير فدخل الحجاج فأمر بتنور فنصب وأمر رجلاً أن يخبز له خبز الماء ودعا بسمك فأتوه به فجعل يأكل حتى أكل ثمانين جاماً من السمك بثمانين رغيفاً من خبز الملة[2].

وهؤلاء وأمثالهم كثير ممن يخرجنا ذكرهم عن الغرض فنرجع ونقول: أما الحَرام فهو نقيض الحلال وجمعه حُرُم، والحرام ما حرم الله[3].

ثم إن أكل الحرام من أعظم الحجب المانعة عن نيل الدرجات والتعرض لاكتساب الأنوار والفيوضات والباعث القوي لاكتساب القلب الخبث والغفلة المؤديان بالتالي إلى خسران النفس وهلاكها، ثم إن النطفة المتكونة من الحرام لا يمكنها الوصول إلى مراتب الإنسانية وإن تمثلت بصوره. ووردت الروايات أن آكل الحرام وإن فعل الخيرات والمبرات فهو آخر المطاف إلى النار.

قال الكاظم عليه السلام لداود الصيرمي: يا داود إن الحرام لا ينمى وإن نما لا يبارك له فيه وما أنفقه لم يؤجر عليه وما خلفه كان زاده إلى النار[4].

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: نور الحكمة الجوع، والتباعد من الله

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٨ ص٣٩٧-٣٩٩ نوادر المكثرين من الأكل.
(٢) نفسه.
(٣) كتاب العين باب حرم.
(٤) الكافي باب المكاسب المحرمة.

الشبع، والقرب إلى الله حب المساكين والدنو منهم، لا تشبعوا فيطفىء نور المعرفة من قلوبكم[١].

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام : جاهدوا أنفسكم بقلة الطعام والشراب تظلكم الملائكة ويفر عنكم الشيطان[٢].

وعنه عليه السلام : جوعوا بطونكم وأظمئوا أكبادكم وأعروا أجسادكم وطهروا قلوبكم عساكم أن تجاوزوا الملأ الأعلى[٣].

في حديث المعراج في صفة أولياء الله: بطونهم خفيفة من أكل الحرام[٤].

وفي المعراج أيضاً: يا أحمد إن العبد إذا أجاع بطنه وحفظ لسانه علمته الحكمة وإن كان كافراً تكون حكمته حجة عليه ووبالاً وإن كان مؤمناً تكون حكمته له نور وبرهان وشفاء ورحمة فيعلم ما لم يكن يعلم ويبصر ما لم يكن يبصر فأول ما أبصره عيوب نفسه حتى يشتغل عن عيوب غيره وأبصره دقائق العلم حتى لا يدخل عليه الشيطان[٥].

وقال الإمام علي عليه السلام: بئس الطعام الحرام[٦].

عنه عليه السلام : لمن قال له أحب أن يستجاب دعائي : طهر مأكلك ولا تدخل بطنك الحرام[٧].

وفي الحديث القدسي فمنك الدعاء وعليَّ الإجابة فلا تحجب عني

---

(١) البحار ج٦٧.
(٢) مجموعة ورام ج٢ ص١٢١.
(٣) نفسه.
(٤) البحار ج٧٤.
(٥) نفسه.
(٦) اعلام الدين ص٢٨٦.
(٧) عدة الداعي ص١٣٩القسم ٢ فيمن استجيب دعاءه.

دعوة إلّا دعوة آكل الحرام[1]. وقال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[2]. أما والله كانت أعمالهم أشدّ بياضاً من القباطي ولكن كانوا إذا عرض لهم الحرام لم يدعوه[3].

من كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: أما بعد يابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها ... فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه[4].

أما الشبهة فهي لغة: الالتباس

اهتم القرآن والسنّة الشريفة بالإنسان ومتعلقات شوؤن حياته سواء أكانت الدنيوية منها أم الأخروية ودخلا معه حتى بيت الخلاء وبينا له آدابه فضلاً عن خلوته بنفسه وعن كيفية تعامله مع الصمت المحيط به ليخترقه بالتفكر بآياته وبديع صنعه حتى تنجلي الحجب عن القلب فتنعم الروح بنور ربها فكان اهتمام القرآن بالغاً إلى حدّ قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[5] وكانت السنة الشريفة: (... حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة....)[6] وكان حديث: (حلال بين وحرام بين...) وقد مر ذكره.

لكن الإنسان لا بدَّ له أن يبتلي وما الاختبار والابتلاء إلّا لأجل إلقاء

---

(١) البحارج٩٠ باب علة ابطاء الاجابة.
(٢) الفرقان الآية ٢٣.
(٣) الكافي ج٢ باب اجتناب المحارم.
(٤) الوسائل ج٢٧ باب وجوب التوقف والاحتياط.
(٥) من المائدة الآية ٣.
(٦) بصائر الدرجات ص١٤٨.

الحجة عليه بنفسه ومن نفسه قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[4].

ومن منطلق عراك الإنسان في معترك حياته قد تختلط عليه المفاهيم وقد يخذل العقل في درك الصواب لغلبة الهوى والنفس والشيطان المحيطون به لأجل خذلانه عن درك الواقع جاءت الشبهة لتدخله مرحلة الاختبار والامتحان أما أن يستحق الفوز والولوج في مدارج التوفيق أو الخسران فيهوي في مهالك خاذليه.

والخسران إما من الحرام وهذا لا يصدر إلّا عن معاند عامد وبحسبها يكون البعد عن الإيمان وقد مرت جملة من الروايات التي بينت صورة مرتكبي الحرام عقوبةً وصفةً.

والكلام فيمن جانب الحرام وعمل بالحلال، فأطاع وانزجر كما أن مسائل الحلال والحرام ليست كلها حاضرة عنده لأنّ مستجدات أموره الحياتية ومشاكله العملية وضعت أمامه العراقيل فحالت دون إدراك المسائل سواء أكان الإدراك بالمعرفة أم بالسؤال فليس كل العاملين بالحلال سواء في

---

(١) الانعام: ١٤٩.
(٢) النساء: ١٦٥.
(٣) محمد: ٣١.
(٤) آل عمران: ١٤٢.

الإدراك الشرعي والعقلي والعرفي أيضاً وقد يكون الفرد عاملاً بالحلال مدركاً لأحكام الشرع لكن النفس تسول له فعله وهواه يصحح له تجاوزه على الحق العام مثلاً أو حق نفسه كالذي يستغل طريق المارة لعرض بضاعته مزاحماً لهم ولا يدري أن لكل فرد حق الاشتراك في المرور ووقوع محل عمله على جانب الطريق لا يسوغ له استحواذ حقهم، فيكون آثمتً في إرباكه لحركتهم فيدخله الحرام ليشاركه في عمله. ولو رجعنا إلى فقه المعاملات باب الغصب نجد أن الفقهاء قسموا الغصب إلى غصب عين وغصب حق والأول سهل يسير ممكن رفع أثره التكليفي برد العين لمالكها أم الثاني فصعب عسير لأنه أولاً غصب معنوي وثانياً العسر والحرج في حصول البراءة خصوصاً في مثل اغتصاب حق الطريق لأنّ ملكيته مشاعة فكل فرد وكل مخلوق له حق المرور في هذا الطريق أو ذاك ولا يحق لأي كان ومهما كان حظر المرور ولا وجه شرعي في وضع الحواجز لمنع الكل أو البعض. وكتب الفقه واضحة وصريحة فمن شاء فليراجع ليجد بنفسه وهن المسوغات.

أو ذاك الذي يقيم مأدبة عشاء لزفاف ولده في المسجد ويدعو البر والفاجر، المجنب والمتطهر، الصبي والمجنون يدوسون أرض حرم المسجد بأحذيتهم ويزاحم الصلاة ظنّاً منه انه لم يرتكب محرماً وأن المعترضين عليه مذنبون في حقه.

ثم إن لكل شيء أثر، للطاعة أثر وهو التوفيق وللمعصية أثر وهو الخذلان وللشبهة أثر إن عمل بها اقترب من الحرام لأنها من المكروهات وإن تركها عمل بالاحتياط فسلم من التهلكات.

عن أمير المؤمنين عليه السلام : الشبهة على أربع شعب إعجاب بالزينة وتسويل النفس وتأول العوج ولبس الحق بالباطل وذلك بأن الزينة تصدف

عن البينة، وإن تسويل النفس يقحم على الشهوة، وإن العوج يميل بصاحبه ميلاً عظيماً، وإن اللبس ظلمات بعضها فوق بعض. فذلك الكفر ودعائمه وشعبه[١].

- إياك والوقوع في الشبهات والولوع بالشهوات فإنهما يقتادانك إلى الوقوع في الحرام وركوب كثير من الآثام[٢].

وقال عليه السلام : ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزته التقوى عن تقحم الشبهات[٣].

ومن وصاياه عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام : أوصيك يا حسن - وكفى بك وصيّاً - بما أوصاني به رسول الله : الصمت عند الشبهة[٤].

- أصل الحزم الوقوف عند الشبهة[٥].

- امسك عن طريق إذا خفت ضلاله فإنّ الكف عند حيرة الضلالة خير من ركوب الأهوال[٦].

- احذروا الشبهة فإنها وضعت للفتنة[٧].

وقال عليه السلام لعمار بن ياسر وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً : دعه يا عمار فإنه لم يأخذ من الدين إلّا ما قاربه من الدنيا، وعلى عمد لبس على نفسه ليجعل الشبهات عاذراً لسقطاته[٨].

---

(١) كتاب سليم الحديث٨٦.
(٢) غرر الحكم ص٧٢في الشبهات.
(٣) اعلام الدين نهج البلاغة ج٢٠.
(٤) أمالي المفيد المجلس ٢٦.
(٥) بحار ٧٥ باب ١٦ ما جمع من جوامع كلامه.
(٦) وسائل ٢٧ باب وجوب التوقف والاحتياط.
(٧) تحف العقول مواعظ أمير المؤمنين.
(٨) شرح نهج البلاغة لابن ابي الجديد ج٢٠.

- اقصد العلماء للمحجة الممسك عند الشبهة[1].

الإمام زين العابدين عليه السلام في الدعاء : ووفقني إذا أشكلت علي الأمور لأهداها وإذا تشابهت الأعمال لأزكاها وإذا تناقضت الملل لأرضاها[2].

الإمام الصادق عليه السلام : من كانت له حقيقة ثابتة لم يقم على شبهة هامدة ؛ حتى يعلم منتهى الغاية[3].

موعظة من زبور داود عليه السلام:

يا داود: لو رأيت صاحب التبعات قد جعل في عنقه طوق من نار فحاسبوا نفوسكم وأنصفوا الناس ودعوا الدنيا وزينتها يا أيها الغفول ما تصنع بدنيا يخرج منها الرجل صحيحاً ويرجع سقيماً ويخرج فيجبى جباية فيكبل بالحديد والأغلال ويخرج الرجل صحيحاً فيرد قتيلاً ويحكم لو رأيتم الجنة وما أعددت فيها لأوليائي من النعيم لما ذقتم دواءها بشهوة أين المشتاقون إلى لذيذ الطعام والشراب؟ أين الذين جعلوا مع الضحك بكاء؟ أين الذين هجموا على مساجدي في الصيف والشتاء انظروا اليوم ما ترى أعينكم فطالما كنتم تسهرون والناس نيام فاستمتعوا اليوم ما أردتم فإني قد رضيت عنكم أجمعين ولقد كانت أعمالكم الزاكية تدفع سخطي عن أهل الدنيا يا رضوان اسقهم من الشراب الآن فيشربون وتزداد وجوههم نضرة فيقول رضوان هل تدرون لِمَ فعلت هذا؟ لأنه لم تطأ فروجكم فروج الحرام ولم تغبطوا الملوك والأغنياء غير المساكين يا رضوان أظهر لعبادي ما أعددت لهم ثمانية ألف ضعف[4].

---

(١) كشف الغمة ج٢ ص٣٤٨.
(٢) الصحيفة السجادية دعاء مكارم الاخلاق.
(٣) الكافي ج٢ ص٢٤٢حديث القباب.
(٤) سعد السعود ص٤٨.

وَاكْفُفْ أَيْدِيَنا عَنِ الظُّلْمِ وَالسَّرِقَةِ

كَفَأَ القومُ: انْصَرَفُوا عن الشيءِ .

وكَفَأَهُم عنه كَفْأً: صَرَفَهم .

وقيل: كَفَأْتُهُم كَفْأً إذا أَرادوا وجهاً فَصَرَفْتَهم عنه إلى غيره، فانْكَفَؤُوا أَي رَجَعُوا .

كفف: كفّ الشيءَ يكُفُّه كَفّاً: جمعه[1] .

هذا في اللغة ثم إن من بدائع صنع الله تعالى وعجائب إتقانه تمكين أجزاء الكون التكيف مع ما يغايرها بما يتناسب وقابلياتها وإيجادها للحد الوسط في التعايش الكوني، وخروجها عن ذلك الحد يوقعها إما في الإفراط أو في التفريط، فمثلاً الله سبحانه وتعالى مكن الإنسان من إحداث حالة التنقل والانتقال بقدمين ومن جهة مكن الأرض من الاستجابة لطي المسافة بالقدمين بواسطتها فلو تعطلت قابلية الأرض فحينئذ تبقى القدمان تتحركان في مكانها ويدور الإنسان في نفس المكان لا يتقدم أو يتأخر قيد أنملة وكذا لو تعطلت القابلية للقدمين لكانت قابلية الأرض ذا مسار واتجاه

---

(١) لسان العرب.

واحد وعندها لا يتمكن الإنسان من التحرك بسهولة لقضاء حوائجه. ومثل الأول كجهاز تقوية عضلات المشلول ومثل الثاني كالدرج أو المصعد الكهربائي، وهكذا انحراف لا يوجد خللاً في كليات النظام الكوني بل قد يكون في استخداماته خصوصاً في حالة تعطيل طرفي الإفراط والتفريط والتي تسمى بحالة فقدان التوازن كما عند رجال الفضاء.

وبعبارة أخرى: إن الله تعالى زود الإنسان بعدد وأدوات (الجوارح) ليتمكن بها من إحداث حالة التعايش الكوني وإن الخروج أو الميل إلى أحد الطرفين يحدث خللاً في عملية ذلك التعايش، فالفساد الذي تحدثه النوايا إن لم تظهره للخارج عن طريق الجوارح لم يعد فساداً لانعدام أثره في الخارج وإن الحياة صورتها بآثارها وبالعكس فإن كل ما تظهره الجوارح من خير أو شر له أثره في تغيير منهجية التعايش وإن لم يكن مدعوماً ومصدقاً من النية.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لو كانت النيات من أهل الفسق يؤخذ بها أهلها إذاً لأخذ كل من نوى الزنى بالزنى وكل من نوى السرقة بالسرقة وكل من نوى القتل بالقتل ولكن الله عدل كريم ليس الجور من شأنه ولكنه يثيب على نيات الخير أهلها وإضمارهم عليها ولا يؤاخذ أهل الفسق حتى يفعلوا[1].

وعلى هذا ولأجل أن يعيش الإنسان حياته وفق منهج التكوين عليه اتباع إرشادات المصلح الإلهي (النبي أو الإمام) في عدم الانحراف عن خط الاعتدال بالسيطرة على جوارحه التي بها يحصل التغيير أو الاستقامة في التعايش. والإمام (روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء) يبين لنا حدود العمل حتى تتحقق الإرادة الإلهية في خلافة الإنسان للأرض بالمعنى العام، فإنّ معناها الخاص منحصر بهم (صلوات الله عليهم أجمعين) والمعنى العام منبثق من ذلك الخاص عاكس له.

---

(١) وسائل الشيعة ج١ص٥٥ باب استحباب نية الخير والعزم عليها.

واليد من هذه الأدوات التي تعد من أساسيات تحقيق التعايش، لكن إنضمار دور الضمير يؤدي بهذه الجارحة إلى التفريط فيظلم ويسرق أو الميل إلى الإفراط فيعطلها عن أداء ما أنيط بها.

والكلام في الحالة الأولى الدافعة إلى الظلم والاعتداء، وهذه الحالة مدفوعة من طغيان أنانية الفرد في التعايش وإن لم يكن كذلك لكان المحرك له في هذا الأمر هو الموضوعية والشعور بالغيرية ولأنتفض الضمير وصار هو الحاكم والموجه للجوارح عموماً فضلاً عن اليد.

وهذه الحالة من التحول المثالي هو صنيعة الدين في النفوس، فإنه يجعل الضمير هو الرقيب ولا يحتاج الإنسان معه إلى معقب سواء أكان في السر أم في العلن، في الخلاء أم في الملأ، ما له إلّا صورة واحدة وهي التعايش وفق منهج الدين.

فالظلم لا يكون إلّا من طغيان حب الذات وشعور الفرد بالكبر والغرور بأنه لا يستحق التعايش بسلام وأمان سواه. أوحى الله تعالى إلى نبيه داود عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة وأتم السلام: يا داود إن الكبائر والكبر حرد[1] لا يتغير أبداً فإذا رأيت ظالماً قد رفعته الدنيا فلا تغبطه فإنه لا بد له من أحد الأمرين إما أن أسلط عليه ظالماً أظلم منه فينتقم منه وإما ألزمه ردّ التبعات يوم القيامة[2].

ولما كان الظلم ضد العدالة فإنه يتشعب إلى ظلمه لخالقه والى ظلمه لنفسه والى ظلمه لبني جنسه وغيرهم، وله معنيان معنى عام وهو التعدي عن الحد الوسط في أي شيء كان، ومعنى خاص وهو إيراد الضرر بالغير وإيقاع الأذى به بأي شيء كان بالقتل والضرب والشتم والقذف والغيبة أم بأخذ

---

(١) الحَرد: هو النكد والغضب.

(٢) بحار الأنوار ج١٤ باب ما أوحي إليه.

المال قهراً بالنهب والغصب والسرقة وغيرها من الأقوال والأفعال المؤذية والباعث لكل هذا هو تحرك قواه غير العقلية فينعدم دور الضمير في التحكم والسيطرة. ولا سبيل للخروج من ربقة هذه الرذيلة سوى إفساح المجال لسبل العقل في السيطرة على باقي القوى، ولا يكون ذلك إلّا بالتحصين بالدين الذي يدعو على الأقل إلى تذكر الآخرة (بغض النظر عن تفعيل دور الدين في المجتمع) وإن الله تعالى لا يهمل الظُّلامات ولا يرد دعوة المظلومين وإنه الناصر لهم على من ظلمهم وإن طال الأمد فهو سبحانه المقدر لمواقيت أخذهم بظلمهم.

وعنه عليه السلام: إن الله يمهل الظالم حتى يقول قد أهملني ثم يأخذه أخذة رابية إن الله حمد نفسه عند هلاك الظالمين فقال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين[1].

عنه عليه السلام: أوحى الله عزَّ وجلَّ إلي: يا أخا المرسلين يا أخا المنذرين انذر قومك أن لا يدخلوا بيوتاً من بيوتي إلّا بقلوب سليمة وألسن صادقة وأيد نقية وفروج طاهرة ولا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحد منهم ظُلامة فإني ألعَنُه ما دام قائماً بين يدي يصلي حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها[2].

عن الإمام علي عليه السلام: للظالم البادي غداً بكفه عَضّة[3].

وعنه عليه السلام: الظلم في الدنيا بوار وفي الآخرة دمار[4].

وعنه عليه السلام: اقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا ظالمين[5].

---

(١) اعلام الدين ص١٦٩.
(٢) مجموعة ورام.
(٣) خصائص الأئمة ص٨٧ نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٨ ص٣٦٨.
(٤) غرر الحكم ص٤٥٧.
(٥) نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩.

وعنه عليه السلام: من ظلم عباد الله كان خصمه دون عباده[1].

وعنه عليه السلام: فالله الله في عاجل البغي وآجل وخامة الظلم وسوء عاقبة الكبر[2].

وعنه عليه السلام: والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً أو أجر في الأغلال مصفداً أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من الحطام وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها[3].

- عنه عليه السلام: ما زلت منذ قبض رسول الله مظلوماً[4].

- عنه عليه السلام: كنت أرى أن الوالي يظلم الرعية فإذا الرعية تظلم الوالي[5].

عنه عليه السلام: أجور الناس من عد جوره عدلاً منه[6].

عنه عليه السلام: كيف يعدل في غيره من يظلم نفسه[7].

عنه عليه السلام: عجبت لمن يظلم نفسه كيف ينصف غيره[8].

عنه عليه السلام: ظلم نفسه من عصى الله وأطاع الشيطان. قال تعالى ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[9].

---

(١) مستدرك الوسائل ج١١ص٣١٠.
(٢) ابن ابي الحديد في شرح الخطبة القاصعة ج١٣ص١٦٣.
(٣) ابن ابي الحديد ج١١ص٢٤٥.
(٤) البحار ج١٣ ص٢٢، خصائص الأئمة ص٩٩.
(٥) ميزان الحكمة.
(٦) كفتار أمير المؤمنين (كتاب فارسي).
(٧) المصدر السابق.
(٨) المصدر السابق.
(٩) الإسراء: من الآية ٧.

الإمام الباقر عليه السلام : ما انتصر الله من ظالم إلّا بظالم وذلك قوله عزَّ وجلَّ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾[1].

الإمام الرضا عليه السلام: لا يزال العبد يسرق حتى إذا استوى ثمن دية يده أظهره الله عليه[2].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يصلح شراء السرقة والخيانة إذا عُرفت[3]. لأنه لا بيع إلّا في ملك وهنا اليد الموضوعة على هذه العين هي يد عدوانية لا يجوز لها التصرف بملك الغير إلّا بإجازة المالك الشرعي سواء أكان المالك فرداً أم جماعة وخلافه يعد التصرف تصرفاً عدوانياً وغصبياً له أثره التكليفي والوضعي.

---

(١) الأنعام: ١٢٩.

(٢) عيون اخبار الرضا ج١ص٢٨٩.

(٣) التهذيب ج٦ص٣٧٤.

وَاغْضُضْ أَبْصارَنا عَنِ الْفُجُورِ وَالْخِيانَةِ

في البصر

الغَضاضةُ: الفُتُورُ في الطرف؛ يقال: غَضَّ وأَغْضى إِذا دانى بين جفنيه ولم يُلاقِ.

وغَضَّ طَرْفَه وبَصره يَغُضُّه غَضّاً غَضاضاً وغِضاضاً وغَضاضةً، فهو مَغْضُوضٌ وغَضِيضٌ: كفَّه وخَفَضَه وكسره، وقيل: هو إِذا دانى بين جفونه ونظر، وقيل: الغَضِيضُ الطرْفُ المُسْتَرْخي الأَجفانِ.

وغَضَّ الطرْفَ أَي كَفَّ البَصَرَ[1].

وأغض الرجل العين بالأنف: قارب بين جفنيها، ثم استعمل في الحلم فقيل غض على القذى إذا أمسك عفواً عنه.

والبصر: العين وحاسة الرؤية[2].

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[3].

---

(١) لسان العرب.

(٢) مجمع البحرين.

(٣) النور ٣٠.

لا يخفى أن البصر من الجوارح المشتركة بين الإنسان وقسيمه (الحيوان) وبتميز الإنسان بالعقل دخلت جوارحه حقلي الإفراط والتفريط ومنها البصر. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح بني آدم وقسمه عليها وليس من جوارحه جارحة إلّا وقد وكلت به من الإيمان بغير ما وكلت به أختها ومنها عيناه اللتان ينظر بهما ورجلاه اللتان يمشي بهما ففرض على العين ألا تنظر إلى ما حرم الله عليه وأن تغمض عما نهاه الله عنه مما لا يحل له وهو عمله وهو من الإيمان قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[1] فهذا ما فرض الله من غض البصر عما حرم الله وهو عملها وهو من الإيمان)[2].

فهذه الجارحة التي لها القابلية على استيعاب أكبر الموجودات وأوسع المساحات وإرسالها إلى العقل ليُشرك باقي الجوارح في استخدامها والتفاعل معها، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (إن الله يحب البصر النافذ عند مجيء الشهوات والعقل الكامل عند نزول الشبهات ويحب السماحة ولو على تمرات ويحب الشجاعة ولو على قتل حية)[3].

هذه الجارحة نجدها تتعامل مع الجوارح من خلال القلب مباشرة وتتفاعل معها تفاعلاً آنياً قال الإمام علي عليه السلام: (القلب مصحف البصر)[4]

ولا يكون ذلك التفاعل نافعاً إذا غاب أو انعدم دور العقل في السيطرة والتوجيه، كما قال عليه السلام: (نظر البصر لا يجدي إذا عميت البصيرة)[5].

---

(١) الاسراء: ٣٦.
(٢) المستدرك ج١١ باب الفروض على الجوارح.
(٣) البحار ج٦١ باب١٠ النحل والملل.
(٤) نهج ج٢٠ ص٤٤٨.
(٥) غرر الحكم ص٤١ الفصل الأول أهمية المعرفة.

أو أنها تترك الصورتين وتتجاهل محيطها فلا تنسخ ما تلتقطه أو ترسله. وفي الصورة الأولى يكون دور الحد الوسط لأنه المناط فيها وما ينبغي فعله منها. جاء في رسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام قال: وحق البصر أن تغضه عما لا يحل لك وتعتبر بالنظر به[1].

وفي الصورة الثانية والثالثة يأتي دور الإفراط والتفريط فيكون قريباً من البهيمية والوهمية الخيالية.

ومع هذا فلا أحد يرغب في أن يُصنَّف تحت واحدة من الصورتين الأخيرتين، ولكن نجد البعض يترك أو يتجاهل العمل بالحد الوسط الذي مساره - بعد اختزال مسارات الإفراط والتفريط - هو كل ما فيه تفعيل الطاعة والعبودية وهذا من نكات الفقرة الأولى من الدعاء (اللَّهمَّ ارزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية) فإن البعد عن المعصية هو اجتنابها وإن المراد من الاجتناب في هذا المضمار هو الإقلاع عنها بإقلاعها من الذات ولا تنقلع إلّا بعد محو صورها بعدم وقوع النظر عليها أوعلى مشابهاتها . .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : غضوا أبصاركم ترون العجائب[2] .

وسئل أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله: بماذا يستعان على غضّ البصر؟ فقال: بالخمود تحت سلطان المطلع على سرك والعين جاسوس القلب وبريد العقلِ فغض بصرك عما لا يليق بدينك ويكرهه قلبك وينكره عقلك[3]. قال الإمام الصادق عليه السلام : ما اغتنم أحد بمثل ما اغتنم بغض البصر فإن البصر لا يغض عن محارم الله إلّا وقد سبق إلى قلبه مشاهدة العظمة والجلال[4].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٦١٩.
(٢) مستدرك الوسائل ج١٤ص٢٦٨.
(٣) مصباح الشريعة ص٩ باب٣ في غض البصر.
(٤) نفسه.

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام للحواريين: إياكم والنظر إلى المحذورات فإنه بذر الشهوات ونبات الفسق[1].

وقال يحيى بن زكريا عليه السلام: الموت أحب إلي من نظرة لغير واجب[2].

ثم إنه لما كان دوام النظر للشمس لا تتمكن منه العين، وإن تمكنت فإنه يترك أثره في عدم رؤية الأشياء على صفائها لشوبها بانعكاس الشعاع الزائد في العين على الأشياء مكوناً كتلة من السراب وركاماً من الغواش؛ كذلك يكون ترك الحد الوسط أو العمل به مع خلطه ببعض من طرفيه فإنه يحجب الرؤيا عن حقيقة الأشياء.

وقد يكون الفجور حدّاً للتفريط، والخيانة حدّاً للإفراط لما فيه من تعطيل دور البصر في التفاعل الحياتي الذي لا يخرج عن كونه عملاً عبادياً، ولكن لنأخذ هذا الأمر على ظاهره وندخل في عرضهما على اللغة والأحاديث:

أولاً: مادة فجر، جاء في لسان العرب:

فَجَرَ: مال عن الحق.

فَجَر إذا كذب، وأَصله الميل.

فَجَرَ الإِنسانُ يَفْجُرُ فَجْراً وفُجوراً: انْبَعَثَ في المعاصي.

وفَجَرَ فُجُوراً أَي فسق.

* اعلموا عباد الله أن التقوى دار حصن عزيز والفجور دار حصن ذليل لا يمنع أهله ولا يحرز من لجأ إليه[3].

---

(١) البحار ج١٠١ باب٣٤ من يحل النظر إليه.
(٢) المصدر نفسه السابق.
(٣) شرح النهج ج٩ص٢٠٩.

من هذا نفهم أن الحد الوسط للفجور هو التقوى، فإنها تعد سلاح العقل في التوجيه والخروج عنها يكون ميلاً لأحد طرفيها الذي لا يخلو من إضافة المنقصة وورود المهلكة لأن الميل عن التقوى يعد انتهاكاً للمحارم بوجه من الوجوه.

قال ﷺ: أحمق الحمق الفجور[1].

عن أبي عبد الله عليه السلام: قال مكتوب في التوراة ابن آدم كن كيف شئت كما تدين تدان من رضي من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه القليل من العمل ومن رضي باليسير من الحلال خفت مؤنته وزكت مكسبته وخرج من حد الفجور[2].

عن رسول الله ﷺ قال: إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار[3].

الإمام علي عليه السلام: قال ثلاث شين الدين الفجور والغدر والخيانة[4]. - الحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور[5].

- قد تواخى الناس على الفجور وتهاجروا على الدين وتحابوا على الكذب وتباغضوا على الصدق[6].

- إياك وانتهاك المحارم فإنها شيمة الفساق وأولي الفجور والغواية[7].

- يفسد الطمع الورع والفجور التقوى[8].

---

(١) الزهد ص١٤.
(٢) الكافي ج٢ ص١٣٨ باب القناعة.
(٣) جامع الأخبار.
(٤) مستدرك ج١٤ باب تحريم الخيانة.
(٥) نهج ج١٦ باب أقوال حكيمة في وصف الدنيا.
(٦) غرر الحكم ص١٢٢ ذم زمانه وأهله.
(٧) المصدر السابق ص١٨٥ ذم معصية الله.
(٨) المصدر السابق ص٢٧٢ رابطة الورع والطمع.

- سبب الفجور الخلوة[1] .

- ليس مع قطيعة الرحم نماء ولا مع الفجور غنى[2] .

ثانياً : الخيانة

خائنة العين : ما تخون من مسارقة النظر أي : تنظر إلى ما لا يحل[3].

عنه ﷺ : إفشاء سر أخيك خيانة فاجتنب ذلك[4].

وصيته ﷺ لأبي ذر : أربع لا تدخل بيتاً واحدة منهن إلّا خرب ولم يعمر بالبركة : الخيانة، والسرقة، وشرب الخمر، والزنى[5] .وعنه ﷺ : ليس منا من خان بالأمانة[6] .

وعنه ﷺ : أما علامة الخائن فأربع : عصيان الرحمن وأذى الجيران وبغض الأقران والقرب إلى الطغيان[7] .

علي عليه السلام : عجباً لابن النابغة!يزعم لأهل الشام أن في دعابة وإني امرؤ تلعابة أعافس وأمارس لقد قال باطلاً ونطق إثماً أما والله إنه ليمنعني من اللعب ذكر الموت وانه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة[8].

علي عليه السلام : إذا ظهرت الخيانات ارتفعت البركات[9] .

---

(١) المصدر السابق ص٤٦٢.
(٢) كنز الفوائد باب كلامه وحكمه.
(٣) مجمع البحرين.
(٤) مكارم الأخلاق.
(٥) أعلام الدين ما جاء في عقاب الأعمال ص٤٠٤.
(٦) مشكاة الفصل الرابع عشر في أداء الأمانة.
(٧) تحف العقول ص٢١ ومن حكمه ص وكلامه.
(٨) الاحتجاج ج١.
(٩) غرر الحكم.

علي عليه السلام: من أمِنَ الزمان خانه[1].

علي عليه السلام: إياك والخيانة فإنها شر معصية، وإن الخائن لمعذب بالنار على خيانته[2].

علي عليه السلام: الخيانة دليل على قلة الورع وعدم الديانة[3].

سليمان بن خالد: سألت أبا عبد الله عن رجل وقع لي عنده مال وكابرني عليه وحلف ثم وقع له عندي مال فآخذه مكان مالي الذي آخذه وأجحده وأحلف عليه كما صنع؟ فقال إن خانك فلا تخنه فلا تدخل فيما عبته عليه[4]. الإمام الصادق عليه السلام تناصحوا في العلم فإنّ خيانة أحدكم في علمه أشدّ من خيانته في ماله[5].

الإمام الجواد عليه السلام: كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة[6].

- فرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرم الله عليه وأن يعرض عما نهى الله عنه مما لا يحل له وهو عمله وهو من الإيمان[7].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صلاة الليل تحسن الوجه وتذهب الهم وتجلو البصر[8].

وقال عبد الله بن مسعود لرجل نظر إلى امرأة قد عادها في مرضها: لو ذهبت عيناك لكان خيراً لك من عيادة مريضك ولا تتوفر عين نصيبها من نظر

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦.
(٢) مستدرك ج١٤ باب تحريم الخيانة.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) من لا يحضره الفقيه ج٣ باب الدين والقرض.
(٥) الأمالي للطوسي المجلس الخامس.
(٦) بحار ج٧٢ باب الركون للظلمة.
(٧) المستدرك ج١ص٢٤٥.
(٨) التهذيب ج٢ص١٢١.

إلى محذور إلّا وقد انعقد عقدة في قلبه من المنية ولا تنحل إلّا بإحدى الحالتين إما ببكاء الحسرة والندامة بتوبة صادقة وإما بأخذ حظه مما تمنى ونظر إليه فأخذ الحظ من غير توبة فمصيره إلى النار وأما التائب الباكي بالحسرة والندامة عن ذلك فمأواه الجنة ومنقلبه الرضوان[1].

- خفض الصوت وغض البصر ومشي القصد من أمارة الإيمان وحسن التدين[2].

علي عليه السلام في وصية من وصاياه لابنه محمد بن الحنفية : يا بني لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم ؛ فإنّ الله تبارك وتعالى قد فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة ويسألك عنها وذكرها ووعظها وحذرها وأدبها ولم يتركها سدى فقال عزَّ وجلَّ : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[3] وقال عزَّ وجلَّ : ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾[4] ثم استعبدها بطاعته فقال عزَّ وجلَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾[5] فهذه فريضة جامعة واجبة على الجوارح.

---

(١) مصباح الشريعة ص٩ باب غض البصر.
(٢) غرر الحكم ص٨٩.
(٣) الاسراء: ٣٦.
(٤) النور: ١٥.
(٥) الحج: ٧٧.

وَاسْدُدْ أَسْماعَنا عَنِ اللَّغْوِ وَالْغيبَةِ

السداد في اللغة :

١- كتاب العين

السداد: الشيء الذي تسد به كوة أو منفذ سداً، ومنه قيل: في هذا سداد من عوز، أي يسد من الحاجة سدّاً .

والسد: ردم الثلمة، والشعب ونحوه .

والسداد: إصابة القصد.

وسددك الله: وفقك للقصد والرشاد .

٢- مجمع البحرين :

في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: سدَّد وقارب .

ومعناه اقتصد في الأمور كلها، من قولهم سدَّد الرجل: إذا لزم الطريقة المستقيمة، وقارب من المقاربة أيضاً، وهي القصد في الأمر الذي لا غلو فيه ولا تقصير، والمراد طلب الإصابة فيما يتوجه إلى الله تعالى والأخذ بما لا إفراط فيه ولا تفريط.

٣- لسان العرب :

يقال سَدِّدْ صاحِبَكَ أي علمه واهده، وسَدِّد مالك أي أَحسن العمل به .

ورجل مُسَدَّدٌ: مُوَفَّق يعمل بالسَّدادِ والقصْد .

والمُسَدَّدُ: المُقوَّم .

والسَّداد، بالفتح: الاستقامة والصواب؛ وفي الحديث: قاربوا وسَدِّدوا أَي اطلبوا بأَعمالكم السَّداد والاستقامة، وهو القصد في الأَمر والعدل فيه ؛ ومنه الحديث: قال لعليّ، كرم الله وجهه: سلِ اللهَ السَّداد، واذكر بالسَّداد تَسديدَكَ السهم أَي إِصابةَ القصد به .

قال في المجمل السداد بالفتح: الاستقامة، ومنه من يعصي الله يخطىء السداد.

والتسديد: التوفيق للسداد، وهو الصواب من القول والعمل، ومنه اللَّهمَّ سددنا انتهى.

فيكون المعنى وفقنا للانتفاع بأسماعنا وجنبنا فضوله وعن كل ما من شأنه حجب التوفيق.

في اللغو:

لسان العرب

اللَّغْو واللَّغا: السَّقَط وما لا يُعتدّ به من كلام وغيره ولا يُحصَل منه على فائدة ولا على نفع. واللَّغْو: النُّطق.

في الغيبة:

١- لسان العرب

اغْتابَ الرجل صاحبه اغْتِياباً إِذا وقع فيه، وهو أَن يتكلم خَلْفَ إنسان مستور بسوء، أَو بما يَغُمُّه لو سمعه وإِن كان فيه، فإِن كان صدقاً، فهو غِيبةٌ؛

وإن كان كذباً، فهو البَهْتُ والبُهْتانُ؛ كذلك جاء عن النبي ﷺ ولا يكون ذلك إلا من ورائه، والاسم: الغِيبةُ.

٢- مجمع البحرين

قوله: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[١] يقال اغتابه اغتياباً: إذا وقع فيه، والاسم: الغيبة بالكسر، وهو أن يتكلم خلف إنسان مستور بما يغمه لو سمعه، فإن كان صدقاً سمي غيبة وإن كان كذباً سمي بهتاناً. والغِيبةُ: من الاغْتِيابِ. انتهى.

ما هو النطق؟

النطق هو مطلق الكلام الذي يشتمل على المفيد النافع كطلب العلم والسعي لخدمة الناس والمجتمع، وعلى غيره الذي ينقسم إلى أولاً: الكلام المباح الذي تتساوى كفتاه، الإحجام أو التعرض له، ويكون الإحجام عنه أولى من التعرض، وثانياً: على الكلام الضار الذي يكون تركه والإحجام عنه واجباً، لأنه لا يخرج عن النطق الفاسد المؤدي إلى التهلكة فهو إما بهتان أو غيبة أو نميمة والنمام يكون شر الناس وأخبثهم لأنه يكون حاوياً لجميع الرذائل قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾[٢].

والنميمة نوع خاص من إفشاء السر وهتكه، وتطلق على من ينم قول الغير إلى المقول فيه، أو يكون النقل لا على نحو اختصاصه بالمقول فيه بل على نحو كشف ما يكره كشفه؛ فيجب على كل مسلم السكوت عما يطلع عليه من أحوال الناس فإن كل ما لا يرضوا بإفشائه تعد إذاعته نميمة.

---

(١) الحجرات: من الآية ١٢.
(٢) الرعد: ٢٥.

جاء عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قلت له جعلت فداك الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكره له فأسأله عنه فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقات فقال لي: يا محمد كذب سمعك وبصرك عن أخيك فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدقه وكذبهم ولا تذيعن عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروته فتكون من الذين قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[1].

ثم إن الباعث على النميمة يكون غالباً إرادة السوء بالمحكي عنه وعليه تكون من أشنع الأفعال قال تعالى في سورة القلم : ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾.

ولما كان اللغو هو التعرض للكلام بما لا يعني ولا فائدة فيه أصلاً، لا في دين ولا في دنيا، فعن علي عليه السلام: كل قول ليس لله فيه ذكر فلغو[2].

وعن الصادق عليه السلام في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾[3]: هو أن يتقول الرجل عليك بالباطل، أو يأتيك بما ليس فيك، فتعرض عنه لله.فلا بدَّ أن يكون مَن هكذا حاله فضولياً، والفضول أعم من الكلام بما لا يعني وبما لا فائدة فيه وهذا النوع من الكلام يكون مذموماً لأنه يوجب تضييع الوقت ويمنع من الذكر لله تعالى ومن الفكر والتفكر في الخير فإنه وإن كان لا إثم فيه في بعض الحالات كالمزاح غير المخرج عن الحق وحد الاعتدال[4].

---

(١) سورة النور، الآية: ١٩.
(٢) بحار الأنوار ٧٨ / ٩٢/ ١٠١.
(٣) المؤمنون:٣.
(٤) مجمع البيان ٧/ ١٥٧.

عن الفضل بن أبي قرة الكوفي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما من مؤمن إلّا وفيه دعابة قلت وما الدعابة؟ قال المزاح[1] .

عنه أيضاً عليه السلام قال : المروّة مروتان مروّة الحضر ومروّة السفر فأما مروّة الحضر فتلاوة القرآن وحضور المساجد وصحبة أهل الخير والنظر في الفقه وأما مروّة السفر فبذل الزاد والمزاح في غير ما يسخط الله وقلة الخلاف على من صحبك وترك الرواية عليهم إذا أنت فارقتهم[2].

وحدود الحق والاعتدال قد لا يتحصل من أمثالنا لأنا لا ندرك تمام حدودهما لأننا إن تمازحنا أخرجنا ذلك إلى العجب والسخرية المؤدي بالآخرة إلى انتقاص الشخصية.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كثرة المزاح تذهب بماء الوجه وكثرة الضحك تمحو الإيمان وكثرة الكذب تذهب بالبهاء[3] .

وقال الإمام الصادق عليه السلام : إياكم والمزاح فإنه يجر السخيمة ويورث الضغينة وهو السب الأصغر[4].

كما وأنه يمنع من تحصيل الثواب فإن رأس مال العبد أوقاته فإذا صرفها فيما لا يعني فقد خسر رأس ماله لخوضه في الباطل وذلك الحرام بعينه. ومن ذلك الباطل الغيبة التي تعد من أعظم المهلكات وأشد المعاصي، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[5] والمُجمع على حقيقة الغيبة هو

---

(١) مستطرفات السرائر / ص٥٧٩.
(٢) مستدرك الوسائل ٣/ ٣٥٧.
(٣) أمالي الصدوق ص٢٧٠.
(٤) بحار الأنوار ج٦٠.
(٥) الحجرات: ١٢.

ذكر الغير بما يكرهه إذا سمعه، ولا تنحصر باللسان فقط بل بكل ما يفهم منه التعرض لانتقاص الغير سواء أكان بالغمز واللمز أم بالإشارة والإيماء أم بالكتابة والحركة، بل بكل ما يوحي إلى ذلك الانتقاص.

والمستمع للغيبة أحد المغتابين إذا ما خرج عن حد إثمها بإنكارها بلسانه بدفاعه عن المغتاب أو بنصح المستغيب وزجره عما اقترفه بحق أخيه أو بقطع الكلام بكلام آخر أو بالخروج من المجلس وهذا ما حكم به العقل فإن الكف عن أعراض الناس من أفضل الأعمال وخلافه يعد نفاقاً.

قال رجل للإمام علي بن الحسين عليه السلام: إن فلاناً ينسبك إلى أنك ضال مبتدع، فقال له عليه السلام: ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه! إياك والغيبة فإنها أدام كلاب النار، اعلم أن من أكثر من ذكر عيوب الناس شهد عليه الإكثار انه إنما يطلبها بقدر ما فيه[1].

ولذلك يعد اللغو بأنواعه مع الغيبة من الذنوب التي تهتك العصم والتي يجب تنزيه السمع عنها وعن كل ما يقطع العلائق مع الرب تبارك وتعالى بالتحلي بترك الفضول والتطفل.

وقال علي عليه السلام: من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون[2].

- إياك والدخول فيما لا يعنيك فتذل[3].

وعن الصادق عليه السلام: لايغرنك الناس من نفسك؛ فإنّ الأمر يصل إليك من دونهم، ولا تقطع النهار بكذا وكذا؛ فإنّ معك من يحفظ عليك[4].

---

(١) مشكاة الأنوار.
(٢) نهج البلاغة.
(٣) بحار الأنوار ٧٨/ ٢٠٤.
(٤) بحار الأنوار ٧١ / ١٨١.

عنه عليه السلام: أعظم الناس قدراً من ترك ما لا يعنيه[1].

عنه عليه السلام: راحة النفس ترك ما لا يعنيها[2].

عنه عليه السلام: ترك ما لا يعني زينة الورع[3].

- لا تهيجوا وهج النار على وجوهكم بالخوض فيما لا يعنيكم[4].

- الباقر عليه السلام: قم بالحق، ولا تعرض لما نابك، واعتزل عما لا يعنيك[5].

من دعاء إدريس: اللَّهمَّ سل قلبي عن كل شيء لا أتزوده إليك، ولا أنتفع به يوم ألقاك، من حلال وحرام[6].

من كتاب أمير المؤمنين عليه السلام لعبد الله بن عباس: أما بعد: فاطلب ما يعنيك واترك ما لا يعنيك؛ فإنّ في ترك ما لا يعنيك درك ما يعنيك[7].

- من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه[8].

- لا تقولن ما يوافق هواك وإن قلته لهواً أوخلته لغواً؛ فرب لهو يوحش حرّاً، ولغو يجلب عليك شرّاً[9].

- اشتغال النفس بما لا يصحبها بعد الموت من أكبر الوهن[10].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٤.
(٢) نفسه.
(٣) كنز الفوائد.
(٤) مجموعة ورام.
(٥) مستدرك الوسائل ٩/ ٢٧ باب كراهة كثرة الكلام بغير ذكر الله.
(٦) مصباح المتهجد / ص٦٠٢.
(٧) تحف العقول / ص٢١٨.
(٨) شرح نهج البلاغة ج١٨.
(٩) غرر الحكم / ٤٦١.
(١٠) مستدرك ج١١.

- دعوا الفضول يجانبكم السفهاء[1].

الغيبة:

النبي ﷺ: في خطبة حجة الوداع أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، إن الله حرَّم الغيبة كما حرَّم المال والدم[2].

- لما قالت له عائشة: حسبك من صفية كذا وكذا ؛ تعني قصيرة: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته[3].

- مررت ليلة أُسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم، فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم.[4].

علي عليه السلام: الغيبة جهد العاجز[5].

- الغيبة آية المنافق[6].

- إياك والغيبة فإنها تمقتك إلى الله والناس، وتحبط أجرك[7].

- أبغض الخلائق إلى الله المغتاب[8].

- من أقبح اللؤم غيبة الأخيار[9].

الكاظم عليه السلام: ملعون من اغتاب أخاه[10].

---

(١) تحف العقول.
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٩/ ٦٢.
(٣) كنز العمال / ٨٠٤٠.
(٤) كشف الريبة ص٦ المقدّمة.
(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد باب حكمه عليه السلام.
(٦) غرر الحكم.
(٧) نفسه.
(٨) نفسه.
(٩) المصدر السابق.
(١٠) بحار الانوار ٧٨ / ٣٣٣.

- الصادق عليه السلام : من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه، فهو من الذين قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾[1].

- عن علي عليه السلام : لايسوءنك ما يقول الناس فيك، فإنه إن كان كما يقولون، كان ذنباً عجلت عقوبته وإن كان على خلاف ما قالوا كانت حسنة لم تعملها[2].

- الصادق عليه السلام : من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروءته ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله عزَّ وجلَّ من ولايته إلى ولاية الشيطان[3].

رسول عليه السلام : أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل له عليه السلام : أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته[4].

- من اغتاب مسلماً في شهر رمضان لم يؤجر على صيامه[5].

الرضا عليه السلام : من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له[6].

- وعنه عليه السلام : ثلاث ليس عليهم غيبة: من جهر بفسقه، ومَن جار في حكمه، ومن خالف قوله فعله[7].

---

(١) (النور:١٩) الكافي ٢/ ٣٥٧.
(٢) غرر الحكم.
(٣) بحار الانوار ٧٥/ ٢٥٤.
(٤) الترغيب والترهيب ٣/ ٥١٥.
(٥) بحار الانوار ٧٥ / ٢٥٨.
(٦) بحار الانوار ٧٢/ ٢٦٠ باب الغيبة.
(٧) تنبيه الخواطر ٢/ ٢٥٢.

- يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته فيقول إلهي ليس هذا كتابي فإني لا أرى فيها طاعتي فيقال له: إن ربك لا يضل ولا ينسى ذهب عملك باغتياب الناس، ثم يؤتى بآخر ويدفع كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة فيقول إلهي ما هذا كتابي فإني ما عملت هذه الطاعات فيقال لأنّ فلاناً اغتابك فدفعت حسناته إليك[١].

- الصادق عليه السلام: أصل الغيبة تتنوع بعشرة أنواع: شفاء غيظ، ومساءة قوم، وتصديق خبر، وتهمة، وتصديق خبر بلا كشفه، وسوء ظن، وحسد، وسخرية، وتعجب، وتبرم، وتزيين، فإنّ أردت السلامة فذكر الخالق لا المخلوق، فيصير لك مكان الغيبة عبرة، ومكان الإثم ثواباً[٢].

علي عليه السلام: السامع للغيبة كالمغتاب[٣].

- ثلاثة ليس لهم غيبة الإمام الجائر والمعلن بالفسق ومدمن الخمر[٤].

- ثلاثة من علامات الحمق كثرة الهزل واللهو والخرق[٥].

قال عليه السلام لأمير المؤمنين: لو رأيت رجلاً على فاحشة؟ قال: أستره، قال: إن وجدته ثانياً؟ قال: أستره بإزاري وردائي إلى ثلاث مرات، فقال النبي: لا فتى إلّا علي، وقال: استروا على إخوانكم[٦].

ـ ترك الغيبة أحب إلى الله عزَّ وجلَّ من عشرة آلاف ركعة تطوعاً[٧].

ـ الغيبة أسرع في دين المسلم من الأكلة في جوفه[٨].

---

(١) جامع الاخبار ص٤١٢.
(٢) مصباح الشريعة ص٢٧٧.
(٣) غرر الحكم.
(٤) مجموعة ورام ٢/ ١٢١.
(٥) نفسه.
(٦) مستدرك الوسائل ١٢/ ٤٢٦.
(٧) بحار الانوار ٧٥ / ٢٦١.
(٨) الكافي ٢/ ٣٥٦.

ـ من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة إلّا أن يغفر له صاحبه[١].

ـ من ردَّ عن أخيه غيبة سمعها في مجلس ردَّ الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة فإنّ لم يرد عنه وأعجبه كان عليه كوزر من اغتاب[٢].

ـ من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار[٣].

وقد سئل عليه السلام عن كفارة الغيبة قال: تستغفر الله لمن اغتبته كلما ذكرته[٤].

- لا تعرض لما لا يعنيك بترك ما يعنيك فرُبَّ متكلم في غير موضعه قد أعطبه ذلك[٥].

علي عليه السلام: الغيبة جهد العاجز[٦].

علي عليه السلام: دعوا الفضول يجانبكم السفهاء[٧].

علي عليه السلام: أيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثاً فيلهو ولا ترك سدًى فيلغو.

علي عليه السلام: اللهو قوت الحماقة[٨].

---

(١) بحار الانوار ٧٥/ ٢٥٨.
(٢) اعلام الدين ص ٤١٤.
(٣) مكارم الاخلاق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) البحار ٧٥ص٧.
(٦) شرح ابن أبي الحديد ج٢٠ص١٧٩.
(٧) تحف العقول ص ٢١٥.
(٨) غرر الحكم ص٤٦٠.

علي عليه السلام : إياك أن تجعل مركبك لسانك في غيبة إخوانك أو تقول ما يصير عليك حجة وفي الإساءة إليك علة[١].

علي عليه السلام : إياك والغيبة فإنها تمقتك إلى الله والناس وتحبط عملك[٢].

علي عليه السلام : غشك من أرضاك بالباطل وأغراك بالملاهي والهزل[٣].

علي عليه السلام : مجالسة أهل اللهو ينسي القرآن ويحضر الشيطان[٤].

علي عليه السلام : من كثر لهوه استحمق[٥].

علي عليه السلام : لا يفلح من وله باللعب واستهتر باللهو والطرب[٦].

علي عليه السلام : وإنما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم فكيف بالعائب الذي عاب أخاه وعيره ببلواه؟ أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو أعظم من الذنب الذي عابه به ؟ وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله ؟ فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو أعظم منه وايم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس أكبر[٧]!

علي عليه السلام : ذوو العيوب يحبون إشاعة معايب الناس ليتسع لهم العذر في معايبهم[٨].

---

(١) غرر الحكم ص٢٢١.
(٢) نفسه.
(٣) نفسه ص٤٦٠.
(٤) تحف العقول ص١٤٩.
(٥) غرر الحكم ص٤٦١.
(٦) نفسه.
(٧) شرح النهج لابن ابي الحديد ٩ص٥٩.
(٨) غرر الحكم ص٤٢١.

الحسن عليه السلام: المؤمن لا يلهو حتى يغفل، فإذا تفكر حزن[1].

الحسين عليه السلام لرجل اغتاب عنده رجلاً: يا هذا كف عن الغيبة؛ فإنها أدام كلاب النار[2].

زين العابدين عليه السلام: حق السمع تنزيهه عن سماع الغيبة، وسماع ما لا يحل سماعه[3].

الباقر عليه السلام: من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه نصره الله في الدنيا والآخرة، ومن اغتيب عنده أخوه المؤمن فلم ينصره(ولم يعنه) ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه إلّا خفضه الله في الدنيا والآخرة[4].

الباقر عليه السلام: ثلاثة ليست لهم حرمة: صاحب هوى مبتدع، والإمام الجائر، والفاسق المعلن الفسق[5].

الإمام الصادق عليه السلام: في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾: هو أن يتقول الرجل عليك بالباطل أو يأتيك بما ليس فيك فتعرض عنه لله[6].

الصادق عليه السلام: يجبل المؤمن على كل طبع إلّا الخيانة والكذب.

الهادي عليه السلام: الهزل فكاهة السفهاء وصناعة الجهال[7].

الكاظم عليه السلام: ملعون من اغتاب أخاه[8].

---

(١) مجموعة ورام ج ١ص٥٢.
(٢) تحف العقول ص٢٤٥.
(٣) الخصال٢ص٥٦٥.
(٤) البحار٧٢ص٢٢٦.
(٥) المصدر السابق.
(٦) البحار٦٦ص٤٥.
(٧) اعلام الدين ص ٣١١.
(٨) نفسه ٣٠٥.

الرضا عليه السلام : من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له[1].

الصادق عليه السلام : لا تغتب فتغتب ولا تحفر لأخيك حفرة فتقع فيها فإنك كما تدين تدان[2].

الصادق عليه السلام : لا تدع اليقين بالشك والمكشوف بالخفي، ولا تحكم على ما لم تره بما يروى لك عنه وقد عظم الله عزَّ وجلَّ أمر الغيبة وسوء الظن بإخوانك المؤمنين[3]. الصادق عليه السلام : ثلاث من كن فيه أوجبن له أربعاً على الناس من إذا حدثهم لم يكذبهم وإذا خالطهم لم يظلمهم وإذا وعدهم لم يخلفهم وجب أن يظهر في الناس عدالته ويظهر فيهم مروته وأن تحرم عليهم غيبته وأن تجب عليهم إخوته[4].

قال رجل للصادق عليه السلام : إن لي جيراناً ولهم جوارٍ يتغنين ويضربن بالعود فربما دخلت المخرج فأطيل الجلوس استماعاً مني لهن فقال الصادق عليه السلام : لا تفعل فقال والله ما هو شيء آتيه برجلي إنما هو سماع أسمعه بأذني فقال له الصادق : تالله أنت ! أما سمعت الله عزَّ وجلَّ يقول:

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ فقال الرجل كأنني لم أسمع بهذه الآية من كتاب الله عزَّ وجلَّ من عربي ولا عجمي ! لا جرم أني قد تركتها، وأن أستغفر الله تعالى[5].

علي عليه السلام لا يسوءنك ما يقول الناس فيك فإنه إن كان كما يقولون كان ذنباً عجلت عقوبته وإن كان على خلاف ما قالوا كانت حسنة لم تعملها[6].

---

(١) مشكاة ٢٣٤.
(٢) نفسه ص١٧٤.
(٣) مصباح الشريعة ٦٧.
(٤) مجموعة ورام.
(٥) التهذيب ١ ص١١٦.
(٦) غرر الحكم ص٤٨٣.

وَتَفَضَّلْ عَلى عُلَمَائِنَا بِالزُّهْدِ وَالنَّصِيحَةِ

قال عيسى عليه السلام: الدنيا داء الدين والعالم طبيب الدين فإذا رأيتم الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاتهموه واعلموا أنه غير ناصح لغيره[1].

ذكرنا في مبحث سابق أن الإنسان شرف من الوهلة الأولى وفضل على سائر المخلوقات بالعلم ويدل على هذا أول نزول القرآن الكريم مخاطباً النبي صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾[2] وما كان جوابه صلى الله عليه وآله: (ما أنا بقارئ) إلّا تأكيداً لما سيلقى من الذكر من أن للقلم وهو رمز وكناية عن العلم وأن له دوراً في بناء الحياة التمييزية للإنسان ميِّز به على سائر المخلوقات.

والقرآن الكريم حث على العلم والتعلم وذكر العلماء ودورهم في بناء الحياة وبَين أنها قائمة بالعلم وأن الإنسان لأجل أن يحيى حياة كريمة وسعيدة فما عليه إلّا تحصيل العلم سواء أكان بالفعل وهو طلبه أم بالواسطة وهو تحصيل منافع الاستكشافات العلمية العملية.

وينقسم العلم إلى أولاً: علم عقلي وينقسم إلى:

(١) عرض التكاليف والأحكام على العقل واستنباط مخارج الابتلاء

---

(١) الوسائل ج٢٠ ص٢٥.

(٢) العلق: من الآية ١.

من خلاله وبواسطته وهذا يعد من طغيان العلم لأنّ الأحكام الشرعية توقيفية وبعضها ليس له وجه يدركه العقل.

(٢) الاستكشافات والاختراعات العلمية في مختلف المجالات.

وثانياً: علم عاطفي وهو العمل على إدارة دفة الأحكام حيثما مال بها الهوى.

وثالثاً: علم شرعي وهو معرفة الأحكام الواردة من الشرع والعمل بمقتضاها.

ويعد الأول والثاني جانبي الإفراط والتفريط في العلم، والثالث حدُّه الوسط لأنّ الأول يؤدي بصاحبه إلى الغرور والاستكبار ومخادعة الناس باسم العلم، والثاني يؤدي إلى البله والجهالة، وذكرنا في فقرات سابقة أن الإنسان مُيَّزَ بالعقل وناهيك عن دوره في إبعاد طرفيّ الإفراط والتفريط عن العلم وإزالة كل شائبة تلتصق بسطحه وإن اتصفت بصفاته وتأطرت بخصوصياته، ثم إن للأشياء أضداد، وضد العقل معلوم، والجهل ضد العلم وهو قريب من ضد العقل وفي كلا المتماثلين تلازم لا انفكاك بينهما على الإطلاق وكلما كانت نسبة التعقل أكثر كانت هي نسبة للعلم والعكس يصح وكذا الأمر بين الجهل والجنون.

والعلم له مقومات ومساند ومدارج، فمقوماته السعي لتحصيله من أهله، ومسانده الورع والتقوى، ومدارجه معرفته التي هي معرفة حقيقته بتشخصه في أفراده. ولما كان العقل معناه العلم والأخير معناه الدين فمن (لا عقل له لا دين له) فقد يكون الجاهل الذي لا دين له عاقلاً وهو في الحقيقة ليس بعاقل وإنما اعتدال في باقي قواه فيتصرف تصرفاً سوياً يشابه تصرف العقلاء حتى يتوهم أنه عاقلٌ وهو ليس كذلك بدليل الإثارة التي عندها تظهر حقيقة المعادن.

ثم إن الواهمة والمخيلة تلعب دوراً متميزاً في تحقيق الأغراض

والرغبات تحت عنوان علم وعالم وتقدم أن العلم صفة العالم والعالم هو من عرف العلم لا من تعلمه فهناك فرق بين المعرفة وبين التعلم لأنّ المعرفة هي تفعيل العلم وجعلها مشخصات خارجية كزيد وعمر بالنسبة لمفهوم الإنسان لكن التعلم يجعل الإنسان محصوراً فيه لا على تمييز وتشخص أو أنه يصبح مفهوماً من المفاهيم فالصيدلاني يعرف أن هذا المضاد الحيوي مثلاً يقضي على المرض الفلاني ويقتل البكتيريا لكن الذي يقضي ساعات في المختبر يكون عارفاً بتفعيل المضاد وكيفية استسلام البكتيريا له.

فالتعلم غير كافٍ في التشخيص والتشخص، لأنه معرفة لمسميات الأشياء فقط أما المعرفة فهي معرفة حقيقة المسميات مع معرفة أضدادها.

ولما كان العلم بأحكام آل محمد أشرف العلوم لرجوعها إليهم وسيرها على هدى سراجهم، أراد الإمام أن يبين لنا من المستنير من شمسهم فيعكس هداهم أقماراً على درب السائرين.

فكان هناك مقومان أساسيان هما الزهد والنصيحة اللذان يعدان أساس التخلي عن الدنيا والأنا وحلول الغيرية محلهما من جهة، وهما الأساس في تفضيل سائر العلوم من جهة أخرى حيث إن معرفة الأحكام الشرعية يجعل العلوم المادية تسير في اتجاه واحد مع العلوم الإلهية في بناء حياة الإنسان وتهيئة مقومات كماله الملازم لوجود الفطرة التي هي نسبة ثابتة في كل البشر ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1] إلّا أنها تحتاج إلى من يثيرها ويحركها في النفس ولأجله كان بعث الأنبياء والرسل ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[2] فكذلك الكمال يحتاج إلى إظهار مقوماته والتي تمثلت في

---

(١) الروم: ٣٠.

(٢) الجمعة الآية ٢.

ثلاثة وصفهم الإمام عليه السلام بقوله: ثلاثة لا يخالفهم إلّا شقي العالم العامل واللبيب العاقل والإمام المقسط[1].

وعلى ضوء هذا الحديث الشريف يكون العالم غير العامل بعلمه فاقداً لركن الزهد مبتغياً بعلمه حطام الدنيا كما وأن هناك أركاناً خمسة (سيأتي نص حديثها) وهي الشك والكبر والرياء والعداوة والرغبة، والتي بمجموعها تعد أُس البلاء والفتن وسبل تيه الإنسان ومدرج الوهم في هذه الدنيا الواهمة، ولو غضضنا النظر عن هذا وقصرناه على هذه الأركان وفعلها لوجدنا غض النظر أيضاً من الواهمة لأنّ الحقيقة هي هي، كما وأن أولياتها هي نتائجها، فإن هذه الأركان أدوات هدامة في هيكلية المجتمع الإنساني فضلاً عن شخصية الفرد، لأنّ الشك يحول دون استقرار راكبه، ومثاله لو وضعت ماء في إناء بيد طفل يحبو وطلبت منه إيصاله إلى نقطة تبعد خطوات فإنك قد لا تحصل على الإناء فضلاً عن الماء، كذلك الشاك لا يقر قراره لانعدام الغاية والنهاية لأنّ الخطوة الأولى ابتدأت من خطأ وبنيت على خطأ فما أن ينتهي من واحدة حتى يقع في أخرى وبالنتيجة يكون شلل الفكر عنده قد أوقع الجسد في تعب وعناء. أما الكبر فصاحبه يرى نفسه جبلاً على جبل وهو عند الناس بعرة ليس لها جعل، وهذه الخصلة من شرار الخصال التي بها ينحسر الإنسان عن المساهمة بل إن المساهمة تنحسر عنه لانعدام وجوده فهو منزوٍ عن المجتمع لأنه يرى ليس له نظير والمجتمع قد همشه إذ لا مكان له سوى التحقير. وأما الرياء فإنه يجعل حسن الفعال هباء منثوراً فيمنع من نيل الثمرات.وأما العداوة فهي محرك البهيمية في الإنسان، واللبيب غير العاقل فاقد لركن النصيحة فيكون مبتغياً بعقله الدهاء والمكر والحيل وما أكثرهم في هذا الزمان ولولا إشارات آل محمد لانطلت علينا دعواهم وخدعونا بترهاتهم وحيلهم لما يملكون من قابلية على ترتيب الكلمات

---

(١) مجموعة ورام ج٢ص١٢١.

ليكونوا جملة خداعة ذات إطار دينيّ.وأما الرغبة فهي طريق نحر الإنسان على أعتاب الإنسانية. وعليه يكون العالم بعنوانه العام موطن هذه الخصال لكن العالم بعنوانه الخاص فذاك الذي خلع ثوب هذه الأركان وارتدى ثوب أضدادها حتى صار هو الإنسانية بحدها وحدودها.

ولهذا قال عليه السلام: لا تجلسوا عند كل عالم إلّا عالم يدعوكم من الخمس إلى الخمس من الشك إلى اليقين ومن الكبر إلى التواضع ومن الرياء إلى الإخلاص ومن العداوة إلى النصيحة ومن الرغبة إلى الزهد[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام في معرض حديثه عن وصايا لقمان لابنه: فإن من لم يمحض النصيحة لمن استشاره سلبه الله تبارك وتعالى رأيه ونزع عنه الأمانة[2].

وقال عليه السلام: (إن المشورة لا تكون إلّا بحدودها) وسيأتي تمام الحديث

والإمام غير المقسط يكون مستحلاً للمحرمات بالشبهات وهؤلاء الثلاثة الذين هم ضد الثلاثة الذين صورهم الإمام، معلوم موردهم وهو الشيطان ومعلوم موردهم وهي النار لأنهم يحملون صور حكم الله في الأرض لكنهم لم يعملوا بها وقد مثلهم القرآن في كثير من المناسبات منها ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾[3] وقوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[4] وما كل ذلك إلّا إشارة إلى دور العلم العملي في واقع الحياة حيث إنه دور تفاعلي للأحكام الإلهية وتجسيد لرسالات الرسل ونهج الأئمة فكان دور العالم دور ترويض الجسد

---

(١) أعلام الدين.
(٢) المحاسن ج٢ص٣٧٥.
(٣) الجمعة: ٥.
(٤) المائدة: من الآية ٤٥.

ليتناسب مع الروح ولذلك سمي العالم العامل فكان روحانياً بمعنى أنه روح تجسدت أمام الأنظار وتتحرك في الأعيان على شكل بدن .وكل فعل يصدر من العالم بما لا يتناسب مع الروح وتهذيب النفس فهو دليل على أنه لا ينهل من منهله ولا يصب في مورده.وفي هذه الفقرة وفقرتي المتعلمين والمستمعين يتجلى بوضوح سر تقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: الناس ثلاثة عالم ومتعلم وغثاء[1].

وعن كميل بن زياد قال أخذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بيدي فأخرجني إلى ظهر الكوفة فلما أصحر تنفس ثم قال: يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها احفظ عني ما أقول لك الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم فيهتدوا ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق فينجوا.

يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق.

يا كميل محبة العلم دين يدان به يكسب الإنسان الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته.(وهذا من الآثار الوضعية للعلم) وصنيع المال يزول بزواله.

يا كميل هلك خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ها إن هاهنا وأشار بيده إلى صدره لعلماً جمّاً لو أصبت له حملة بلى أصيب لقنا غير مأمون عليه مستعملاً آلة الدين للدنيا ومستظهراً بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه(نستجير بالله فلو كان هذا الصنف في مذهبنا لتهدمت أركانه ولبقي رسماً بعد اسم فإنّ توظيف الدين بالدنيا معناه ركوب كل رذيلة من أجل

---

(١) الكافي باب أصناف الناس.

تحقيق أهداف دنيوية وإشباع حاجات دنيّة. والأدهى من هذا أنه يتصور أن ما به من النعم هو لفضيلة فيه، وفوق هذا أن له الفضل في وجوده وشأنيته ولو لم يكن كذلك لما مكنه الله وحباه فهو ضال عن هديّ من كان قبله مضلّ لمن اقتدى به في حياته وبعد مماته حمّال خطايا غيره رهن بخطيئته، وسيأتي تمام الحديث.

أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهه الأمة لا ذا ولا ذاك (وهذه الآفة الثانية فإن كثيراً من الناس ينقادون لأشخاص من دون تفحص ومعرفة ويتأثرون بأولئك الذين هم من صنف الآفة الأولى الذين يزينون لهم الأعمال ويخدعونهم بالفعال فتجد أهل هذه الآفة يلتف حول شخصيات وينحل عن أخرى دون بصيرة ومعرفة حتى يكون ذا نفس متزلزلة في العقيدة والتوجه بسبب اتباع الهوى فهم كما وصفهم القرآن: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1] أو منهوماً باللذة سلس القياد للشهوة ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[2] لأنه يبيع دينه وضميره بإشباع غرائزه.

أو مغرماً بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللَّهمَّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحججه إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا وأين أولئك أولئك والله الأقلون عدداً والأعظمون قدراً بهم يحفظ الله حججه وبيانه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين

---

(١) الجمعة: ٥.

(٢) الفرقان: ٤٤.

واستلانوا ما استوعر المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى.

يا كميل أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه آه آه شوقاً إلى رؤيتهم وأستغفر الله لي ولكم[1]. وقسم العالم الرباني ينطبق على ما نحن فيه كما نلاحظ أن هذه المرحلة متداخلة مع المراحل اللاحقة من التعلم والاستماع وأن العلم ثمرة لهما، فهنا مراحل متداخلة: الاستماع، التعلم، العلم، وإن العلم متقوم بالاستماع والتعلم وكماله بكمالهما فإنّ حسن الاستماع يؤدي إلى حسن التعلم وبالتالي يكون العلم أثراً لهما وثمرته الزهد فإنّ الإمام يقول لو وجدت له حملة فلم يجد إلّا ثلة من الذين صفت نفوسهم وصغت آذان قلوبهم فكانوا مشاعل منار العلم بخلاف الذين لم تصغي منهم جوارحهم إلّا هياكلها فمكثت أمام باب مدينة العلم ومنار العدل والتقى تسمع من غير استماع فلا يقومون إلّا كالذي يتخبطه الشيطان من المس يحكي حالهم عن عدم اتقادهم لوجود الرين ككتل الرمال على صفائح القلوب حتى تحجرت.

ثم نلاحظ من تقسيم الإمام عليه السلام الناس إلى ثلاثة أصناف أن الهمج الرعاع هم ما بين العالم العامل والجاهل الذي لا يستنكف أن يتعلم، فيكونون هم الذين استعملوا الجهل في العلم أو ركّبوا علماً بجهل أو جهلاً بعلم وهم السفسطائيون.

قال علي عليه السلام: أوضح العلم ما وقف على اللسان وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان[2].

وسُئل عليه السلام عن الخير ما هو؟ فقال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك

---

(١) بحار الأنوار.

(٢) البحار ج٢ ص٥٦.

ولكن الخير أن يكثر علمك وأن يعظم حلمك وأن تباهي الناس بعبادة ربك فإن أحسنت حمدت الله وإن أسأت استغفرت الله ولا خير في الدنيا إلّا لرجلين رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات[١].

وقال عليه السلام: اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل[٢].

وقال عليه السلام: لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلّا فتح الله عليهم ما هو أضر منه[٣].

وعنه عليه السلام قال: الزهد ثروة والورع جنة وأفضل الزهد إخفاء الزهد[٤]

وقال: عليه السلام رب عالم قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه[٥].

وعنه أيضاً: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم العالم المبتغي بعلمه حطام الدنيا ومستحل المحرمات بالشبهات والزاني بحليلة جاره[٦].

- من الجهل أن تظهر كل ما علمت[٧].

- حرمة العالم العامل بعلمه كحرمة الشهداء والصديقين[٨].

---

(١) شرح ابن ابي الحديد ج١٨ص٥٢.
(٢) نفسه ص٢٥٤.
(٣) نفسه ص٢٦٨.
(٤) روضة الواعظين ج٢ص٤٣٤.
(٥) خصائص الائمة ص٩٧.
(٦) مجموعة ورام ج٢ص١٢١.
(٧) المصدر السابق.
(٨) نفسه.

قال ﷺ: إذا رأيتم الرجل قد أعطي الزهد في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة[1].

وقال ﷺ: الرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن والزهد في الدنيا يريح القلب والبدن[2].

وعن أمير المؤمنين: عليه السلام أيها الناس الزهادة قصر الأمل والشكر عند النعم والورع عند المحارم فإن عرف ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم ولا تنسوا عند النعم شكركم فقد أعذر الله إليكم بحجج مسفرة ظاهرة وكتب بارزة العذر واضحة[3] وقد فسر عليه السلام لفظ الزهادة بثلاثة أمور وهي: قصر الأمل وشكر النعمة والورع عن المحارم فقال لا يسمى الزاهد زاهداً حتى يستكمل هذه الأمور الثلاثة ثم قال فإن عزب ذلك عنكم أي بعُد فأمران من الثلاثة لا بدَّ منهما وهما الورع وشكر النعم جعلهما آكد وأهم من قصر الأمل[4] ثم إن الزهد في العرف المشهور هو الإعراض عن متاع الدنيا وطيباتها لكنه لما كانت الأمور الثلاثة طريقاً موطئة إلى ذلك أطلق عليه السلام لفظ الزهد عليها على وجه المجاز. وقوله فقد أعذر الله إليكم أي بالغ يقال أعذر فلان في الأمر أي بالغ فيه ويقال ضرب فلان فأعذر أي أشرف على الهلاك وأصل اللفظة من العذر يريد أنه قد أوضح لكم بالحجج النيرة المشرقة ما يجب اجتنابه وما يجب فعله فإن خالفتم استوجبتم العقوبة فكان له في تعذيبكم العذر. قال الرشيد للفضيل بن عياض: ما أزهدك قال: أنت يا هارون أزهد مني لأني زهدت في دنيا فانية وزهدت في آخرة باقية.قال بعض الملوك لبعض الزهاد ما لك لا تغشى بابي وأنت عبدي؟ قال: لو علمت أيها الملك لعلمت أنك عبد

---

(١) روضة الواعظين ج٢ص٤٣٧.
(٢) مشكاة الانوار ص٢٦٩.
(٣) نفسه ص١١٥.
(٤) شرح ابن ابي الحديد ج٦ص٢٣٠.

عبدي لأني أملك الهوى والهوى يملكك عن الصادق عليه السلام : جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجد الرجل حلاوة الإيمان في قلبه حتى لا يبالي من أكل الدنيا ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان حتى تزهد في الدنيا[1].

يروى أن رجلاً سأل الإمام علي بن الحسين عليه السلام عن الزهد فقال عشرة أشياء فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا ألا وإن الزهد في آية من كتاب الله عز وجل ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[2] عن الصادق عليه السلام : طلبت الراحة فوجدتها في الزهد[3].

وعن السكوني قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام : ما الزهد في الدنيا؟ قال: ويحك حرامها فتنكبه[4].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله عزَّ وجلَّ[5].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: الزهد في الدنيا قصر الأمل وشكر كل نعمة والورع عن كل ما حرم الله عزَّ وجلَّ[6].

عنه أيضاً : إن من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا[7].

---

(١) الكافي ج٢ص١٢٨.
(٢) مجموعة ورام ج٢ص١٩١، سورة الحديد: ٢٣.
(٣) مستدرك ج١٢ص١٧٣.
(٤) الكافي باب معنى الزهد.
(٥) معاني الاخبار ص٢٥٦.
(٦) تحف العقول ص٢٢٠.
(٧) الكافي باب ذم الدنيا.

الصادق عليه السلام: لا يجمع الله لمؤمن الورع والزهد في الدنيا إلّا رجوت له الجنة[1].

وقال صلى الله عليه وآله: صلاح الأمة اليقين والزهد وفسادها بالأمل والبخل[2].

وقال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام إن الله زينك بزينة لم يزين العباد بشيء أحب إلى الله منها ولا أبلغ عنده منها الزهد في الدنيا قد أعطاك ذلك وجعل الدنيا لا تنال منك شيئاً وجعل لك سيماء تعرف بها[3].

وعنه عليه السلام قال: الزهد ثروة والورع جنة وأفضل الزهد إخفاء الزهد[4].

وعنه عليه السلام أنه قال: الزهد أن لا تطلب المفقود حتى يعدم الموجود[5].

وقال عليه السلام: مع الزهد تثمر الحكمة[6].

عن السجاد عليه السلام: وحق المستنصح أن تؤدي إليه النصيحة وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به[7].

وقال الصادق عليه السلام: خمسة من خمسة محال الحرمة من الفاسق محال والشفقة من العدو محال والنصيحة من الحاسد محال والوفاء من المرأة محال والهيبة من الفقير محال[8].

عن العالم عليه السلام أنه قال: حق المؤمن على المؤمن أن يمحضه النصيحة في المشهد والمغيب كنصيحته لنفسه[9].

---

(١) الوسائل باب الورع.
(٢) المستدرك.
(٣) نفسه.
(٤) نفسه.
(٥) غرر الحكم.
(٦) نفسه.
(٧) مكارم الاخلاق.
(٨) الفقيه ج٤ص٥٨.
(٩) فقه الرضا ص٣٦٩.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن المشورة لا تكون إلّا بحدودها فمن عرفها بحدودها وإلّا كانت مضرتها على المستشير أكثر من منفعتها له فأولها: أن يكون الذي تشاوره عاقلاً[1].

والثانية: أن يكون حرّاً متديناً.

والثالثة: أن يكون صديقاً مؤاخياً.

والرابعة: أن تطلعه على سرك فيكون علمه به كعلمك بنفسك ثم يُسر ذلك ويكتمه فإنه إذا كان عاقلاً انتفعت بمشورته وإذا كان حرّاً متديناً أجهد نفسه في النصيحة لك وإذا كان صديقاً مؤاخياً كتم سرك إذا أطلعته عليه وإذا أطلعته على سرك فكان علمه به كعلمك تمت المشورة وكملت النصيحة.

الإمام الرضا عليه السلام: سمعت أبي عليه السلام يقول: النصيحة خشنة[2].

عن الصادق عليه السلام: أنه كتب إلى عبد الله النجاشي أخبرني يا عبد الله أبي عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: من استشاره أخوه المؤمن فلم يمحضه النصيحة سلبه الله لبه[3].

عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لشمعون بن لاوي في حديث: وأما علامة التائب فأربع النصيحة لله في عمله وترك الباطل ولزوم الحق والحرص على الخير[4].

الصادق عليه السلام: طلبت الرئاسة فوجدتها في النصيحة لعباد الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من يضمن لي خمساً أضمن له الجنة قيل وما هي يا رسول الله؟

---

(١) المحاسن ج٢ص٦٠٢.
(٢) عيون اخبار الرضا ج١ص٢٩٠.
(٣) كشف الريبة ص٨٥.
(٤) مستدرك الوسائل ج١٢ص١٣٧.

قال النصيحة لله عزَّ وجلَّ والنصيحة لرسوله والنصيحة لكتاب الله والنصيحة لدين الله والنصيحة لجماعة المسلمين[١].

وقال علي عليه السلام: النصيحة تثمر الود[٢].

وقال عليه السلام: ما آل جهداً في النصيحة من ذلك على عيبك وحفظ غيبك[٣].

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من سعى لأخيه المؤمن في حاجة ولم يمحضه فيها النصيحة كان كمن خان الله ورسوله[٤].

عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا تجلسوا إلّا عند كل عالم يدعوكم من خمس إلى خمس من الشك إلى اليقين ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الرغبة إلى الرهبة ومن الكبر إلى التواضع ومن الغش إلى النصيحة[٥].

وقال عليه السلام: النصيحة من أخلاق الكرام[٦].

أبوعبد الله عليه السلام قال: نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله. أبوعبد الله عليه السلام قال: الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام[٧].

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إن من أبغض الخلق إلى الله عزّ وجل لرجلين: رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة قد لهج بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدي من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد موته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته

---

(١) الخصال ج١ص٢٩٤.
(٢) غرر الحكم ص٢٢٤.
(٣) مستدرك ج١٢ص٤٣٠.
(٤) نفسه.
(٥) اعلام الدين ص٢٧٢.
(٦) غرر الحكم ص٢٢٥.
(٧) الكافي ج١ص٢١٣.

ورجل قمش جهلاً في جهال الناس عانٍ بأغباش الفتنة قد سماه أشباه الناس عالماً ولم يغن فيه يوماً سالماً بكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر حتى إذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره وإن خالف قاضياً سبقه لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيأ لها حشواً من رأيه ثم قطع به فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ لا يحسب العلم في شيء مما أنكر ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهباً إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب نظره وإن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكي لا يقال له لا يعلم ثم جسر فقضى فهو مفتاح عشوات ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم يذري الروايات ذرو الريح الهشيم تبكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء يستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بقضائه الفرج الحلال لا مليء بإصدار ما عليه ورد ولا هو أهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق[1].

ومما جاء في وصية الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام بن الحكم:

يا هشام من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله من أظلم نور تفكره بطول أمله ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه وأطفأ نور عِبرتِهِ بشهوات نفسه فكأنما أعان هواه على هدم عقله ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه.

يا هشام كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك وأطعت هواك على غلبة عقلك.

يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوة العقل فمن عقل عن الله اعتزل

---

(١) دعائم الاسلام ج١ص٩٧ ذكر من يجب ان يؤخذ منه العلم.

أهل الدنيا والراغبين فيها ورغب فيما عند الله وكان الله أنسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة وغناه في العيلة ومعزه من غير عشيرة.

يا هشام نُصب الحق لطاعة الله ولا نجاة إلّا بالطاعة والطاعة بالعلم والعلم بالتعلم والتعلم بالعقل يعتقد ولا علم إلّا من عالم رباني ومعرفة العلم بالعقل.

يا هشام قليل العمل من العالم مقبول مضاعف وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود.

يا هشام إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا فلذلك ربحت تجارتهم.

يا هشام إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض.

يا هشام إن العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها فعلم أنها لا تنال إلّا بالمشقة ونظر إلى الآخرة فعلم أنها لا تنال إلّا بالمشقة فطلب بالمشقة أبقاهما.

يا هشام إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة لأنهم علموا أن الدنيا طالبة مطلوبة والآخرة طالبة ومطلوبة فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته.

يا هشام إن الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) حين علموا أن القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه ولا

يكون أحد كذَلك إلّا من كان قوله لفعله مصدقاً وسره لعلانيته موافقاً، إن الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلّا بظاهر منه وناطق عنه .

يا هشام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما عبد الله بشيء أفضل من العقل وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى الكفر والشر منه مأمونان والرشد والخير منه مأمولان وفضل ماله مبذول وفضل قوله مكفوف ونصيبه من الدنيا القوت لا يشبع من العلم دهره الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره والتواضع أحب إليه من الشرف يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل كثير المعروف من نفسه ويرى الناس كلهم خيراً منه وأنه شرهم في نفسه وهو تمام الأمر.

يا هشام: إن العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه .

يا هشام: لا دين لمن لا مروّة له ولا مروّة لمن لا عقل له وإن أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلّا الجنة فلا تبيعوها بغيرها.

يا هشام: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال يجيب إذا سئل وينطق إذا عجز القوم عن الكلام ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق إن أمير المؤمنين عليه السلام قال لا يجلس في صدر المجلس إلّا رجل فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهن فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق[1].

---

(١) مجموعة ورام ج٢ص٣٤.

وَعَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ بِالْجُهْدِ وَالرَّغْبَةِ

الجَهْدُ والجُهْدُ: الطاقة، تقول: اجْهَد جَهْدَك؛ وقيل: الجَهْد المشقة والجُهْد الطاقة.

وهو بالفتح، المشقة، وقيل: المبالغة والغاية، وبالضم، الوسع والطاقة؛ وقيل: هما لغتان في الوسع والطاقة، فأما في المشقة والغاية فالفتح لا غير.

وجَهَدَ يَجْهَدُ جَهْداً واجْتَهَد، كلها تعطي معنى: جدَّ.

والرَّغْبة: السؤال والطمع.

رَغِبَ يَرْغَبُ رَغْبة إذا حرص على الشيءِ، وطمع فيه. انتهى لسان العرب.

ومن هذا المعنى اللغوي نجد أنهما صفة ملازمة لطلب العلم ويعدان مقومان أساسيان فيه كما أنه يعدّ عنواناً ومبرزاً لهما وبانتفاء أحداهما ينتفي موضوع طلب العلم فضلاً عن انتفاهما بالكلية.

ثم إن كل فرد بحسب قدراته أو بحسب الظروف والعوامل الأخرى المحيطة به قد يستمر في تحصيله ويتمسك بالجهد والرغبة لديه أو يتخلى

عنها فيقنع بما انتهى إليه تحصيله وجهده ورغبته وأين ما وصل في مراحل تدرجه العلمي فإنّ عنوان المتعلم يصدق عليه، لكن كل مرحلة لها مجالها في فهم أساليب التعامل مع المحيط العملي ولو طبقنا هذا على ذوي التحصيل الأكاديمي لوجدنا أن أصحاب كل مرحلة يتحركون في إطارهم وداخل ساحاتهم وكل يطبق دوره وما تحصل لديه. فما سمعنا أن معاوناً طبياً مثلاً نتيجة لممارساته وخبرته ادعى انه طبيب أو مارس دور الطبيب أو أن معيداً في معهد أو جامعة مارس دور الأستاذية دون استحقاق أصولي، فإنّ السعة في التحرك تكون بحسب ما تحصل للفرد من المعارف.

والاستعداد والقابلية لا ينافي أن تكون خبرة الأدنى مرحلة مساوية أو أعلى وأدق من خبرة الأعلى، لكن لأجل أن يمارس الأدنى دور الأعلى لا بدَّ حينئذ من توفر شروط وضوابط أدناها تحصيل إجازة بالممارسة من ذوي الخبرة والتقييم وإلّا كان خبط عشواء فيضيع التقييم والتصنيف بل ينتفي العلم والتعلم وتكون الأمور تابعة لمحركات إفراط القوة الغضبية المحركة للقوة الوهمية والقوة الشهوية، لأنّ من شأن التحصيل هو الارتقاء ورفع الشأنية المعنوية للشخصية نتيجة الزيادة الحاصلة في المعلومات والتي تؤدي بدورها إلى زيادة الإدراك والفهم لدى المتعلم، فلو سلك الطرق غير السليمة ستكون الآثار الناجمة سلبية ولا يمكن تداركها وتلافيها حينئذ. لكن ما ظنك لو سرى هذا السلوك في التحصيل والتعلم الحوزوي الذي أيضاً له مراحل لا يمكن عبورها والتخطي إلى غيرها إلّا بعد التدرج الترتيبي فيها لتأخذ كل مرحلة حيزها ومجالها وإلّا كانت العواقب وخيمة في التطبيق نتيجة فقدان عنصر صدق النية الذي يعد أول طرق تحصيل العلم ولا يتم ذلك إلّا بتصحيح القصد والسعي لتكميل النفس في قوتها العملية والتي لها مراتب أربع أولها تهذيب الظاهر باستعمال الأحكام وثانيها تهذيب الباطن من الشواغل عن عالم الغيب وثالثها ما يحصل بعد الاتصال بالفيض وهو

تجلّي النفس بالقوة القدسية ورابعها وهو ما يحصل عقيب الثالثة من ملاحظة جلاله وجماله ولا تتم هذه المراحل إلّا بعد الاجتناب عن الرذائل والتخلص من الصفات الذميمة كالبخل والحقد والعداوة والحسد ونحوها. والتحلية بالفضائل متوقف على التخلية من أضدادها.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم:

صنف يطلبه للجهل والمراء.

وصنف يطلبه للاستطالة والختل.

وصنف يطلبه للفقه والعقل.

فصاحب الجهل والمراء مؤذ ممارٍ متعرض للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه.

وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق يستطيل على مثله من أشباهه ويتواضع للأغنياء من دونه فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم فأعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره.

وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل ويخشى وجلاً داعياً مشفقاً مقبلاً على شأنه عارفاً بأهل زمانه مستوحشاً من أوثق إخوانه فشد الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه.) منية المريد.

والساحة العلمية لا تخلو من هذه الأصناف سواء أكانت مجتمعة أم لا، كما أن وجود الصنف الأول والثاني في تلك الساحة لم يكن حاجباً ومانعاً عن وجود الصنف الثالث فيها، وعلة هذا الجمع والخلط هو كون

الدنيا دار بلاء ولا تسلم بكل شؤونها وروافدها منه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: أيها الناس إن الله تعالى قد أعاذكم من أن يجور عليكم ولم يعذكم من أن يبتليكم وقد قال عز من قائل ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ نهج البلاغة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو كان المؤمن في جحر فأرة لقيض الله فيه من يؤذيه. مشكاة الأنوار.

وفي خصوص هذه النقطة سر من الأسرار ومؤشر من مؤشرات البلاء التي يتضح فيها بلاء واختبار لطلاب العلم وكشف لحقيقة نوايا الفرد من التعلم وليس كل من مشى إلى حلقة الدرس ظللته الملائكة واستغفرت له فإنّ ذلك تابع للنوايا، ويكفي المعترض والمشكك استعراض الوجوه في حلقات الدرس فإنها تكشف عن نواياها وتشير إلى صنفها الذي تنتمي إليه.

قال عليه السلام: من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف إلى باب العالم إلّا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى الله بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الأرض وهي تستغفر له ويمسي ويصبح مغفوراً له وشهدت الملائكة أنهم عتقاء الله من النار.

قال النبي صلى الله عليه وآله: إنما العلم ثلاث آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة وما خلاهن فهو فضل.

- يا علي ثلاث من حقائق الإيمان الإنفاق من الإقتار وإنصافك الناس من نفسك وبذل العلم للمتعلم.

- يا علي ثلاث من لم يكن فيه لم يتم عمله ورع يحجزه عن معاصي الله وخلق يداري به الناس وحلم يرد به جهل الجاهل.

- واعلم أن طالب العلم يستغفر له من في السماوات والأرض حتى الطير في جو السماء والحوت في البحر وأن الملائكةَ لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به وفيه شرف الدنيا والفوز بالجنة يوم القيامة لأن الفقَهاء هم الدعاة إلى الجنان والأدلاء على الله تبارك وتعالى.

قال رسول الله ﷺ: خير العلم ما نفع.

- زينة العلم الإحسان.

أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال إن المال مقسوم مضمون لكم قَد قَسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه.

أمير المؤمنين عليه السلام يقول: قَال رسول الله ﷺ: منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا على ما أحل الله له سلم ومن تناولها من غير حلها هلك إلّا أن يتوب أو يراجع ومن أخذ العلم من أهله وعمل بعلمه نجا ومن أراد به الدنيا فهي حظه.

علي بن الحسين عليه السلام قال: لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال أن أمقَت عبِيدي إلي الجاهل المستخف بحق أَهل العلم التارك للاقتداء بهم وأن أحب عبِيدي إلَي التقي الطالب للثَواب الجزيل اللازم للعلماء.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار إن الرئاسةَ لا تصلح إِلا لأهلها.

عن أبي جعفر عليه السلام قال سارعوا في طلب العلم فوالذي نفسي بيده لحديث واحد تأخذه عن صادق خير من الدنيا وما حملت من ذهب وفضة.

أبو جعفر عليه السلام يقول: رحم الله عبداً أحيا العلم قَال قلت وما إحياؤه؟ قال أن يذاكر به أهل الدين وأهل الورع.

أبوجعفر عليه السلام يقول: تذاكر العلم دراسة والدراسة صلاة حسنة.

أبو عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا إن الله يحب بغاة العلم.

عن أبي حمزة الثمالي قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اغد عالماً أو متعلماً أو أحب أهل العلم ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به وإنه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر وإن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر.

أبو عبد الله عليه السلام: من تعلم العلم وعمل به وعلم لله دعي في ملكوت السماوات عظيماً فقيل تعلم لله وعمل لله وعلم لله.

أبو عبد الله عليه السلام يقول: اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول يا طالب العلم

إن للعالم ثلاث علامات العلم والحلم والصمت وللمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه بالمعصية ويظلم من دونه بالغلبة ويظاهر الظلمة.

أبو عبد الله عليه السلام إن أبي كان يقول إن الله عزَّ وجلَّ لا يقبض العلم بعد ما يهبطه ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم فتليهم الجفاة فيضلون ويضلون ولا خير في شيء ليس له أصل.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال إن هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسألة

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله عزَّ وجلَّ يقول تذاكر العلم بين عبادي مما تحيا عليه القلوب الميتة إذا هم انتهوا فيه إلى أمري.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العلم مقرون إلى العمل فمن علم عمل ومن عمل علم والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلّا ارتحل عنه.

جاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فسأله عن مسائل فأجاب ثم عاد ليسأل عن مثلها فقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام مكتوب في الإنجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلّا كفراً ولم يزدد من الله إلّا بعداً.

عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول يا طالب العلم إن العلم ذو فضائل كثيرة فرأسه التواضع وعينه البراءة من الحسد وأذنه الفهم ولسانه الصدق وحفظه الفحص وقلبه حسن النية وعقله معرفة الأشياء والأمور ويده الرحمة ورجله زيارة العلماء وهمته السلامة وحكمته الورع ومستقره النجاة وقائده العافية ومركبه الوفاء وسلاحه لين الكلمة وسيفه الرضا وقوسه المداراة وجيشه محاورة العلماء وماله الأدب وذخيرته اجتناب الذنوب وزاده المعروف وماؤه الموادعة ودليله الهدى ورفيقه محبة الأخيار.

عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله ما العلم؟ قال الإنصات قال ثم مه؟ قال الاستماع قال ثم مه؟ قال الحفظ قال ثم مه قال العمل به قال ثم مه يا رسول الله؟ قال نشره.

- كيف يكون من أهل العلم من هو في مسيره إلى آخرته وهو مقبل على دنياه وما يضره أحب إليه مما ينفعه؟

الصادق جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا ظهر العلم واحترز العمل وائتلفت الألسن واختلفت القلوب وتقاطعت الأرحام هنالك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم.

موسى بن جعفر عليه السلام في حديث طويل قال لا نجاة إلّا بالطاعة والطاعة بالعلم والعلم بالتعلم والتعلم بالعقل يعتقد ولا علم إلّا من عالم رباني.

عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث أن رسول الله عليه السلام قال لعلي عليه السلام يا علي أنا مدينة العلم وأنت بابها فمن أتى من الباب وصل يا علي أنت بابي الذي أوتى منه وأنا باب الله فمن أتاني من سواك لم يصل إلي ومن أتى الله من سواي لم يصل إلى الله.

قال الصادق عليه السلام: العجب صارف عن طلب العلم داع إلى الغمط والجهل.

عن أبي الحسن الثالث عن آبائه عليهم السلام قال: العلم وراثة كريمة والآداب حلل حسان والفكرة مرآة صافية.

وعنه عليه السلام قال: أفضل طبائع العقل العبادة وأوثق الحديث له العلم وأجزل حظوظه الحكمة وأفضل ذخائره الحسنات.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: العقل والشهوة ضدان ومؤيد العقل العلم ومزين الشهوة الهوى والنفس متنازعة بينهما فأيهما قهر كانت في جانبه.

وقال عليه السلام: غاية العلم الخوف من الله.

ابوعبدالله الصادق عليه السلام يقول: اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ينبغي للعاقل أن يحترس من سكر المال وسكر القدرة وسكر العلم وسكر المدح وسكر الشباب فإن لكل ذلك رياحاً خبيثة تسلب العقل وتستخف الوقار.

وقال عليه السلام كسب العلم التزهد في الدنيا.

قال الصادق عليه السلام كثرة النظر في العلم يفتح العقل.

وقال عليه السلام المودة أشبك الأنساب والعلم أشرف الأحساب.

- مجالس العلم غنيمة.

- مجالسة العلماء غنيمة.

- شر العلم ما أفسدت به رشادك.

- لن يزكو العمل حتى يقارنه العلم.

عن الكاظم عليه السلام قال ألزم العلم لك ما دلك على صلاح قلبك وأظهر لك فساده.

وقال بعض العارفين: أليس المريض إذا منع عنه الطعام والشراب والدواء يموت؟ كذا القلب إذا منع عنه العلم والفكر والحكمة يموت.

وقال آخر: من جلس عند العالم ولم يطق الحفظ من علمه فله سبع كرامات ينال فضل المتعلمين وتحبس عنه الذنوب ما دام عنده وتنزل الرحمة عليه إذا خرج من منزله طالباً للعلم وإذا جلس في حلقة العالم نزلت الرحمة عليه فحصل له منها نصيب وما دام في الاستماع يكتب له طاعة وإذا استمع

ولم يفهم ضاق قلبه بحرمانه عن إدراك العلم فيصير ذلك الغم وسيلة إلى حضرة الله تعالى.

عن أبي جعفر عليه السلام قال إن الذي يعلم العلم منكم له أجر مثل أجر المتعلم وله الفضل عليه فتعلموا العلم من حملة العلم وعلموه إخوانكم كما علمكموه العلماء عن أبي بصير قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول كان أبو ذر رحمه الله يقول يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك.

روي أن رجلاً قال للحسين بن علي عليه السلام اجلس حتى نتناظر في الدين فقال: يا هذا أنا بصير بديني مكشوف عليّ هداي فإن كنت جاهلاً بدينك فاذهب واطلبه ما لي وللمماراة وإن الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه ويقول ناظر الناس في الدين كي لا يظنوا بك العجز والجهل ثم المراء لا يخلو من أربعة أوجه إما أن تتمارى أنت وصاحبك فيما تعلمان فقد تركتما بذلك النصيحة وطلبتما الفضيحة وأضعتما ذلك العلم أو تجهلانه فأظهرتما جهلاً وخاصمتما جهلاً أوتعلمه أنت فظلمت صاحبك بطلبك عثرته أو يعلمه صاحبك فتركت حرمته ولم تنزله منزلته وهذا كله محال فمن أنصف وقبل الحق وترك المماراة فقد أوثق إيمانه وأحسن صحبة دينه وصان عقله .

مشكاة الأنوار ٣٢٥ الباب التاسع في ذكر المواعظ . . . . .

يُروى أن شيخاً كبيراً قد أتى عليه أربع وتسعون سنة يدعى (عنوان البصري) قال كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين فلما حضر جعفر الصادق عليه السلام المدينة اختلفت إليه وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت من مالك.

فقال لي يوماً : إني رجل مطلوب ومع ذلك لي أوراد في كل ساعة من آناء الليل والنهار فلا تشغلني عن وردي فخذ عن مالك واختلف إليه كما

كنت تختلف إليه فاغتممت من ذلك وخرجت من عنده وقلت في نفسي لو تفرس في خيراً لما زجرني عن الاختلاف إليه والأخذ عنه فدخلت مسجد الرسول وسلمت عليه ثم رجعت من الغد إلى الروضة وصليت فيها ركعتين وقلت أسألك يا الله يا الله أن تعطف علي قلب جعفر وترزقني من علمه ما أهتدي به إلى صراطك المستقيم ورجعت إلى داري مغتماً حزيناً ولم أختلف إلى مالك بن أنس لما أشرب قلبي من حب جعفر فما خرجت من داري إلّا إلى الصلاة المكتوبة حتى عيل صبري فلما ضاق صدري تنعلت وترديت وقصدت جعفراً وكان بعد ما صليت العصر فلما حضرت باب داره استأذنت عليه فخرج خادم له فقال: ما حاجتك؟

فقلت: السلام على الشريف.

فقال: هو قائم في مصلاه فجلست بحذاء بابه فما لبثت إلّا يسيراً إذ خرج خادم له.

قال: ادخل على بركة الله فدخلت وسلمت عليه فرد عليَّ السلام.

وقال: اجلس غفر الله لك فجلست فأطرق مليّاً ثم رفع رأسه

وقال: أبو من؟

قلت: أبو عبد الله.

قال: ثبت الله كنيتك ووفقك لمرضاته.

قلت في نفسي: لو لم يكن لي من زيارته والتسليم عليه غير هذا الدعاء لكان كثيراً ثم أطرق مليّاً ثم رفع رأسه.

فقال: يا أبا عبد الله ما حاجتك؟

قلت: سألت الله أن يعطف قلبك علي ويرزقني من علمك وأرجو أن الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته.

فقال: يا أبا عبد الله ليس العلم بالتعلم إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يبديه فإن أردت العلم فاطلب أولاً من نفسك حقيقة العبودية واطلب العلم باستعماله واستفهم الله يفهمك.

قلت: يا شريف.

فقال: قل يا أبا عبد الله.

قلت: يا أبا عبد الله ما حقيقة العبودية؟

قال: ثلاثة أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله إليه ملكاً لأن العبيد لا يكون لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله تعالى به ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً وجملة اشتغاله فيما أمره الله تعالى به ونهاه عنه فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله تعالى ملكاً هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه. وإذا فوض العبد تدبير نفسه على مدبره هان عليه مصائب الدنيا وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه لا يتفرغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاث هان عليه الدنيا وإبليس والخلق ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً ولا يطلب عند الناس عزّاً وعلواً ولا يدع أيامه باطلاً فهذا أول درجة المتقين قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

قلت: يا أبا عبد الله أوصني.

فقال: أوصيك بتسعة أشياء فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله عزَّ وجلَّ والله أسأل أن يوفقك لاستعماله ثلاثة منها في رياضة النفس وثلاثة منها في الحلم وثلاثة منها في العلم فاحفظها وإياك والتهاون بها.

قال عنوان: ففرغت قلبي له.

فقال: أما اللواتي في الرياضة:

فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه فإنه يورث الحماقة والبله ولا تأكل إلّا عند الجوع وإذا أكلت فكُلْ حلالاً وسمّ الله واذكر حديث الرسول ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه فإن كان لا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه.

وأما اللواتي في الحلم:

فمن قال لك إن قلت واحدة سمعت عشراً، فقل إن قلت عشراً لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل إن كنت صادقاً فيما تقول فالله أسأل أن يغفرها لي، وإن كنت كاذباً فيما تقول فالله أسأل أن يغفرها لك ومن وعدك بالجفاء فعده بالنصيحة والدعاء.

وأما اللواتي في العلم:

فاسأل العلماء ما جهلت وإياك أن تسألهم تعنتاً وتجربة وإياك أن تعمل برأيك شيئاً وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً واهرب من الفتيا هربك من الأسد ولا تجعل رقبتك للناس جسراً. قم عني يا أبا عبد الله فقد نصحت لك ولا تفسد علي وردي فإني امرؤ ضنين بنفسي والسلام.

وَعَلَى الْمُسْتَمِعِينَ بِالاتِّبَاعِ وَالْمَوْعِظَةِ

الموعظة بمعنى الرجوع والإنابة والتوبة، فعلى المستمع تقديم الاستغفار والتوبة ليحصل على الزلفى حينما يسمع القرآن أو ما يذكره النبي ﷺ من بيان ذلك أو الإمام عليه السلام.

جاء في وصية الإمام علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله، يا بني إن الموعظة تشق على السفيه كما يشق الصعود على الشيخ الكبير[1]. وعن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزَّ وجلَّ ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ قال الموعظة التوبة[2] وقد يراد من الموعظة، الاتعاظ والعبرة حينما تسمع الحكمة أو قصص الأقوام السالفة وما كان منها حتى جرى عليها البلاء أو العقوبة أو جزيل الثواب. جاء عن الإمام أمير المؤمنين في خطبته المعروفة بالوسيلة عليه السلام: الموعظة كهف لمن وعاها[3].

والإنسان شاء أم أبى لا يمكنه بناء حياته إلّا على أعتاب الماضي، كما إن الزفير أثر من شهيقٍ، فلا يمكنه ابتكار سلوك ونهج جديد للحياة دون

---

(١) البحار ج١٣ ص٤٢٦.
(٢) تفسير العياشي ج١ ص١٥٢.
(٣) شرح النهج.

ذلك لأنّ الإنسان نفس الإنسان والحياة هي الحياة والتغاير في الأزمان والدهور هو تغاير اعتباري قال عليه السلام: ابلغ ناصح لك الدنيا وقال أيضاً: من فهم مواعظ الزمان لم يسكن إلى حسن الظن بالأيام[1].

ثم إن الأذن حاسة مفتوحة تلتقط كل همسة ودويّ فما تركته للسماع تناثر بين الأصوات وما أعارته الاستماع استعد له القلب حتى انفعل معه وأوعز للجوارح لتأخذ كل واحدة بمقدارها وبحسبها قال عليه السلام: عود أذنك حسن الاستماع ولا تصغ إلى ما لا يزيد في صلاحك استماعه فإنّ ذلك يصدي القلوب ويوجب المذام[2].

وأول سلّم الكمال هو الاتعاظ ولا يتحقق إلّا بإشراك العقل لأنّ استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر. قال عليه السلام: رحم الله عبداً سمع حكماً فوعى، ودعي إلى رشاد فدنا، وأخذ بحجزة هادٍ فنجى[3].

وأهل السير والسلوك يذكرون للقلب ثلاث مراحل لخروجه من ظلماته فيكون له ثلاثة سلالم لعبوره رينه فالمراحل هي التخلية والتحلية والتجلية والسلالم هي الاستماع والتعلم والعلم وما مرّ من فقرات كانت بمثابة التخلية، وفقرة الاستماع هي تخلية التخلية، كتطهير المكان بعد إزالة العين. كما أنه يعد أول مدرج للتحلية.

فإن لم يحصل له الاستماع بتفاعلية السمع وهو الاتباع والموعظة لا يمكنه أن يكون متعلماً فضلاً عن عالم.

والموعظة جاءت لتزيل حجب الغفلة عن النفس فتصقلها وتجلّي القلب عن أردان الحياة لأنّ هناك كثيراً من النفوس ليس لها همّ إلّا متاع الدنيا

---

(١) غرر الحكم ص٤٧٢.
(٢) نفسه ص٢١٥.
(٣) البحار ج٧٤ ص٤٢٥.

بالرغم من معرفتها بأحكام الحياة وإدراكها المسؤولية الآدمية وهي انتشال النفس والارتقاء بها حتى يكون الإنسان ملائكيّ الطباع آدميّ التحرك.

ولكن بالرغم من إدراكها لمسؤوليتها والمناط بها نجد سطوة الدنيا عليها منعتها من الأخذ بالمواعظ والعمل للآخرة. قال علي عليه السلام: بينكم وبين الموعظة حجاب من الغفلة والغرة[1].

وأول المواعظ ما صدرت عن النفس لأنّ فيها قوة تزجر صاحبها إن زل وانحرف عن الجادة الإلهية وما أخسره إن لم ينزجر بزواجر النفس وأنت خبير بكثير من الذين لم يسمعوا مما جعلهم الله تعالى شأنه لا يستمعون فكانوا مصداق قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾[2].

قال علي عليه السلام: إذا لم تكن عالماً ناطقاً فكن مستمعاً واعية[3].

وعنه عليه السلام: جعل لكم أسماعاً لتعي ما عناها، وأبصاراً لتجلو عن عشاها[4] وقال عليه السلام أيضاً:

(المواعظ حياة القلوب.

المواعظ صقال النفوس، وجلاء القلوب.

بالمواعظ تنجلي الغفلة.

ثمرة الوعظ الانتباه)[5].

---

(١) غرر الحكم ص٢٦٦.
(٢) البقرة: ١٧١.
(٣) نفسه ص٤٣.
(٤) شرح النهج لابن ابي الحديد ج٦ص٢٥٧.
(٥) غرر الحكم.

وقال عليه السلام حين قتل طلحة: وقر سمع لم يفقه الواعية، وكيف يراعي النباءة من أصمته الصيحة[1] عن الحسن عليه السلام إن أبصر الأبصار ما نفذ في الخير مذهبه، وأسمع الأسماع ما وعى التذكير وانتفع به[2].

علي عليه السلام: اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلّا فقيراً يكابد فقراً أو غنياً بدل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً، أو متمرداً كأن بأذنه عن سمع المواعظ وقراً[3].

وعنه عليه السلام: ما كل ذي قلب بلبيب، ولا كل ذي سمع بسميع، ولا كل ناظر ببصير[4] (وهذه من صفات العالم غير العامل والواعظ غير المتعظ).

ومن كلامه عليه السلام لأهل الكوفة: يا أهل الكوفة: منيت منكم بثلاث واثنتين: صم ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار، لا إخوان صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء[5]. وعنه عليه السلام: سامع ذكر الله ذاكر[6].

وعنه عليه السلام: من أحسن الاستماع تعجل الانتفاع[7].

وعن زين العابدين عليه السلام: لكل شيء فاكهة، وفاكهة السمع الكلام الحسن[8] وعن علي عليه السلام: سامع هجر القول شريك القائل[9].

---

(١) الارشاد ج١ص٢٥٤.
(٢) البحار.
(٣) شرح ابن ابي الحديد ج٨ص٢٤٤.
(٤) الارشاد ج١ ص٢٩١.
(٥) الاحتجاج ج١ص١٧٥.
(٦) غرر الحكم ص١٨٨.
(٧) نفسه ص٦٠.
(٨) اعلام الدين ص٢٩٩.
(٩) غرر الحكم ص٢٢٣.

أمير المؤمنين عليه السلام : نعم العطية ونعم الهدية الموعظة[1].

وعنه عليه السلام : في كل نظرة عبرة وفي كل تجربة موعظة[2].

وعنه عليه السلام : قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل والعاقل من وعظته التجارب[3].

عن الصادق عليه السلام : أصدق القول وأبلغ الموعظة وأحسن القصص كتاب الله[4].

عن علي عليه السلام : ابلغ ناصح لك الدنيا لو انتصحت بما تريك من تغاير الحالات، وتؤذنك به من البين والشتات[5].

وعنه عليه السلام : اجعل من نفسك على نفسك رقيباً واجعل لآخرتك من دنياك نصيباً[6].

عن زين العابدين عليه السلام : ابن آدم ! إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همك، وما كان الخوف لك سعاراً، والحذر لك دثاراً. !ابن آدم إنك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله عزَّ وجلَّ ومسؤول فأعد جواباً[7] عن علي عليه السلام : واعلموا انه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر، لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ[8].

---

(١) ارشاد القلوب ج١ ص١٣.
(٢) غرر الحكم ص٤٤٤.
(٣) كنز الفوائد ج١ص١٩٩.
(٤) أمالي الصدوق ص٤٨٧.
(٥) غرر الحكم ص١٣٢.
(٦) نفسه ص٢٣٥.
(٧) مستطرفات السرائر ص٥٩٣.
(٨) شرح ابن ابي الحديد ج٦ص٣٩٥.

عن الباقر عليه السلام: من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً، فإنّ مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً[1].

عن الصادق عليه السلام: من لم يكن له واعظ من قلبه، وزاجر من نفسه، ولم يكن له قرين مرشد، استمكن عدوه من عنقه[2].

وعنه عليه السلام: أي مفضل! قل لشيعتنا: كونوا دعاة إلينا بالكف عن محارم الله واجتناب معاصيه، واتباع رضوانه؛ فإنهم إذا كانوا كذلك كان الناس إلينا مسارعين[3] وعنه عليه السلام: بينا موسى بن عمران يعظ أصحابه إذ قام رجل فشق قميصه، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: يا موسى! قل له: لا تشق قميصك ولكن اشرح لي عن قلبك[4].

وعنه عليه السلام: إن الوعظ الذي لا يمجه سمع، ولا يعدله نفع، ما سكت عنه لسان القول ونطق به لسان الفعل[5].

وعنه عليه السلام: من لم يتعظ بالناس وعظ الله الناس به[6].

وعنه عليه السلام في صفة أهل الدنيا: قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه. . . . لا ينزجر من الله بزاجر، ولا يتعظ من الله بواعظ[7].

قال النبي صلى الله عليه وآله: لا تجلسوا عند كل داع مدع يدعوكم من اليقين إلى الشك ومن الإخلاص إلى الرياء ومن التواضع إلى الكبر ومن النصيحة إلى العداوة ومن الزهد إلى الرغبة وتقربوا إلى عالم يدعوكم من الكبر إلى

---

(١) أمالي المفيد ص٢٨.
(٢) روضة الواعظين ج٢ص٤٢.
(٣) دعائم الاسلام ج١ص٥٨.
(٤) بحار الانوار ج١٣ص٣٥٢.
(٥) غرر الحكم ص٢٢٥.
(٦) نفسه ص٤٧٣.
(٧) شرح ابن ابي الحديد ج٧ص٢٠٠.

التواضع ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الشك إلى اليقين ومن الرغبة إلى الزهد ومن العداوة إلى النصيحة ولا يصلح لموعظة الخلق إلّا من خاف هذه الآفات بصدقه وأشرف على عيوب الكلام وعرف الصحيح من السقيم وعلل الخواطر وفتن النفس والهوى[1].

(١) مصباح الشريعة ص٢٠.

وَعَلى مَرْضَى الْمُسْلِمينَ بِالشِّفَاءِ وَالرّاحَةِ

إن لحبس الروح في هذا البدن الفاني أثرٌ في ورود العلل والأسقام، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ليس للأجسام نجاة من الأسقام)[1] والتي هي نتيجة طبعه الترابي، والطباع تميل لسنخها، فالبدن يجر الروح للدنيا والروح تحاول الإفلات جاهدة للعروج نحو أصلها ومقرها، ولكن لا محيص لها وإن جدّت واجتهدت في صدق إفلاتها من إطار البدن وتأثيراته، ولكن مع هذا لها في الفرق بينها وبين تلك الروح التي سلمت واستسلمت للبدن مائز جلي، فإنّ التي أسلمت زمامها ليس لها إلّا مصير البدن في التدني والفناء فتكون بالنتيجة والمحصلة النهائية ذَراً يطؤها الخلق بأقدامهم وحوافرهم، أما الرافضة لقيود البدن فلا يصيبها إلّا اللمم وهو العلل والأسقام والتي هو علة تصفيتها مما علق بها من شوائب الدنيا. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يمرض مؤمن ولا مؤمنة ولا مسلم ولا مسلمة إلّا حط الله به خطيئته[2].

وروي عن مولى المتقين وأمير المؤمنين عليه السلام في كلام وجهه لبعض أصحابه في علة اعتلها: جعل الله ما كان من شكواك حطاً لسيئاتك؛ فإنّ المرض لا أجر فيه، ولكنه يحط السيئات، ويحتها حتّ الأوراق وإنما

---

(١) غرر الحكم ص١٠١.

(٢) نفسه.

الأجر في القول باللسان، والعمل بالأيدي والأقدام وإن الله سبحانه يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة[1]. وقد يكون المرض مرض بلوى الذي فيه يجسد المريض صدق عبوديته وتسليمه لله سبحانه وتعالى وقد رأيت أحد المؤمنين مبتلى بالفالج من شهرين قال أنا خادم الحسين عليه السلام وأقيم مآتمه في داري التي تبلغ مساحتها ستمائة متر وقد جعلتها وقفاً للحسين عليه السلام وأنا واثق انه لا يتركني على حالي وفعلاً تحسنت حالي ببركته. وهذا فيض من غيض فلو أردنا سرد نفحات وأنفاس آل محمد عليهم السلام لخرجنا عن الغرض من هذا الوجيز. فكانوا مصداق قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[2].

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله رفع رأسه إلى السماء فتبسم فقيل له يا رسول الله رأيناك رفعت رأسك إلى السماء فتبسمت قال: نعم عجبت لملكين هبطا من السماء إلى الأرض يلتمسان عبداً مؤمناً صالحاً في مصلى كان يصلي فيه ليكتبا له عمله في يومه وليلته فلم يجداه في مصلاه، فعرجا إلى السماء فقالا: ربنا عبدك المؤمن فلان التمسناه في مصلاه لنكتب له عمله ليومه وليلته فلم نصبه فوجدناه في حبالك فقال الله عزَّ وجلَّ: اكتبا لعبدي مثل ما كان يعمله في صحته من الخير في يومه وليلته ما دام في حبالي؛ فإنّ علي أن اكتب له أجر ما كان يعمله في صحته إذا حبسته عنه[3].

ثم إن الوهم من جملة ذلك البلاء الذي يصيب البدن فيسري على الروح والشوائب التي تعلق بها، فإنّ الإنسان أسير الوهم والخيال فقد يوهمها بشيء أو يظن من نفسه الخير وقد يجره ظنه إلى ظن أخطر منه وهو ظنه بأنه

---

(١) الدعوات ص٢٢٣.

(٢) الشعراء ٨٠.

(٣) الكافي ج٣ص١١٣.

على خير والى خير وأنه لو لم يرَ الله فيه خيراً لما مكنه وحباه، إلى آخره من الظنون والأوهام الفاسدة التي هي من خفايا خبائث الشيطان، فيأتي مرض العقوبة ليرجعه إلى حاله ويكشف له حقيقة أمره وشأنه، وعن هذا المعنى جاء في زبورهم عليه السلام: إلهي لا تؤدبني بعقوبتك ولا تمكر بي في حيلتك[1].

وعنه عليه السلام: أربعة من كنوز الجنة: كتمان الحاجة، وكتمان الصدقة، وكتمان، المرض وكتمان المصيبة[2]

الإمام علي عليه السلام: المرض حبس البدن[3].

وعنه عليه السلام: لا رزية أعظم من دوام سقم الجسد[4].

وعنه عليه السلام ألا وإن من البلاء الفاقة، واشد من الفاقة مرض البدن، واشد من مرض البدن مرض القلب، ألا وإن من صحة البدن تقوى القلب[5].

وعنه عليه السلام مسكين ابن آدم: مكتوم الأجل، مكنون العلل، محفوظ العمل، تؤلمه البقة، وتقتله الشرقة، وتنتنه العرقة[6].

وعنه عليه السلام: من صحة الأجسام تولد الأسقام[7].

وقد قيل له كيف نجدك يا أمير المؤمنين؟ كيف يكون حال من يفنى ببقائه، ويسقم بصحته، ويؤتى من مأمنه[8]؟ ومن كلام له عليه السلام يعظ بعض أصحابه: لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل.. إن سقم ظل نادماً وإن

---

(١) الصحيفة السجادية.
(٢) .
(٣) غرر الحكم.
(٤) نفسه.
(٥) المستدرك.
(٦) النهج.
(٧) غرر الحكم.
(٨) البحار.

صح أمن لاهياً يعجب بنفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلي[1]. عنه عليه السلام: إن سقم فهو نادم على ترك العمل وإن صح امن مغتراً فأخر العمل[2].

في عيادة المريض

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: عائد المريض يخوض في الرحمة إذا جلس ارتمس فيها[3].

وعنه عليه السلام: خير العيادة أخفها[4].

وعنه عليه السلام: عد من لا يعودك، واهدِ من لا يهدي لك[5].

وعنه عليه السلام: العيادة فواق ناقة[6].

وعن الصادق عليه السلام: من عاد مريضاً شيعه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يرجع إلى منزله[7].

وعنه عليه السلام: إن المرض على وجوه شتى: مرض بلوى ومرض عقوبة ومرض جعل علة للفناء[8].

---

(١) شرح النهج ج١٨ص٣٥٦.
(٢) غرر الحكم.
(٣) ارشاد القلوب ج١ص٤٤.
(٤) النهج.
(٥) الفقيه.
(٦) غرر الحكم.
(٧) الكافي ج٣ص١٢٠.
(٨) الاحتجاج ج٢ص٣٤١.

وَعَلى مَوْتاهُمْ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ

يعد الموت من أصعب مراحل حياة الإنسان وانه قاصم الأظهر وهادم الملذات ومبدد الأحلام وكاشف عن الأوهام والخيالات. فلا يستثنى أحد إلّا الواحد الأحد عزَّ وجلَّ، «فيا من تفرد بالعز والبقاء وقهر عباده بالموت والفناء»[1].

وقال الصادق عليه السلام: اعتبروا بما مضى من الدنيا هل بقي على أحد أو هل فيها باق من الشريف والوضيع والغني والفقير والولي والعدو فكذلك ما لم يأت منها بما مضى أشبه من الماء بالماء قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كفى بالموت واعظاً وبالعقل دليلاً وبالتقوى زاداً وبالعبادة شغلاً وبالله مؤنساً وبالقرآن بياناً[2].

إنه لحظة صعق الأشياء فلا يبقى أمامها إلّا الحقائق، ولولا هذه الرأفة والرحمة لبقي المخلوق ينازع ويصارع إلى ما شاء الله.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: لم يبق من الدنيا إلّا بلاء وفتنة وما نجا من نجا إلّا بصدق الالتجاء[3]. وبالرغم من أن الرأفة والرحمة خاصة بالمؤمنين تبقى

---

(١) من دعاء الصباح لأمير المؤمنين.
(٢) مصباح الشريعة.
(٣) نفسه ص١١٣.

الحالة صعبة .﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[1] لأن الإنسان إن لم يكن معصوماً فهو محض الخطيئة بحسب ما يملك من نسب التدين وبحسب قابلية تلك النسبة في السيطرة على جوارحه وغرائزه. فتشمله الرأفة لتجاوزه حقوق نفسه من سهوه وتهاونه في واجباته وبعض الحقوق التي تسمى باللمم، وتشمله الرحمة لتجاوزه حقوق غيره عن جهالة وغفلة، فيرضي الرب تبارك وتعالى صاحب الحق. وهذا عين الرأفة والرحمة لكليهما .

قال رسول الله ﷺ: لما بعث الله نوحاً إلى قومه بعثه وهو ابن خمسين ومائتي سنة ولبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فلما أتاه ملك الموت

قال له: يا نوح يا أكبر الأنبياء ويا طويل العمر ويا مجاب الدعوة كيف رأيت الدنيا ؟

قال: مثل رجل بني له بيت له بابان فدخل من واحد وخرج من واحد، هذا حال صفي الله كيف حال من اطمأن فيها وركن إليها وأضاع عمره في عمارتها ومزق دينه في طلبها والفكرة مرآة الحسنات وكفارة السيئات وضياء القلوب وفسحة الخلق وإصابة في صلاح المعاد واطلاع على العواقب واستزادة في العلم وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها قال رسول الله ﷺ فكرة ساعة خير من عبادة سنة ولا ينال منزلة التفكر إلّا من قد خصه الله بنور المعرفة والتوحيد[2].

قيل كان سليمان بن عبد الملك جميلاً بهيّاً وكانت له هيئة حسنة فلبس

---

(١) (التوبة: ١٢٨).

(٢) البحار ج٦٨ص٣٢٥.

يوماً ثياباً حمراً رقيقة وقال لجارية كانت له حظية عنده قائمة على رأسه وكان أعجب بنفسه كيف ترين هذه الهيئة فقالت:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان

أنت خلو من العيوب ومما ... تكره النفس غير أنك فان

وقيل إنه صعد المنبر وقد غلفت لحيته بغالية حتى كاد يقطر منها ثم قال أنا الملك الشاب مدلاً بملكه وشبابه فما دارت عليه الجمعة حتى مات[1].

عن الأصمعي قال حدثني من أثق به قال غزونا البحر سنة فمالت بنا السفينة إلى جزيرة فإذا قصر شاهق وللقصر بابان وإلى جنبه قبر وبين القبر والقصر فسيل لم أر فسيلاً أحسن منه وعلى القبر مكتوب:

يُؤَمِل دنياً لتبقى له ... فماتَ المؤملُ قبل الأَمل

وبات يروي أُصولَ الفَسيل ... فعاشَ الفسيل ومات الرجل

وعلى وجه القصر مكتوب ... وفتىً كان جَبينُهُ بدرَ الدُّجى

قامَتْ عليه نوائِحٌ ورَوامِس ... غَرَسَ الفسيل مُؤَمِلاً لِبَقائِهِ

فَبَقِيَ الفسيل ومات عنه الغارس.

قال فبكيت ساعة على الغارس حيث لم يبلغ أمله.ولو كان للراوي بصيرة لكان بكاؤه على نفسه أولى وأحرى[2].

عن الحسن البصري يابن آدم أنت وديعة في أهلك ويوشك أن تلحق بصاحبك وأنشد:

وما المال والأهلون إلّا وديعة ... ولا بدَّ يوماً أن ترد الودائع[3]

---

(١) الاجوبة المسكتة.

(٢) مجموعة ورام ج٢ص١٢٩.

(٣) نفسه.

وقال عليه السلام: نفس المرء خطاه إلى أجله[1].

وقال عليه السلام: كل معدود منقَض وكل متوقع آت[2].

قال عليه السلام: فقدُ الأحبة غربة[3].

علي عليه السلام: اشتغال النفس بما لا يصحبها بعد الموت من أكبر الوهن[4].

قال عليه السلام: إنما أنا رحمة مهداة[5].

لأن من أسمائه عليه السلام نبي الرحمة قال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[6].

والرحمة في كلام العرب العطف والرأفة والإشفاق وكان بالمؤمنين رحيماً كما وصفه الله تعالى هو الرحيم العاطف برحمته على عباده وقيل الرأفة أبلغ من الرحمة وأرقها وقيل الرأفة أخص والرحمة أعم.

والرأفة وضدها القسوة والرحمة وضدها الغضب.

وقيل: حرم الله الدم كتحريم الميتة لما فيه من فساد الأبدان وأنه يورث الماء الأصفر ويبخر الفم وينتن الريح ويسيء الخلق ويورث قسوة القلب وقلة الرأفة والرحمة حتى لا يؤمن أن يقتل الإنسان ولده ووالده وصاحبه.

وقيل لأبي عبد الله عليه السلام قوم يعملون بالمعاصي ويقولون نرجو فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت فقال هؤلاء قوم يترجحون في الأماني كذبوا ليس يرجون أن من رجا شيئاً طلبه ومن خاف من شيء هرب منه[7].

---

(١) شرح النهج ج١٨ص٢٢١.
(٢) نفسه.
(٣) نفسه.
(٤) مستدرك الوسائل ج١١ص٣٢٣.
(٥) مجموعة ورام ج١ص٧.
(٦) الانبياء: ١٠٧.
(٧) مشكاة الانوار ص١١٧.

وقال ﷺ: سيكون في آخر هذه الأمة قوم يعملون بالمعاصي ثم يقولون هي من الله قضاء وقدراً فإذا لقيتموهم فأعلموهم أني بريء منهم[١].

وقال الصادق عليه السلام: ما من ميت تحضره الوفاة إلّا ردَّ الله عزَّ وجلَّ عليه من بصره وسمعه وعقله آخذاً للوصية أو تاركاً وهي الراحة التي يقال لها راحة الموت[٢].

- من أكثر ذكر الموت أحبَّه الله[٣].

عن أبي عبيدة الحذاء قال قلت لأبي جعفر عليه السلام: حدثني بما أنتفع به فقال: يا أبا عبيدة أكثر ذكر الموت فإنه لم يكثر إنسان ذكر الموت إلّا زهد في الدنيا[٤].

عن منصور الصيقل والمعلى بن خنيس قالا سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول قال رسول الله عليه السلام: قال الله عزَّ وجلَّ ما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في موت عبدي المؤمن إنني لأحب لقاءه ويكره الموت فأصرفه عنه وإنه ليدعوني فأجيبه وإنه ليسألني فأعطيه ولو لم يكن في الدنيا إلّا واحد من عبيدي مؤمن لاستغنيت به عن جميع خلقي ولجعلت له من إيمانه أنساً لا يستوحش إلى أحد[٥].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: مثل المؤمن كمثل خامة الزرع تكفئها الرياح كذا وكذا وكذلك المؤمن تكفئه الأوجاع والأمراض ومثل المنافق كمثل الإرزبة المستقيمة التي لا يصيبها شيء حتى يأتيه الموت فيقصفه قصفاً[٦].

---

(١) الصراط المستقيم ج١ص٣٢.
(٢) الفقيه ج١ص١٣٨.
(٣) الكافي ج٢ص١٢٢.
(٤) نفسه ص١٣١.
(٥) البحار ج٦٤ص١٥٤.
(٦) مشكاة ص٢٨٠.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب ولا خوف أشد من الموت وكفى بما سلف تفكراً وكفى بالموت واعظاً[1].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عزَّ وجلَّ إذا كان من أمره أن يكرم عبداً وله ذنب ابتلاه بالسقم فإن لم يفعل ذلك له ابتلاه بالحاجة فإن لم يفعل به ذلك شدد عليه الموت ليكافيه بذلك الذنب قال وإذا كان من أمره أن يهين عبداً وله عنده حسنة صحح بدنه فإن لم يفعل به ذلك وسع عليه في رزقه فإن هو لم يفعل ذلك به هون عليه الموت ليكافيه بتلك الحسنة[2].

عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أخبرني جبرئيل عليه السلام أن ملكاً من ملائكة الله كانت له عند الله عزَّ وجلَّ منزلة عظيمة فتُعُتِّب عليه فأهبط من السماء إلى الأرض فأتى إدريس عليه السلام فقال إن لك من الله منزلة فاشفع لي عند ربك فصلى ثلاث ليال لا يفتر وصام أيامها لا يفطر، ثم طلب إلى الله تعالى في السحر في الملك فقال الملك: إنك قد أعطيت سؤلك وقد أطلق لي جناحي وأنا أحب أن أكافيك فاطلب إلي حاجة فقال تريني ملك الموت لعلي آنس به فإنه ليس يهنئني مع ذكره شيء فبسط جناحه ثم قال اركب فصعد به يطلب ملك الموت في السماء الدنيا فقيل له اصعد فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة فقال الملك: يا ملك الموت ما لي أراك قاطباً؟ قال العجب إني تحت ظل العرش حيث أمرت أن أقبض روح آدمي بين السماء الرابعة والخامسة فسمع إدريس عليه السلام فامتعض فخر من جناح الملك فقبض روحه مكانه وقال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾[3].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله عليه السلام قال الله عزَّ وجلَّ:

---

(١) وسائل الشيعة ج١٥ص٣٤.
(٢) التمحيص ص٣٨.
(٣) الكافي ج٣ص٢٥٧.

وعزتي وجلالي لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أستوفي منه كل خطيئة عملها إما بسقم في جسده وإما بضيق في رزقه وإما بخوف في دنياه فإن بقيت عليه بقية شددت عليه عند الموت وعزتي وجلالي لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها إما بسعة في رزقه وإما بصحة في جسمه وإما بأمن في دنياه فإن بقيت عليه بقية هونت عليه بها الموت[1].

قال أبو عبد الله عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام: ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة وكم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً والموت فضح الدنيا فلم يترك لذي لب فرحاً[2].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنكم في آجال مقبوضة وأيام معدودة والموت يأتي بغتة من يزرع خيراً يحصد غبطة ومن يزرع شراً يحصد ندامة ولكل زارع ما زرع ولا يسبق البطيء منكم حظه ولا يدرك حريص ما لم يقدر له من أعطي خيراً فالله أعطاه ومن وقي شراً فالله وقاه[3].

وعنه عليه السلام قال جاء رجل إلى أبي ذر رحمه الله: فقال: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمرتم الدنيا وأخربتم الآخرة فتكرهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب فقال له فكيف ترى قدومنا على الله؟ فقال: أما المحسن منكم فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء منكم فكالآبق يرد على مولاه قال فكيف ترى حالنا عند الله؟ قال: اعرضوا أعمالكم على الكتاب إن الله يقول ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ قال فقال الرجل فأين رحمة الله؟ قال رحمة الله قريب من المحسنين[4].

---

(١) مشكاة ص١٥٦.
(٢) مجموعة ورام ج٢ص١٦٠.
(٣) الكافي ج٢ص٤٥٨.
(٤) نفسه.

وعنه عليه السلام قال إن عيسى ابن مريم جاء إلى قبر يحيى بن زكريا عليه السلام وكان سأل ربه أن يحييه له فدعاه فأجابه وخرج إليه من القبر فقال له ما تريد مني؟ فقال له أريد أن تؤنسني كما كنت في الدنيا فقال له يا عيسى ما سكنت عني حرارة الموت وأنت تريد أن تعيدني إلى الدنيا وتعود علي حرارة الموت فتركه فعاد إلى قبره[1].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن فتية من أولاد ملوك بني إسرائيل كانوا متعبدين وكانت العبادة في أولاد ملوك بني إسرائيل وإنهم خرجوا يسيرون في البلاد ليعتبروا فمروا بقبر على ظهر الطريق قد سفى عليه السافي ليس يبين منه إلّا رسمه فقالوا لو دعونا الله الساعة فينشر لنا صاحب هذا القبر فسألناه كيف وجد طعم الموت؟ فدعوا الله وكان دعاؤهم الذي دعوا الله به أنت إلهنا يا ربنا ليس لنا إله غيرك والبديع الدائم غير الغافل والحي الذي لا يموت لك في كل يوم شأن تعلم كل شيء بغير تعليم انشر لنا هذا الميت بقدرتك قَال فخرج من ذلك القبر رجل أبيض الرأس واللحية ينفض رأسه من التراب فزعاً شاخصاً بصره إلى السماء فقال لهم ما يوقفكم على قبري؟ فقالوا دعوناك لنسألك كيف وجدت طعم الموت؟ فقال لهم لقد سكنت في قبري تسعاً وتسعين سنة ما ذهب عني ألم الموت وكربه ولا خرج مرارة طعم الموت من حلقي فقالوا له مت يوم مت وأنت على ما نرى أبيض الرأس واللحية قال لا ولكن لما سمعت الصيحة اخرج اجتمعت تربة عظامي إلى روحي فبقيت فيه فخرجت فزعاً شاخصاً بصري مهطعاً إلى صوت الداعي فابيض لذلك رأسي ولحيتي[2].

عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال كان في بني إسرائيل

---

(١) الكافي ج٣ص٢٦٠.
(٢) المصدر السابق.

قاض كان يقضي بالحق فيهم فلما حضره الموت قال لامرأته: إذا أنا مت فاغسليني وكفنيني وضعيني على سريري وغطي وجهي فإنك لا ترين سوءاً فلما مات فعلت ذلك ثم مكثت بذلك حيناً ثم إنها كشفت عن وجهه لتنظر إليه فإذا هي بدودة تقرض منخره ففزعت من ذلك فلما كان الليل أتاها في منامها فقال لها أفزعك ما رأيت؟ قالت أجل لقَد فزعت فقال لها أما لئن كنت فزعت ما كانَ الذي رأيت إلّا في أخيك فلاناً أتاني ومعه خصم له فلما جلسا إلي قلت اللَّهمَّ اجعل الحق له ووجه القضاء على صاحبه فلما اختصما إلي كان الحق له ورأيت ذلك بيناً في القضاء فوجهت القضاء له على صاحبه فأصابني ما رأيت لموضع هواي كان مع موافقة الحق[1] (دودة تقرض منخريه لأنه مجرد رغب أن يكون الحق مع من يهوى فكيف لو إنه بدل حكم الله وأزاحه من كفة المظلوم إلى الظالم؟ قال ﷺ: يودّ الحاكم العادل من طول الوقوف بين يديّ الله لو لم يحكم بين اثنين).

عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: الدنيا طالبة ومطلوبة فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه منها ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه[2].

عنه ﷺ: يا أبا ذر أتحب أن تدخل الجنة؟ فقلت نعم فداك أبي وأمي قال: فاقصر الأمل واجعل الموت نصب عينك واستحِ من الله حق الحياء[3].

و تبع أمير المؤمنين عليه السلام جنازة فسمع رجلاً يضحك فقال كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب وكأن الذي نرى من

---

(١) الكافي ج٧ص٤١٠.
(٢) الفقيه ج٤ص٤٠٩.
(٣) اعلام الدين ص١٩٦.

الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم قد نسينا كل واعظ وواعظة ورمينا بكل حاجة وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموت ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير[1].

وقال عليه السلام: إذا كنت في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى[2].

عن الصادق عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث المناهي أنه نهى عن الخيانة وقال من خان أمانة في الدنيا ولم يردها إلى أهلها ثم أدركه الموت مات على غير ملتي ويلقى الله وهو عليه غضبان ومن اشترى خيانة وهو يعلم فهو كالذي خانها[3].

القطب الراوندي في دعواته، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من نام على الوضوء إن أدركه الموت في ليله مات شهيداً.

عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما لي يا رسول الله لا أحب الموت؟ فقال له ألك مال؟ قال نعم قال فقدمته؟ قال لا قال فمن ثم لا تحب الموت لأن قلب الرجل عند متاعه[4].

عن أبي محمد العسكري عن آبائه عليهم السلام قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام ما الاستعداد للموت؟ قال عليه السلام أداء الفرائض واجتناب المحارم والاشتمال على المكارم ثم لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه والله ما يبالي ابن أبي طالب أوقع على الموت أم وقع الموت عليه[5].

---

(١) مستدرك ج٢ص٣٧٧.
(٢) وسائل ج٢ص٤٣٩.
(٣) الوسائل ج١٩ص٧٦.
(٤) الجعفريات ص٢١١.
(٥) عيون اخبار الرضا ج١ص٢٩٧.

عن رسول الله ﷺ أنه أوصى رجلاً من الأنصار فقال ﷺ: أوصيك بذكر الموت فإنه يسليك عن أمر الدنيا[١].

عن النبي ﷺ قال: من ترقب الموت لَهَى عن اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات[٢].

عنه عليه السلام قال: شر المعذرة حين يحضر الموت[٣].

عنه عليه السلام قال: ليس بعد الموت مستعتب أكثروا من ذكر هادم اللذات ومنغص الشهوات[٤].

عن النبي ﷺ قال: أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت وأفضل العبادة ذكر الموت وأفضل التفكر ذكر الموت فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة[٥].

عن النبي ﷺ قال: إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها؟ قال قراءة القرآن وذكر الموت[٦].

قال الصادق عليه السلام: ذكر الموت يميت الشهوات في النفس ويقطع منابت الغفلة ويقوي النفس بمواعد الله ويرق الطبع ويكسر أعلام الهوى ويطفئ نار الحرص ويحقر الدنيا وهو معنى ما .قال النبي ﷺ: فكر ساعة خير من عبادة سنة وذلك عند ما يحل أطناب خيام الدنيا ويشدها في الآخرة ولا تسكن بزوال الرحمة عند ذكر الموت بهذه الصفة ومن لا يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتحيره في القيامة فلا خير فيه[٧].

---

(١) دعائم الاسلام ج١ص٢٢١.
(٢) مستدرك ج٢ص١٠٤.
(٣) الدعوات ص٢٣٨.
(٤) نفسه.
(٥) جامع الاخبار ص١٦٥.
(٦) عوالي اللآلي ج١ص٢٧٩.
(٧) مصباح الشريعة ص١٧١.

قال النبي ﷺ: اذكروا هادم اللذات قيل وماهو يا رسول الله؟ فقال الموت فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلّا ضاقت عليه الدنيا ولا في شدة إلّا اتسعت عليه والموت أول منزل من منازل الآخرة وآخر منزل من منازل الدنيا فطوبى لمن أكرم عند النزول بأولها وطوبى لمن أحسن مشايعته في آخرها والموت أقرب الأشياء من بني آدم وهو يعده أبعد فما أجرأ الإنسان على نفسه وما أضعفه من خلق وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين ولذلك اشتاق من اشتاق الموت وكره من كره[1].

قال النبي ﷺ: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه[2].

روي أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام سمع رجلاً يتمنى الموت فقال عليه السلام: هل بينك وبين الله قرابة يحاميك لها؟ قال: لا قال: فهل لك حسنات تزيد على سيئاتك؟ قال: لا قال: فإذاً أنت تتمنى هلاك الأبد[3].

قال الصادق عليه السلام: إن ولي علي عليه السلام يراه في ثلاثة مواطن حيث يسره عند الموت وعند الصراط وعند الحوض وملك الموت يدفع الشيطان عن المحافظ على الصلاة ويلقنه شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله عليه السلام في تلك الحالة العظيمة[4].

وعنه عليه السلام قال: من لُقِن عند الموت لا إله إلّا الله دخل الجنة[5].

وعنه عليه السلام قال: نابذوا عند الموت فقيل كيف ننابذ؟ قال قولوا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾[6] إلى آخر السورة.

---

(١) المصدر السابق.
(٢) نفسه.
(٣) كشف الغمة ج٢ص٢٥٢.
(٤) المستدرك ج٢ ص١٢٢.
(٥) نفسه.
(٦) نفسه.

وَعَلَى الشَّبابِ بِالإِنابَةِ وَالتَّوْبَةِ
وَعَلَى مَشايِخِنا بِالْوَقارِ وَالسَّكِينَةِ

الإنابة:

نابَ فلانٌ إلى اللّه تعالى، وأَنابَ إليه إنابةً، فهو مُنِيبٌ: أَقْبَلَ وتابَ، ورجَع إلى الطاعة؛ وقيل: نابَ لَزِمَ الطاعة، وأَنابَ: تابَ ورجَعَ.

التوبة: الرجوع من الذنب[1].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله أعاذكم من سخطه ولم يعذكم من بلائه فاستعدوا للبلاء.

من المُسَلّم أن الحياة دار بلاء، والبلاء هو الامتحان والاختبار لأجل كشف حقيقة الطباع التي تطبع بها الإنسان أمام نفسه فإنّ الخلط في التوجه يؤدي إلى إيهام الفرد بطبع ما، مما استدعى ذلك الكشف أن يكون إتماماً للحجة ودليلاً على كمال العدل الإلهي.

ولكل زمن فتنته وابتلاؤه وهي أول ما تصيب الشباب لأنهم بذرة جيل سيمثلونه ويكونون رموزه وشخصياته، والشباب مطية العمر فإما أن يكون

---

(١) لسان العرب.

الإنسان في عمره مفخرة التاريخ أو لعنته حيث ما زالت صحائفه حافلة بهذين الرمزين.

ثم إن الشباب ثمرة ونتاج الجيل الذي سبقه وأعده وهيأه لأداء دوره في جيله حتى يكون في المجال النبوي ﷺ: من سنَّ سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سنَّ سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة[1].

أو قوله عليه السلام: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلّا من ثلاث علم ينتفع به أو صدقة تجري له أو ولد صالح يدعو له[2].

ومن المسؤولية في قوله عليه السلام: «لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»[3] توجب البيان لهم وإرشادهم لتجنب عثرات دربهم من خلال إفهامهم أننا نقدم لهم خدمة صنع مستقبلهم، ونجعلهم في مستوى قراءة ذلك المستقبل بالإضافة إلى قوة الرأي في القبول أو الرفض فإنّ لكل درب عثراته، وهذا ما تعلمناه من السلف الصالح فإنهم رحمهم الله قد صبوا جل اهتمامهم في رسم أقصر الطرق وأنجع السبل لنيل حياة كريمة يمكن العبور بها إلى الآخرة بنجاة دون المرور بعقباتها فمنهم من كتب في الأخلاق ومكارمه، ومنهم من اقتبس واحدة من مبادئ الطف وعبره فارتقى المنبر ليساهم في البناء، ومنهم من تسارعت فيه القدحات فاشتعل وهجاً ونوراً يهدي ذوي الضلالة عن غيهم فانطلق نحوهم إلى أمصارهم ليهزم الضلالة من نفوسهم ويجلي الرين عن صفحة قلوبهم.

قال ﷺ: الشباب شعبة من الجنون[4].

---

(١) الفصول المختارة ص١٣٦.
(٢) روضة الواعظين ج ١ ص١١ باب الكلام في ماهية العلوم وفضلها.
(٣) شرح النهج ج٢٠ص٢٦٧.
(٤) الفقيه ج٤ص٣٧٧.

وقال أيضاً: خير شبابكم من تشبه بكهولكم، وشر كهولكم من تشبه بشبابكم[1].

وقال الإمام علي عليه السلام: اعلموا رحمكم الله أنكم في زمان القائل فيه بالحق قليل ... فتاهم عارم، وشائبهم آثم، وعالمهم منافق[2].

الإمام الصادق عليه السلام: وصية ورقة بن نوفل لخديجة بنت خويلد إذا دخل عليها يقول لها: اعلمي أن الشاب الحسن الخلق مفتاح للخير مغلاق للشر، وإن الشاب الشحيح الخلق مغلاق للخير مفتاح للشر[3].

عن علي عليه السلام: ما في الدنيا شيء أحب إلى الله من شاب تائب، وما في الدنيا شيء أبغض إلى الله من شيخ زان[4].

وعنه: إن الله تعالى يباهي بالشاب العابد ملائكته، يقول: انظروا إلى عبدي! ترك شهوته من اجلي.

وعنه عليه السلام: فضل الشاب العابد الذي تعبد في صباه على الشيخ الذي تعبد بعد ما كبرت سنه كفضل المرسلين على سائر الناس.

وعنه: ما من شاب يدع لله الدنيا ولهوها واهرم شبابه في طاعة الله إلّا أعطاه الله اجر اثنين وسبعين صديقاً.

وقال الإمام الصادق عليه السلام لرجل: ما الفتى عندكم؟ فقال له الشاب فقال لا الفتى المؤمن، إن أصحاب الكهف كانوا شيوخاً فسمّاهم الله عزَّ وجلَّ فتية بإيمانهم[5].

---

(١) مكارم الاخلاق ص١١٨.
(٢) شرح النهج ج١٣ص١٢.
(٣) أمالي الطوسي ص٣٠٢.
(٤) مشكاة ص١٧١.
(٥) الكافي ص٣٩٥.

وعنه: التوبة تجب ما قبلها[1] وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: التوبة تستنزل الرحمة[2].

وعنه: إخلاص التوبة يسقط الحوبة[3].

وعنه: التوبة تطهر القلوب وتغسل الذنوب[4].

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

وعن ابي جعفر عليه السلام: إن الله تعالى أفرح بتوبة عبده حين يتوب من رجل ضلت راحلته في أرض قفر وعليها طعامه وشرابه من العقيم الوالد، ومن الضال الواجد، ومن الظمآن الوارد.

أمير المؤمنين عليه السلام: توبوا إلى الله عزَّ وجلَّ وادخلوا في محبته، فإنّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، والمؤمن منيب تواب[5].

عنه صلى الله عليه وآله: أما علامة التائب فأربع: النصيحة لله في عمله، وترك الباطل، ولزوم الحق، والحرص على الخير[6].

عن زين العابدين عليه السلام في مناجاته: واجعلنا من الذين غرسوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها من ماء التوبة حتى أثمرت لهم ثمر الندامة فأطلعتهم على ستور خفيات العلى وأروتهم المخاوف والأحزان..... فأبصروا جسيم الفطنة ولبسوا ثوب الخدمة[7].

---

(١) نزهة الناظر ص١٢٠.
(٢) غرر الحكم ص١٩٥.
(٣) نفسه.
(٤) نفسه.
(٥) تحف العقول ص١١٣.
(٦) نفسه ص١٨.
(٧) البحار ج٩١ص١٢٦.

أمير المؤمنين عليه السلام: التنزه عن المعاصي عبادة التوابين[1].

عن الصادق عليه السلام: التوبة حبل الله ومدد عنايته، ولا بدَّ للعبد من مداومة التوبة، فتوبة الأنبياء من اضطراب السر، وتوبة الأصفياء من التنفس، وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات، وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله، وتوبة العام من الذنوب[2].

أمير المؤمنين علي عليه السلام: الندم أحد التوبتين[3].

عن الباقر عليه السلام في وصيته لجابر الجعفي: واسترجع سالف الذنوب بشدة الندم وكثرة الاستغفار[4]. وعنه عليه السلام: والله ما ينجو من الذنب إلّا من أقرّ به[5].

وعنه عليه السلام: لا والله ما أراد الله تعالى من الناس إلّا خصلتين: أن يقرّوا له بالنعم فيزيدهم وبالذنوب فيغفرها لهم[6].

أمير المؤمنين علي عليه السلام: الندم على الخطيئة استغفار[7].

وعنه: الندم على الذنب يمنع من معاودته[8].

وعنه: ندم القلب يكفر الذنب[9].

وعنه: عاص يُقرُّ بذنبه خير من مطيع يفتخر بعمله[10].

---

(١) مستدرك الوسائل ج١١ص٣٣٨.
(٢) مصباح الشريعة ص٩٧.
(٣) مستدرك ج١٢ص١١٨.
(٤) نفسه ص١٣٩.
(٥) تحف العقول ص٢٨٤.
(٦) مجموعة ورام ج١ص١٨.
(٧) مستدرك ج١٢ص١١٨.
(٨) نفسه.
(٩) نفسه.
(١٠) نفسه.

وعنه: ثمرة التوبة استدراك فوارط النفس. أي: ما فرط به[1].

عن الباقر عليه السلام وقد سأله شيخ من النخع: إني لم أزل والياً منذ زمن الحجاج إلى يومي هذا، فهل لي من توبة؟ قال فسكت ثم أعدت عليه فقال: لا حتى تؤدي إلى كل ذي حق حقه[2].

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أحدث لكل ذنب توبة، السرُّ بالسرِّ والعلانية بالعلانية[3].

وقال عليه السلام: رأي الشيخ أحب إلي من جلد الغلام[4].

وعنه: ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم أمير جائر وشيخ زان وعابد متكبر[5].

وحكى بعضهم قال: مررت بالبصرة في بعض الشوارع فإذا بمشايخ قعود وصبيان يلعبون فقلت أما تستحون من هؤلاء المشايخ؟ فقال غلام من بينهم هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبتهم[6].

عن الصادق عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى يبغض الشيخ الجاهل والغني الظلوم والفقير المختال[7].

علي عليه السلام: الوقار حلية العقل[8].

---

(١) نفسه.
(٢) مجموعة ورام ج٢ص٢٠٧.
(٣) تحف العقول ص٢٥.
(٤) البحار ج٧١ص١٧٨.
(٥) مجموعة ورام ج٢ص١٢١.
(٦) شرح النهج ج١١ص١٨٦.
(٧) قرب الاسناد ص٤٠.
(٨) غرر الحكم ص٢٥٠.

وعنه: السكينة عنوان العقل والوقار برهان النبل[1].

عنه: جمال الرجل الوقار[2].

عنه: لتكن شيمتك الوقار فمن كثر خرقه استرذل[3]. وعنه: ملازمة الوقار تؤمن دناءة الطيش[4].

عنه: وقار الشيب نور وزينة[5].

وعنه: من توقر وقر[6].

وعنه عليه السلام: بالصمت يكثر الوقار[7].

وعنه: غاية العلم السكينة والحلم[8] عن الحلبي قال قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: أي الخصال أجمل بالمرء؟ فقال: وقار بلا مهابة، وسماح بلا طلب مكافأة، وتشاغل بغير متاع الدنيا[9].

وعنه: ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثماني خصال: وقوراً عند الهزاهز، صبوراً عند البلاء، شكوراً عند الرخاء، قانعاً بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء بدنه منه في تعب، والناس منه في راحة[10].

---

(١) نفسه.
(٢) نفسه.
(٣) غرر الحكم ص٤٣٦.
(٤) نفسه ص٢٥٠.
(٥) نفسه.
(٦) نفسه.
(٧) نفسه ص٢١٦.
(٨) نفسه ص٤٤.
(٩) الخصال ج١ص٩٢.
(١٠) الكافي ج٢ص٤٧.

عن رسول الله ﷺ: في جملة جواب الراهب شمعون بن لاوي بن يهودا من حواري عيسى عما يتشعب من الرزانة: أما الرزانة فيتشعب منها اللطف والحزم، وأداء الأمانة وترك الخيانة، وصدق اللسان، وتحصين الفرج، واستصلاح المال، والاستعداد للعدو والنهي عن المنكر، وترك السفه فهذا ما أصاب العاقل بالرزانة، فطوبى لمن توقر ولمن لم تكن له خفة ولا جاهلية وعفا وصفح[1].

(١) البحار ج١ص١١٧.

وَعَلَى النِّسَاءِ بِالْحَيَاءِ وَالْعِفَّةِ

الإنسان بكليته ملائكي النزعة بدليل قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[2] لكنه تطبع بضد تلك النزعة فصار ذلك التطبع طباعاً تميز بها؛ ويندرج الكل تحت عنوانين كليين الأول: تمسك بطبعه الملائكي والثاني: تمسك بتطبعه فصار طبعاً عرضياً، وهذا الطبع العرضي صار عنواناً للإنسان وبمقتضاه أصبح الإنسان إما إنساناً أو شيطاناً في صورة إنسان والتطبع فيه ناتج عن غياب دور العقل في التوجيه فضلاً عن الفعل والأداء.

ثم إن الإنسان بما يحمل من قوى لا تستقيم حياته إلّا بمزجها مع بعضها لينتج عنه قوى إضافية من شأنها الانقياد لقوة العقل، لأنّ العقل يُوجِدُ للقوى الأربع الحد الوسط الناتج عن نفس الخلط والامتزاج فهو لا ينفيها من أصلها ولا يتركها تعمل في النفس لوحدها، ورفع نسبة أي منها فوق النسبة التي يضعها العقل يُحدِث إرباكاً في مسير حياة الفرد في الأرض وخللاً في النتائج المتوخاة من فعله في الآخرة والعلاقة الأسرية من الأمثلة المادية الخارجية على امتزاج القوى الناتج عنه الحد الوسط.

---

(١) البقرة: من الآية ٣٠.

(٢) الحجر: من الآية ٢٩.

والكلام عن النساء، فالمرأة التي هي جزء الإنسان إما حورية في هيكل امرأة أو جنية تحت أضلع امرأة، وقد يكون السبب في إثارة جنيتها هو الرجل بسبب ابتعاده عن الطبع الأصلي للإنسان وطغيان تطبعه فيه وإلّا فإنّ صفة النزعة إلى حورية المرأة موجودة فيها وليس كل امرأة تبقى حوريتها فيها تعمل رغم عواصف شيطنة الرجل إلّا للمثاليات اللواتي تربع الدين بقيمه ومبادئه على عرش جوارحها.

وكذا الحال في الرجل الذي أيضاً في المقابل من شأنه أن يكون ملائكي الفعال ولكن بعضهم يتطبع بطباع ترديه تأنف عنها البهم ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[1] ومنهم لا يرتقي إلى مستوى امرأته ولهذا تجدها تستعبده إلى حدٍّ خشيتها بدلاً من أن تخشاه وقد يعزى سبب ذلك إلى عدم التكافؤ بينهما فإنّ هناك من النساء من لا يقاس بها بعض الرجال وقد ألحقنا آخر البحث بجملة من اللواتي ألجمنّ أفواه الرجال وبعثرن منهم الكلمات في الصدور وذوبن آلة نطقهم في أفواههم.

ولو كانت الأمور لزمام الدين متروكة لما صارت الفلتات والنوادر ولصار الكل مثالاً بلا نزاع، ولكن لانعدام هذه الحالة لما ذكرنا من زيادة نسبة إحدى القوى في النفس تجد في مجتمع النساء من تبني شخصيتها وتثبت وجودها على حساب الزوج، وأخرى بخلافها أي لا وجود لها ولا شخصية إلّا بوجود الزوج بمعنى أنها تبني الشخصية الأسرية وتثبت وجودها الاجتماعي بالزوج ومن خلاله، فالأولى حالها حال المرابي يظن الربح والزيادة وفي الحقيقة والواقع ليس له إلّا الخسران في الدنيا والنار في الآخرة بمصداق القرآن ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ

(١) الفرقان الآية ٤٤.

وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1] ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[2] أو كحال الحالم ما أن يستيقظ حتى يتبين له أنها أضغاث أحلام، فهذه ما أن تلاقي ربها تجد نفسها خالية من كل بر ومليئة بالخطايا والتبعات، الخطايا التي ارتكبتها بمخالفتها سنة الشرع قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[3] فنجد في مجتمعنا المسلم نساء نسخن كل صلاحيات الرجل الشرعية وشرعنها إلى أنفسهن وانقلبت ألفاظ الآية فأصبحت النساء قوامات على الرجال وأصبح الصالحون قانتين وأصبحن يخَفنَ نشوزهم فيعظنهم ويهجرنهم في المضاجع و.. و... و

والتبعات أتتها من حملها الزوج على الصبر وغض الطرف عن خروجها من الدار مثلاً كيف شاءت ومتى شاءت وأمثال ذلك من ضياع حقوقها بسبب تركها لواجباتها أو لأنّ النساء سننّ لأنفسهن حقوقاً وواجبات كلّاً بحسب شأنها واعتبارها!!

وحريٌّ بالنساء أن يتعرفن على حقوقهن وواجباتهن الشرعية، فقد ورد في الشرع ما لها وما عليها نذكر جملة منها.

في حق الزوج على المرأة: قال النبي ﷺ: من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه. ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية بنت مزاحم[4].

---

(١) النساء: ١٦١.

(٢) البقرة: ٢٧٦.

(٣) النساء: ٣٤.

(٤) البحار ج١٠٠ص٢٤٧.

عن محمد بن مسلم، عن الباقر عليه السلام قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت : يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة ؟

فقال لها : أن تطيعه ولا تعصيه ولا تتصدق من بيتها بشيء إلّا بإذنه ولا تصوم تطوعاً إلّا بإذنه ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب ولا تخرج من بيتها إلّا بإذنه، فإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها.

فقالت: يا رسول الله من أعظم الناس حقاً على الرجل ؟

قال: والده.

قالت: فمن أعظم الناس حقاً على المرأة ؟

قال : زوجها.

وقالت : فما لي عليه من الحق مثل ما له علي ؟

قال : لا، ولا من كل مائة واحدة، فقالت : والذي بعثك بالحق لا يملك رقبتي رجل أبداً[1].

وقال النبي صلى الله عليه وآله : أيما امرأة لم ترفق بزوجها وحملته على ما لا يقدر عليه وما لا يطيق لم تقبل منها حسنة وتلقى الله وهو عليها غضبان[2]. وقال النبي صلى الله عليه وآله: أيما امرأة آذت زوجها بلسانها لم يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً ولا حسنة من عملها حتى ترضيه وإن صامت نهارها وقامت ليلها وأعتقت الرقاب وحملت على جياد الخيل في سبيل الله، فكانت أول من يرد النار. وكذلك الرجل إذا كان لها ظالماً[3].

---

(١) الفقيه٣/ ٤٣٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الوسائل ٢٠/ ٢١١.

وزوج رسول الله ﷺ امرأة من رجل فرأت منه بعض ما كرهت فشكت ذلك إلى النبي ﷺ، فقال: لعلك تريدين أن تختلعي[1] فتكوني عند الله أنتن من جيفة[2] حمار[3].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس للمرأة مع زوجها أمر في عتق ولا صدقة ولا تدبير ولا هبة ولا نذر في مالها إلّا بإذن زوجها إلّا في حج أو زكاة أو بر إلى والديها أو صلة قرابتها[4].

عن النبي ﷺ قال: حق الرجل على المرأة إنارة السراج وإصلاح الطعام وأن تستقبله عند باب بيتها فترحب به وأن تقدم إليه الطشت والمنديل وأن توضئه وأن لا تمنعه نفسها إلّا من علة[5].

عن الصادق عليه السلام قال: إن قوماً أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا رأينا أناساً يسجد بعضهم لبعض، فقال رسول الله ﷺ: لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها[6].

وقال ﷺ: لو أن امرأة وضعت إحدى ثدييها طبيخة والآخر مشوية ما أدت حق زوجها. ولو أنها عصت مع ذلك زوجها طرفة عين ألقيت في الدرك الأسفل من النار إلّا أن تتوب وترجع[7].

وقال ﷺ: لا تؤدي المرأة حق الله عزَّ وجلَّ حتى تؤدي حق زوجها[8].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عزَّ وجلَّ كتب على الرجال الجهاد

---

(١) يقال: اختلعت المرأة من زوجها: بذلت له مالاً ليطلقها.
(٢) والجيفة: جثة الميت المنتنة.
(٣) مكارم الأخلاق ص٢١٤.
(٤) الكافي ٥/ ٥١٤.
(٥) مكارم الاخلاق ص٢١٤.
(٦) نفسه.
(٧) نفسه ص٢١٥.
(٨) نفسه.

وعلى النساء الجهاد، فجهاد الرجل أن يبذل ماله ودمه حتى يقتل في سبيل الله. وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته[1].

وفي حديث آخر قال: جهاد المرأة حسن التبعل[2].

وقال الصادق عليه السلام: أيما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق لم تقبل منها صلاة حتى يرضى عنها[3].

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها فلا نفقة لها حتى ترجع[4].

وقال عليه السلام: أيما امرأة تطيبت لغير زوجها لم يقبل منها صلاة حتى تغتسل من طيبها كغسلها من جنابتها[5].

وقال عليه السلام: أيما امرأة وضعت ثوبها في غير منزل زوجها وبغير إذنه لم تزل في لعنة الله إلى أن ترجع إلى بيتها[6].

وعنه عليه السلام قال: أيما امرأة قالت لزوجها: ما رأيت منك خيراً قط فقد حبط عملها[7].

وعنه عليه السلام قال: إن رجلاً من الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في بعض حوائجه وعهد إلى امرأته عهداً أن لا تخرج من بيتها حتى يقدم، قال: وإن أباها مرض، فبعثت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: إن زوجي خرج وعهد إلي أن لا أخرج من بيتي حتى يقدم وإن أبي مرض أفتأمرني أن

---

(١) الوسائل ج٢٠ص١٥٧.
(٢) نفسه ص١٦٣.
(٣) الفقيه ج٣ص٤٣٩.
(٤) نفسه.
(٥) نفسه ص٤٤٠.
(٦) نفسه.
(٧) مكارم الاخلاق ص٢١٥.

أعوده ؟ فقال ﷺ : لا ، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك ، قال : فمات ، فبعثت إليه فقالت : يا رسول الله إن أبي قد مات فتأمرني أن أحضره ؟ فقال ﷺ : لا ، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك ، قال : فدفن الرجل فبعث إليها رسول الله ﷺ إن الله تبارك وتعالى قد غفر لك ولأبيك بطاعتك لزوجك[1].

قال النبي ﷺ : خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي[2] .

في حق المرأة على الزوج :

وقال ﷺ : من احتمل من امرأته ولو كلمة واحدة أعتق الله رقبته من النار وأوجب له الجنة وكتب له مائتي ألف حسنة ومحا عنه مائتي ألف سيئة ورفع له مائتي ألف درجة وكتب الله عزَّ وجلَّ له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة[3].

سأل إسحاق بن عمار أبا عبد الله عليه السلام عن حق المرأة على زوجها ؟ قال : يشبع بطنها ويكسو جثتها وإن جهلت غفر لها ، إن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام شكا إلى الله عزَّ وجلَّ خلق سارة؟ فأوحى الله إليه أن مثل المرأة مثل الضلع إن أقمته انكسر وإن تركته استمتعت به ، قلت : من قال هذا ؟ فغضب ، ثم قال : هذا والله قول رسول الله ﷺ[4].

وعنه قال : كان لأبي عبد الله امرأة وكانت تؤذيه ، فكان يغفر لها. وقال رسول الله ﷺ : ما من عبد يكسب ثم ينفق على عياله إلّا أعطاه الله بكل درهم ينفقه على عياله سبعمائة ضعف[5].

وقال ﷺ : خير الرجال من أمتي الذين لا يتطاولون على أهليهم

---

(١) الجعفريات ص١١١ باب فضل طاعة المرأة لزوجها.
(٢) مكارم الاخلاق ص٢١١.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

ويحنون عليهم ولا يظلمونهم، ثم قرأ ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (النساء: من الآية ٣٤)[١] عن الباقر عليه السلام قال: من كانت عنده امرأة فلم يكسها ما يواري عورتها ويطعمها ما يقيم صلبها كان حقاً على الامام أن يفرق بينهما. عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ (الطلاق: من الآية ٧). قال: إن أنفق عليها ما يقيم ظهرها مع كسوة وإلّا فرق بينهما[٢].

وعنه عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحريم: من الآية ٦) جلس رجل من المسلمين يبكي وقال: أنا قد عجزت عن نفسي كلفت أهلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك وتنهاهم عما تنهى عنه نفسك[٣].

وعنه عليه السلام قال: إن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وآله لبعض الحاجة، فقال لها: لعلك من المسوفات، فقالت: يا رسول الله وما المسوفات؟ فقال: المرأة يدعوها زوجها لبعض الحاجة فلا تزال تُسَوِفَه حتى تنقضي حاجة زوجها فينام، فتلك لا تزال الملائكة تلعنها حتى يستيقظ زوجها[٤].

وعنه عليه السلام قال: رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته، فإن الله عزَّ وجلَّ قد ملكه ناصيتها وجعله القيم عليها[٥].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: عيال الرجل أسراؤه وأحب العباد إلى الله عزَّ وجلَّ أحسنهم صنيعاً إلى أسرائه[٦].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الفقيه ٣/ ٤٤١.
(٣) مشكاة الانوار ٤٩ الفصل الثالث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
(٤) الكافي ٥/ ٥٠٨.
(٥) الفقيه ٣/ ٤٤٣.
(٦) مكارم الاخلاق ٢١٧.

وقال الكاظم عليه السلام: إن عيال الرجل أسراؤه فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على أسرائه، فإن لم يفعل أوشك أن تزول عنه تلك النعمة[1].

وقالت خولة لرسول الله صلى الله عليه وآله: إني أتعطر لزوجي كأني عروس أزف إليه، فآتيه في لحافه فيُوَلي عني، ثم آتيه من قِبَلِ وجهه فيُوَلي عني، فأراه قد أبغضني يا رسول الله، فماذا تأمرني؟ قال: اتقي الله وأطيعي زوجك، قالت: فما حقي عليه؟ قال: حقك عليه أن يطعمك مما يأكل ويكسوك مما يلبس ولا يلطم ولا يصيح في وجهك، قالت: فما حقه علي؟ قال: حقه عليك أن لا تخرجي من بيته إلّا بإذنه، ولا تصومي تطوعاً إلّا بإذنه، ولا تتصدقي من بيته إلّا بإذنه، وإن دعاك على ظهر قتب تجيبيه[2].

في الحياء:

لسان العرب:

والحِياءُ: التوبَة والحِشْمَة، وقد حَيِيَ منه حَياءً واستَحْيا واسْتَحَى، حذفوا الياء الأخيرة كراهية التِقاء الياءَيْنِ، والأخيرتان تَتَعَدَّيانِ بحرف وبغير حرف، يقولون: اسَتَحْيا منك واستَحْياكَ، واسْتَحَى منك واستحاك؛ قال ابن بري: شاهد الحياء بمعنى الاستحياء قول جرير:

لولا الحَياءُ لَعَادني اسْتِعْبارُ ولَزُرْتُ قَبرَكِ والحبيبُ يزار

كتاب العين

والحياء ممدود: من الاستحياء. رجل حَيِي بوزن فعيل، وامرأة حيّية بوزن فعيلة.

قالت ليلى:

وأحَيى حياءً من فتاة حِيّيةٍ وأشجع من ليثٍ بخَفّانَ خادِرِ

---

(١) أمالي الصدوق ٤٤٢.

(٢) مكارم الاخلاق.

والحياء صفة نفسانية مركبة من جبن وعفة لأنه قلما تجد المستحيي شجاعاً والشجاع مستحيياً للتضاد في اجتماع الجبن والشجاعة كما وأن اجتماع التنافي في اجتماع العفة والفسوق يمنع من اجتماع الحياء والفسق في شخص فلا يكون المستحيي فاسقاً ولا الفاسق مستحييا وقد قيل "إن لم تستحِ فافعل ما شئت " ثم إن للحياء كسائر الصفات الخلقية طرفان، طرف إفراط ويندرج تحته الخجل والجبن ويكون ممدوحاً في النساء دون الرجال، قال عليه السلام: خيار خصال النساء شرار خصال الرجال الزهو والجبن والبخل فإن كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها[1]. وطرف تفريط يندرج تحته الوقاحة وهي مذمومة دون استثناء لأنها انسلاخ من الإنسانية ولأنه استهتار بالقيم والمبادئ الشرعية العقلية والعرفية.

قال صلى الله عليه وآله: الحياء والإيمان مقرونان في قرن فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه[2]. ثم إن الحياء إن كان بحدّه وهو التفاعل مع الشرع والعقل والعرف في الامتناع عن تجاوز حدودها كان الحياء عقليّاً لأنّ الانفعال معناه تحقيق أحكام الدين وإن كان خلافه كان الحياء حياء حمق قال صلى الله عليه وآله الحياء حياءان حياء عقل وحياء حمق، فحياء العقل هو العلم وحياء الحمق هو الجهل[3].

في العفة:

العفة هي: منع البطن والفرج عن المحرمات والشبهات ومقابلها التهتك وعدم المبالاة بهتك ستره في ارتكاب المحرمات. ويكنى عن العفة

---

(١) بحار الأنوار ١٠٠/ ٢٣٨باب أصناف لنساء.
(٢) الكافي.
(٣) الكافي ٢/ ١٠٦.

والأمانة بطهارة الجيب لأن الذي يسرق يجعل المسروق في جيبه.وتعد العفة من أصول الفضائل.

قال الجاحظ: الطاووس نوع من الغربان وفي طبعه العفة عن الفساد وهو كثير الاستغاثة وإذا حاربه طائر ضربه وصاح كأنه المضروب[1].

وقال الدميري: الطاووس طائر معروف تصغيره طويس وكنيته أبو الحسن وأبو الوشي وهو من الطير كالفرس من الدواب عزاً وحسناً وفي طبعه العفة وحب الزهو بنفسه والخيلاء والإعجاب بريشه وعقده لذنبه كالطاق لا سيما إذا كانت الأنثى ناظرة إليه[2].

وقيل: العفة كف النفس عن المحرمات بل عن الشبهات والمكروهات، والتواضع ملكة تحت العفة يعود إلى العدل بين رذيلتي المهانة والكبر ومشي التواضع مستلزم للسكون والوقار. وطلب الحلال ينشأ عن العفة.

وقيل أيضاً: ملكة العفة فضيلة القوة الشهوية وهي الوسط بين رذيلتي خمود الشهوة والفجور.

عبر عن العفة بالصبر، والعفة هي الإمساك عن الشره في فنون الشهوات المحسوسة وعدم الانقياد للشهوة وقهرها وتصريفها بحسب الرأي.

وثمرات شُعب العفة أربع أحدها ثمرة الشوق إلى الجنة وهو السلو عن الشهوات وظاهر كونه ثمرة له إذ السالك إلى الله ما لم يشتق إلى ما وعد المتقون لم يكن له صارف عن الشهوات الحاضرة مع توفر الدواعي إليها فلم يسل عنها، الثانية ثمرة الخوف من النار وهو اجتناب المحرمات، الثالثة ثمرة الزهد وهي الاستهانة بالمصيبات لأن غالبها وعامها إنما يلحق بسبب

---

(١) البيان والتبيين.
(٢) حياة الحيوان.

فقد المحبوب من الأمور الدنيوية فمن أعرض عنها بقلبه كانت المصيبة بها هينة عنده، الرابعة ثمرة ترقب الموت وهي المسارعة في الخيرات والعمل له ولما بعده.

قال الراغب: العفة حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة والمتعفف المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر وأصله الاقتصار على تناول الشيء القليل الجاري مجرى العفافة والعفة أي البقية من الشيء أو مجرى العفعف وهو ثمر الأراك والاستعفاف طلب العفة انتهى[1].

وتطلق في الأخبار غالباً على عفة البطن والفرج وكفهما عن مشتهياتهما المحرمة بل المشتبهة والمكروهة أيضاً من المأكولات والمشروبات والمنكوحات بل من مقدماتهما من تحصيل الأموال المحرمة لذلك ومن القبلة واللمس والنظر إلى المحرم ويدل على أن ترك المحرمات من العبادات وكونهما من أفضل العبادات وكون العفتين من أفضل العبادات لكونهما أشقهما[2].

والعفيف المجتنب عن المحرمات لا سيما ما يتعلق منها بالبطن والفرج والمتعفف إما تأكيد كقولهم ليل أليل أو العفيف عن المحرمات المتعفف عن المكروهات لأنه أشد فيناسب هذا البناء أو العفيف في البطن المتعفف في الفرج أو العفيف عن الحرام المتعفف عن السؤال كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[3] أو العفيف خلقاً المتعفف تكلفاً فإن العفة قد تكون عن بعض المحرمات خُلقاً وطبعياً وعن بعضها تكلفاً ولعل هذا أنسب[4].

---

(١) مفردات الفاظ القرآن.
(٢) البحارج٦٨ص٢٦٨.
(٣) البقرة من الآية ٢٧٣.
(٤) البحارج٦٨ص٤٠٥.

وجاء في النهاية: في من يستعفف يعفه الله الاستعفاف طلب العفاف والتعفف وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس أي من طلب العفة وتكلفها أعطاه الله تعالى إياها.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: يا محمد بن أبي بكر اعلم أن أفضل العفة الورع في دين الله والعمل بطاعته[1].

وقال عليه السلام: الفضائل أربعة أجناس أحدها الحكمة وقوامها في الفكرة والثاني العفة وقوامها في الشهوة والثالث القوة وقوامها في الغضب والرابع العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس[2].

وقال عليه السلام: العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى[3].

وقال عليه السلام: إن أصل العقل العفاف وثمرته البراءة من الآثام.

وأصل العفاف القناعة وثمرتها قلة الأحزان[4].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس الغيرة إلّا للرجال وأما النساء فإنما ذلك منهن حسد والغيرة للرجال ولذلك حرم الله على النساء إلّا زوجها وأحل للرجال أربعاً وإن الله أكرم أن يبتليهن بالغيرة ويحل للرجال معها ثلاثاً[5].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اتقوا الله في الضعيفين يعني بذلك اليتيم والنساء وإنما هُنّ عورة[6].

عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: انصرف

---

(١) البحار ٧٤/ ٣٩٢.
(٢) البحار٧٥/ ٨١.
(٣) وسائل الشيعة ٩/ ٤٤٢.
(٤) البحار ٧٥/ ٧.
(٥) الكافي ٥/ ٥٠٤.
(٦) الفقيه ٣/ ٣٩٢.

رسول الله ﷺ من سرية قد كان أصيب فيها ناس كثير من المسلمين فاستقبلته النساء يسألنه عن قتلاهن فدنت منه امرأة.

فقالت: يا رسول الله ما فعل فلان؟

قال: وما هو منك؟

قالت: أبي.

قال: احمدي الله واسترجعي فقد استشهد ففعلت ذلك.

ثم قالت: يا رسول الله ما فعل فلان؟

فقال: وما هو منك؟

فقالت: أخي.

فقال: احمدي الله واسترجعي فقد استشهد ففعلت ذلك.

ثم قالت: يا رسول الله ما فعل فلان؟

فقال: وما هو منك؟

فقالت: زوجي.

قال: احمدي الله واسترجعي فقد استشهد.

فقالت: وا ويلاه.

فقال: رسول الله ﷺ: ما كنت أظن أن المرأة تجد بزوجها هذا كله حتى رأيت هذه المرأة[1].

عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: الناجي من

---

(١) الكافي ٥/٥٠٦.

الرجال قليل ومن النساء أقل وأقل. قيل ولِمَ يا رسول الله؟ قال لأنهن كافرات الغضب مؤمنات الرضا[١].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما لإبليس جند أعظم من النساء والغضب[٢].

عن سليمان بن خالد قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إياكم ومشاورة النساء فإن فيهن الضعف والوهن والعجز[٣].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: في خلاف النساء البركة[٤].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: النساء عَيّ وعورة فاستروا العورات بالبيوت واستروا العيّ بالسكوت[٥].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يفرق بين الغلمان والنساء في المضاجع إذا بلغوا عشر سنين[٦].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة التي قد افتتنت في حسنها فتقول يا رب حسنت خلقي حتى لقيت ما لقيت فيجاء بمريم عليها السلام فيقال أنت أحسن أم هذه قد حسناها فلم تفتتن ويجاء بالرجل الحسن الذي قد افتتن في حسنه فيقول يا رب حسنت خلقي حتى لقيت من النساء ما لقيت فيجاء بيوسف عليه السلام فيقال أنت أحسن أم هذا قد حسناه فلم يفتتن، ويجاء بصاحب البلاء الذي قد أصابته الفتنة في بلائه فيقول يا رب

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) الفقيه ٣/ ٣٩٠.
(٦) مكارم الاخلاق ٢٢٣.

شددت علي البلاء حتى افتتنت، فيؤتى بأيوب عليه السلام فيقال أَبليتُك أشد أم بلية هذا فقد ابتلي فلم يفتتن[1].

وروي أن خير مساجد النساء البيوت وصلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في صفتها وصلاتها في صفتها أفضل من صلاتها في صحن دارها وصلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في سطح بيتها ويكره للمرأة الصلاة في سطح غير محجر.

ولعلهنّ يدركن ويتفهمنّ ذلك الخير ويتركنّ الجمعة والجماعة.

قال صلى الله عليه وآله: صلاة المرأة وحدها في بيتها كفضل صلاتها في الجامع خمساً وعشرين درجة[2].

أبو عبد الله الصادق عليه السلام: أكثر الخير في النساء[3].

عن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الفتن ثلاث حب النساء وهو سيف الشيطان وشرب الخمر وهو فخ الشيطان وحب الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان فمن أحب النساء لم ينتفع بعيشه ومن أحب الأشربةَ حرمت عليه الجنة ومن أحب الدينار والدرهم فهو عبد الدنيا[4].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أول ما عصي الله تعالى بست خصال حب الدنيا وحب الرئاسة وحب النوم وحب النساء وحب الطعام وحب الراحة[5].

قال الصادق عليه السلام: النساء أربع جامع مجمع وربيع مربع وكرب مقمع

---

(١) قصص الانبياء للجزائري الباب العاشر.
(٢) مكارم الأخلاق.
(٣) الفقيه ٣/ ٣٨٥.
(٤) وسائل الشيعة ٢٠ / ٢٥.
(٥) المصدر السابق.

وغل قمل.فأما الربيع المربع : فالتي في حجرها ولد وفي بطنها آخر. والجامع المجمع : الكثيرة الخير المحصنة. والكرب المقمع : السيئة الخلق مع زوجها. وغل قمل : هي التي عند زوجها كالغل القمل وهو غل من جلد يقع فيه القمل فيأكله فلا يتهيأ أن يحل منه شيئاً. وهو مثل للعرب[١].

عن أبي جعفر عليه السلام قال خير النساء التي إذا دخلت مع زوجها فخلعت الدرع خلعت معه الحياء وإذا لبست الدرع لبست معه الحياء[٢] .

عن الصادق عليه السلام : ألا أخبركم بخير نسائكم التي إن غضبت أو أغضبت قالت لزوجها : يدي في يدك لا اكتحل بغمض حتى ترضى عني[٣] .

عن إسحاق بن عمار قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام الحديث الذي يرويه الناس حق أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فشكا إليه الحاجة فأمره بالتزويج ففعل ثم أتاه فشكا إليه الحاجة فأمره بالتزويج حتى أمره ثلاث مرات فقال أبو عبد الله عليه السلام : هو حق ثم قال الرزق مع النساء والعيال[٤] .

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله النساء فقال اعصوهن في المعروف قبل أن يأمرنكم بالمنكر وتعوذوا بالله من شرارهن وكونوا من خيارهن على حذر[٥] .

شكا رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام نساءه فقام عليه السلام خطيباً فقال معاشر الناس لا تطيعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن يدبرن أمر العيال فإنهن إن تركن وما أردن أوردن المهالك وعدون أمر

---

(١) مكارم الأخلاق.
(٢) التهذيب ٧/ ٣٩٩.
(٣) مكارم الأخلاق.
(٤) عوالي اللآلي ٣/ ٢٨١.
(٥) الكافي ٥/ ٥١٦.

المالك فإنا وجدناهن لا ورع لهن عند حاجتهن ولا صبر لهن عند شهوتهن، التبرج لهن لازم وإن كبرن، والعجب لهن لاحق وإن عجزن رضاهن في فروجهن؛ لا يشكرن الكثير إذا منعن القليل، ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن بالبهتان ويتمادين في الطغيان ويتصدين للشيطان، فداروهن على كل حال وأحسنوا لهن المقال لعلهن يحسن الفعال[1].

عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: النساء لا يشاورن في النجوى ولا يطعن في ذوي القربى إن المرأة إذا أسنت ذهب خير شطريها وبقي شرهما وذلك أنه يعقم رحمها ويسوء خلقها ويحتد لسانها وإن الرجل إذا أسن ذهب شر شطريه وبقي خيرهما وذلك أنه يؤوب عقله ويستحكم رأيه ويحسن خلقه[2].

عن الباقر عليه السلام قال: ذكر النساء عند أبي الحسن عليه السلام فقال لا ينبغي للمرأة أن تمشي في وسط الطريق ولكنها تمشي إلى جانب الحائط[3].

وقال عليه السلام: ثلاث من النساء يرفع الله عنهن عذاب القبر ويكون محشرهن مع فاطمة بنت محمد عليهما السلام امرأة صبرت على غيرة زوجها وامرأة صبرت على سوء خلق زوجها وامرأة وهبت صداقها لزوجها يعطي الله كل واحدة منهن ثواب ألف شهيد ويكتب لكل واحدة منهن عبادة سنة[4].

وعنه عليه السلام: لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد أو أحمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبد الله أو فاطمة من النساء[5].

---

(١) الفقيه٣/ ٥٥٤.
(٢) الكافي ٥/ ٥١٨.
(٣) الفقيه ٣/ ٥٦١.
(٤) ارشاد القلوب١/ ١٧٥.
(٥) عدة الداعي ٨٧.

عن إبراهيم بن محرز قال سأل رجل أبا عبدالله عليه السلام وأنا عنده فقال رجل قال لامرأته أمرك بيدك قال أنّى يكون هذا والله يقول ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ ليس هذا بشيء[1].

وقال علي عليه السلام: ليس لإبليس رهق أعظم من الغضب والنساء[2].

عن النبي صلى الله عليه وآله قال: النساء حبائل الشيطان[3].

وقال صلى الله عليه وآله: أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة[4].

وصاياه صلى الله عليه وآله إلى حولاء:

يا حولاء والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً إن للرجل حقّاً على امرأته إذا دعاها ترضيه

وإذا أمرها لا تعصيه ولا تجاوبه بالخلاف ولا تخالفه ولا تبيت وزوجها عليها ساخط

ولو كان ظالماً ولا تمنعه نفسها إذا أراد ولو كانت على ظهر قتب.

يا حولاء إن المرأة يجب عليها أن ترضي زوجها إذا غضب عليها ولا يحل لها أن تنظر إلى وجهه نظرة مغضبة ولكن تقتحم على رجليه تقبلهما وتمسح على رجليه حتى يرضى عنها ربها وإن سخط عليها فقد سخط الله عزَّ وجلَّ عليها.

يا حولاء للمرأة على زوجها أن يشبع بطنها ويكسو ظهرها ويعلمها الصلاة والصوم والزكاة إن كان في مالها حق ولا تخالفه في ذلك.

---

(١) التهذيب ٨/ ٨٨.
(٢) مستدرك الوسائل ١٢/ ١٣.
(٣) جامع الاخبار ١٥٨.
(٤) روضة الواعظين ٢/ ٣٧٥.

يا حولاء والذي بعثني بالحق نبياً ورسولاً لقد بعثني ربي المقام المحمود فعرضني على جنته وناره فرأيت أكثر أهل النار النساء فقلت يا حبيبي جبرائيل ولِمَ ذلك؟ فقال بكفرهن فقلت يكفرن بالله عزَّ وجلَّ؟ فقال: لا ولكنهن يكفرن النعمة فقلت كيف ذلك يا حبيبي جبرائيل؟ فقال لو أحسن إليها زوجها الدهر كله لم يبد إليها سيئة قالت ما رأيت منه خيراً قط.

يا حولاء أكثر النار من حطب سعير النساء.

فقالت الحولاء يا رسول الله وكيف ذلك؟

قال لأنها إذا غضبت على زوجها ساعة تقول ما رأيت منك خيراً قط عسى أن تكون قد ولدت منه أولاداً .

يا حولاء للرجل على المرأة أن تلزم بيته وتوده وتحبه وتشفقه وتجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتوفي بعهده ووعده وتتقي صولاته ولا تشرك معه أحداً في أولاده ولا تهينه ولا تشقيه ولا تخونه في مشهده ولا في ماله وإذا حفظت غيبته حفظت مشهده واستوت في بيتها وتزينت لزوجها وأقامت صلاتها واغتسلت من جنابتها وحيضها واستحاضتها فإذا فعلت ذلك كانت يوم القيامة عذراء بوجه منير فإن كان زوجها مؤمناً صالحاً فهي زوجته وإن لم يكن مؤمناً تزوجها رجل من الشهداء ولا تتطيّبي وزوجك غائب.

يا حولاء من كانت منكن تؤمن بالله واليوم الآخر لا تجعل زينتها لغير زوجها ولا تبدي خمارها ومعصمها وأيما امرأة جعلت شيئاً من ذلك لغير زوجها فقد أفسدت دينها وأسخطت ربها عليها.

يا حولاء لا يحل لامرأة أن تدخل بيتها من قد بلغ الحلم ولا تملأ عينها منه ولا عينه منها ولا تأكل معه ولا تشرب إلّا أن يكون محرماً عليها وذلك بحضرة زوجها.

فقالت عائشة عند ذلك: يا رسول الله وإن كان مملوكاً؟ فقال رسول الله ﷺ وإن كان مملوكاً فلا تفعل شيئاً من ذلك فإن فعلت فقد سخط الله عليها ومقتها ولعنها ولعنتها الملائكة.

يا حولاء ما من امرأة تستخرج ما طيبت لزوجها إلّا خلق الله لها في الجنة من كلّ لون فيقول لها كلي واشربي بما أسلفت في الأيام الخالية.

عن رسول الله ﷺ: أنه نهى عن ضرب النساء من غير واجب[1].

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: إن النساء عند الرجال لا يملكن لأنفسهن ضراً ولا نفعاً وإنهن أمانة الله عندكم فلا تضاروهن ولا تعضلوهن[2].

عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال قال أمير المؤمنين في وصيته إلى الحسن عليه السلام: ولا تملك المرأة من الأمر ما جاوز نفسها فإن ذلك أنعم لحالها وأرخى لبالها وأدوم لجمالها فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تعاطيها أن تشفع لغيرها فيميل من شفعت له عليك معها ولا تطل الخلوة مع النساء فيمللنك وتملهن واستبق من نفسك بقية فإن إمساكك عنهن وهن يرين أنك ذو اقتدار خير من أن يعثرن منك على انكسار الخبر[3].

عن عبد الرحمن بن الحجاج قال بعث إليّ أبو الحسن موسى عليه السلام بوصية أمير المؤمنين وساق الوصية إلى أن قال عليه السلام: الله، الله في النساء وفيما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلم به نبيكم أن قال: أوصيكم بالضعيفين النساء وما ملكت أيمانكم الخبر[4].

---

(١) دعائم الاسلام ٢/ ٢١٧.
(٢) مستدرك ١٤/ ٢٥١.
(٣) مستدرك ١٤/ ٢٥١.
(٤) مستدرك ١٤/ ٢٥٥.

وعنه ﷺ أنه قال: النظر إلى محاسن النساء سهم من سهام إبليس فمن تركه أذاقه الله طعم عبادة تسره[1].

وعنه ﷺ: أنه كان مما يأخذ على النساء في البيعة أن لا يتحدثن مع الرجال إلّا ذا محرم[2].

وعن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: محادثة النساء من مصائد الشيطان[3].

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: وأقلل محادثة النساء يكمل لك الثناء[4].

وقال ﷺ: يا معاشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار[5].

عن الصادق عليه السلام قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: عقول النساء في جمالهن وجمال الرجال في عقولهم[6].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت أم سلمة رسول الله ﷺ عن فضل النساء في خدمة أزواجهن، فقال ﷺ: ما من امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً إلّا نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذبه.

---

(١) نفسه ص ٢٥١.
(٢) مستدرك الوسائل ١٤/ ٢٧٢.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) معاني الاخبار ٢٣٤.

فقالت أم سلمة (رحمها الله): زدني في النساء المساكين من الثواب بأبي أنت وأمي.

فقال عليه السلام: يا أم سلمة، إن المرأة إذا حملت كان لها من الأجر كمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله عزَّ وجلَّ، فإذا وضعت قيل لها قد غفر لك ذنبك فاستأنفي العمل، فإذا أرضعت فلها بكل رضعة تحرير رقبة من ولد إسماعيل[1] وعن الزهراء فاطمة عليها السلام قالت لبعض النساء: ارضي أبوي دينك محمداً وعليّاً بسخط أبوي نسبك ولا ترضي أبوي نسبك بسخط أبوي دينك، فإن أبوي نسبك إن سخطا أرضاهما محمد وعلي (صلوات الله عليهما) بثواب جزء من ألف ألف جزء من ساعة من طاعاتهما. وإن أبوي دينك (محمداً وعلياً) إن سخطا لم يقدر أبوا نسبك أن يُرضياهما لأن ثواب طاعات أهل الدنيا كلّهم لا يفي بسخطهما[2].

- مدحت امرأة زوجها بكرم الأخلاق وخصب الغنائم فقالت لأمها: يا أمة من نشر ثوب الثناء فقد أدى واجب الجزاء وفي كتمان الشكر جحود لما أوجب منه ودخول في كفر النعم فقالت لها أمها: أي بنية طيبت الثناء وقمت بالجزاء ولم تدَعي للذم موضعاً ومن لم يذم، ولا ثناء إلّا بعد اختبار. قالت يا أمة ما مدحت حتى اختبرت ولا وصفت حتى شممت قال الزوج ما وفيتك حقك ولا شكرتِ إلّا بفضلك ولا أثنيتِ إلّا بطيب حسبك وكريم نسبك والله أسأل أن يمتعني بما وهب لي منك[3].

عن الصادق عليه السلام أنه قال: الحياء على عشرة أجزاء تسعة في النساء وواحدة في الرجال فإذا حاضت الجارية ذهب جزء من حيائها فإذا تزوجت

---

(١) أمالي الطوسي ٦١٨.
(٢) تفسير العسكري ٣٣٤.
(٣) بلاغات النساء ١٢١.

ذهب جزء فإذا افترعت ذهب جزء فإذا ولدت ذهب جزء وبقي لها خمسة أجزاء فإن فجرت ذهب حياؤها كله وإن عفت بقي لها خمسة أجزاء[1].

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله النساء أن يتبتلن ويعطلن أنفسهن من الأزواج[2].

عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: غيرة النساء الحسد والحسد هو أصل الكفر إن النساء إذا غرن غضبن وإذا غضبن كفرن إلّا المسلمات منهن[3].

في الحياء:

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة[4].

وعنه عليه السلام: الحياء والعفاف والعي أعني عي اللسان لا عي القلب من الإيمان[5].

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع من كن فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنوباً بدلها الله حسنات الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر[6].

عن علي بن أسباط رفعه إلى سلمان قال: إذا أراد الله عزوجل هلاك عبد نزع منه الحياء فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلّا خائناً مخوناً فإذا كان خائناً مخونا نزعت منه الأمانة فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلّا فظاً غليظاً فإذا كان فظاً غليظاً نزعت منه ربقة الإيمان فإذا نزعت منه ربقة الإيمان لم تلقه إلّا شيطاناً ملعوناً[7].

---

(١) الخصال٢/ ٤٣٨.
(٢) الكافي ٥/ ٥٠٩.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الكافي ٢/ ١٠٦.
(٥) مجموعة ورام.
(٦) الوسائل ١٢/ ١٦٧.
(٧) الكافي٢/ ٢٩١.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذيء قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فإنك إن فتشته لم تجده إلّا لِغَيَّةٍ أو شرك شيطان فقيل: يا رسول الله وفي الناس شرك شيطان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما تقرأ قول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[1].

- وسأل رجل فقيها هل في الناس من لا يبالي ما قيل له؟ قال من تعرض للناس يشتمهم وهو يعلم أنهم لا يتركونه فذلك الذي لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه[2].

وعنه عليه السلام في وصيته لمحمد بن الحنفية: ومن كساه الحياء ثوبه اختفي عن العيون عيبه[3].

عن النبيّ صلى الله عليه وآله: يا علي الإسلام عريان فلباسه الحياء وزينته الوفاء ومروءته العمل الصالح وعماده الورع ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيت[4] وعنه صلى الله عليه وآله: يا علي سوء الخلق شؤم وطاعة المرأة ندامة يا علي إن كان الشؤم في شيء ففي لسان المرأة[5].

وعنه صلى الله عليه وآله: الحياء خير كله[6].

عن سماعة قال سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول: لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك ابق منها فإن ذهابها ذهاب الحياء[7].

---

(١) الوسائل ١٦/ ٣٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الوسائل ١٢/ ١٦٨.
(٤) الفقيه ٤/ ٣٦٢ باب النوادر.
(٥) المصدر السابق.
(٦) مجموعة ورام ١/ ١٩١.
(٧) مشكاة الأنوار ٢٢٠.

قال رسول الله ﷺ ما كان الفخر في شيء قط إلّا شانه ولا كان الحياء في شيء قط إلّا زانه[1].

عن الرضا: من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له[2]. وعنه ﷺ أنه قال: الحياء شعبة من الإيمان[3].

عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: رحم الله عبداً استحيا من ربه حق الحياء حفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وذكر القبر والبلى وذكر أن له في الآخرة معاداً[4].

قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله بعبد خيراً ألهاه عن محاسنه وجعل مساوئه بين عينيه وكرهه مجالسة المعرضين عن ذكر الله والحياء خمسة أنواع حياء ذنب وحياء تقصير وحياء كرامة وحياء حب وحياء هيبة ولكل واحد من ذلك أهل ولأهله مرتبة على حدة[5].

- قال ﷺ: إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء[6].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن طبائع الناس كلها مركبة على الشهوة والرغبة والحرص والرهبة والغضب واللذة إلّا أن في الناس من زم هذه الخلال بالتقوى والحياء والأنف فإذا دعتك نفسك إلى كبيرة من الأمر فارم ببصرك إلى السماء فإن لم تخف من فيها فانظر إلى من في الأرض لعلك أن تستحيّ ممن فيها فإن كنت لا ممن في السماء تخاف ولا ممن في الأرض تستحي فَعِدّ نفسك في البهائم[7].

---

(١) الوسائل ١٢/ ١٦٧.
(٢) الاختصاص ٢٤٢.
(٣) المستدرك ٨/ ٤٦٣.
(٤) المصدر السابق.
(٥) مصباح الشريعة ١٨٩.
(٦) مشكاة الانوار٢٣٤.
(٧) المستدرك ١١/ ٢١٢.

- وعنه ﷺ أنه قال: شرُّ نسائكم الجفة[1] الفرتع[2][3].

- الحياء حسن وهو من النساء أحسن[4].

في العفة:

العفة وضدها التهتك.

عن الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام فيما كتبه للمأمون قال ومن دين الأئمة عليهم السلام الورع والعفة والصدق والصلاح وطول السجود[5].

وقال عليه السلام: عليكم بلزوم العفة والأمانة فإنهما أشرف ما أسررتم وأحسن ما أعلنتم وأفضل ما ادخرتم[6].

وقال عليه السلام: العفة تضعف الشهوة[7].

- غض الأبصار عما حرم الله وهو ثمرة العفة[8].

مواقف

فاطمة عليها السلام:

عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عليهما السلام: قال لما اشتدت علة فاطمة بنت رسول الله ﷺ اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علتك؟ فقالت

---

(١) الجفة من الناس القليلة الحياء.
(٢) الفرتع العابسة.
(٣) مستدرك ١٤/ ١٦٥.
(٤) ارشاد القلوب١/ ١٩٣.
(٥) البحار ٨٢/ ١٦٢.
(٦) غرر الحكم ٢٥٦.
(٧) المصدر السابق.
(٨) البحار ٦٤/ ٣٣١.

أصبحت والله عائفة[1] لدنياكم قالية[2] لرجالكم لفظتهم[3] قبل أن عجمتهم[4] وشنأتهم[5] بعد أن سبرتهم[6] فقبحاً لفلول الحد[7] وخور[8] القناة وخطل[9] الرأي و﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ لا جرم لقد قلدتهم ربقتها[10] وشننت[11] عليهم عارها فجدعاً[12] وعقراً[13] وسحقاً[14] لقوم الظالمين ويحهم أنَّى زحزحوها[15] عن رواسي[16] الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الوحي الأمين والطبين[17] بأمر الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين وما نقموا[18] من أبي حسن نقموا والله منه نكير سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره[19] في ذات الله عزَّ وجلَّ والله لو تكافوا عن

---

(١) العائفة الكارهة يقال عفت الشيء إذا كرهته إعافة.

(٢) القالية المبغضة يقال: قليت فلاناً إذا أبغضته كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾..

(٣) لفظتهم هو طرح الشيء من الفم كراهة له تقول عضضت على الطعام ثم لفظته إذا رميت به من فمك.

(٤) قبل أن عجمتهم يقال عجمت الشيء إذا عضضت عليه وعود معجوم إذا عض.

(٥) شنأتهم أبغضتهم والاسم منه الشنآن.

(٦) سبرتهم أي امتحنتهم يقال سبرت الرجل اختبرته وخبرته.

(٧) فقبحاً لفلول الحد يقال سيف مفلول إذا انثلم حده.

(٨) الخور الضعف.

(٩) الخطل الاضطرار.

(١٠) لقد قلدتهم ربقتها الربقة ما يكون في عنق الغنم وغيرها من الخيوط والجمع الربق.

(١١) شننت صببت يقال شننت الماء وشننته إذا صببته.

(١٢) جدعاً شتم من جدع الأنف.

(١٣) عقراً من قولك عقرت الشيء.

(١٤) سحقاً أي بعداً.

(١٥) زحزحوها أي نحوها.

(١٦) الرواسي الأصول الثابتة وكذلك القواعد.

(١٧) الطبين العالم بدقائق الأمور.

(١٨) ما نقموا من أبي حسن أي ما الذي أنكروا عليه؟

(١٩) تنمره أي تغضبه يقال تنمر الرجل إذا غضب وتشبه بالنمر.

زمام[1] نبذه رسول الله ﷺ لاعتلقه[2] ولسار بهم سيراً سجحاً[3] لا يكلم[4] خشاشه[5] ولا يتعتع[6] راكبه ولأوردهم منهلاً[7] نميراً[8] فضفاضاً[9] تطفح ضفتاه[10] ولأصدرهم بطاناً[11] قد تخير لهم الري غير متحل[12] منه بطائل إلّا بغمر الماء[13] وردعه سورة الساغب[14] ولفتحت عليهم بركات السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون ألا هلم فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب وإن تعجب وقد أعجبك الحادث إلى أي سناد استندوا وبأية عروة تمسكوا استبدلوا الذنابى[15] والله بالقوادم[16] والعجز[17] بالكاهل فرغماً لمعاطس[18] قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أما

---

(١) تكافوا أي كفوا أيديهم عنه والزمام مثل في هذا.
(٢) لاعتلقه لأخذه بيده.
(٣) السجح السير السهل.
(٤) لا يكلم لا يجرح ولا يدمى.
(٥) الخشاش ما يكون في أنف البعير من الخشب.
(٦) لا يتعتع أي لا يكره ولا يقلق.
(٧) المنهل مورد الماء.
(٨) النمير الماء النامي في الحشد.
(٩) الفضفاض الكثير.
(١٠) الضفتان جانبا النهر.
(١١) البطان جمع بطين وهو الريان.
(١٢) غير متحل منه بطائل أي كان لا يأخذ من مالهم قليلاً ولا كثيراً إلّا بغمر الماء كان يشرب بالغمر.
(١٣) والغمر القدح الصغير - ردعه سورة الساغب أي كان يأكل من ذلك قدر ما يردع ثوران الجوع.
(١٤) ردعه سورة الساغب أي كان يأكل من ذلك قدر ما يردع ثوران الجوع.
(١٥) الذنابى ما يلي الذنب من الجناح.
(١٦) القوادم ما تقدم منه.
(١٧) العجز معروف.
(١٨) المعاطس الأنوف.

لعمر إلهك لقد لقحت فنظرة[1] ريثما تنتج[2] ثم احتلبوا طلاع[3] القعب[4] دماً عبيطاً[5] وزعافاً[6] ممقراً[7] ﴿يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ ويعرف التالون غبّ ما أسس الأولون ثم طيبوا عن أنفسكم أنفساً واطمأنوا للفتنة جأشاً وأبشروا بسيف صارم وهرج[8] شامل واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً[9] وزرعكم حصيداً فيا حسرتي لكم وأنّى بكم وقد عميت عليكم ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾[10].

الزرقاء:

سمر معاوية ليلة فذكر الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس امرأة كانت من أهل الكوفة

وكانت ممن يعين علياً عليه السلام يوم صفين.

فقال لأصحابه: أيكم يحفظ كلام الزرقاء؟

فقال القوم: كلنا نحفظه يا أمير المؤمنين.

قال: فما تشيرون عليّ فيها؟

قالوا: نشير عليك بقتلها.

قال: بئس ما أشرتم عليّ به أيحسن بمثلي أن يتحدث الناس أني قتلت

---

(١) فنظرة أي انتظروا.
(٢) ريثما تنتجوا تقول حتى تلد.
(٣) ثم احتلبوا طلاع.
(٤) القعب أي ملأ القعب والقعب العس من الخشب.
(٥) الدم العبيط الطري.
(٦) الزعاف السم.
(٧) الممقر المر.
(٨) الهرج القتل.
(٩) الزهيد القليل.
(١٠) دلائل الإمامة.

امرأة بعد ما ملكت وصار الأمر لي ثم دعا كاتبه في الليل فكتب إلى عامله في الكوفة أن أوفد إلي الزرقاء ابنة عدي مع ثقة من محرمها وعدة من فرسان قومها ومهدها وطاءً ليناً واسترها بستر حصيف فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها فأقرأها الكتاب.

فقالت: أما أنا فغير زائغة عن طاعة وإن كان أمير المؤمنين جعل المشيئة إلي لم أرم من بلدي هذا وإن كان حكم الأمر فالطاعة له أولى بي فحملها في هودج وجعل غشاءه حبراً مبطناً بعصب اليمن ثم أحسن صحبتها وفي حديث المقدمي فحملها في عمارية جعل غشاءها خزاً أدكن مبطناً بقوهي فلما قدمت على معاوية.

قال لها: مرحباً وأهلاً خير مقدم قدمه وافد كيف حالك يا خالة وكيف رأيت مسيرك؟ قالت: خير مسير كأني كنت ربيبة بيت أو طفلاً ممهداً.

قال: بذلك أمرتهم فهل تعلمين لِمَ بعثت إليك؟

قالت: سبحان الله أنّى لي بعلم ما لم أعلم وهل يعلم ما في القلوب إلّا الله؟

قال: بعثت إليك أن أسألك ألست راكبة الجمل الأحمر يوم صفين بين الصفين توقدين الحرب وتحضّين على القتال فما حملك على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين إنه قد مات الرأس وبُتِر الذنب والدهر ذو غِيَرٍ ومن تفكر أبصر والأمر يحدث بعده الأمر.

قال لها: صدقت فهل تحفظين كلامك يوم صفين؟

قالت: ما أحفظه.

قال: ولكني والله أحفظه لله أبوك لقد سمعتك تقولين: أيها الناس إنكم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة فيا لها من فتنة عمياء صماء يسمع لقائلها ولا ينظر لسائقها أيها الناس إن المصباح لا

يضيء في الشمس وإن الكوكب لا يقد في القمر وإن البغل لا يسبق الفرس وإن الزف لا يوازن الحجر ولا يقطع الحديد إلّا الحديد ألا من استرشدنا أرشدناه ومن استخبرنا أخبرناه إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار فكان قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة العدل وغلب الحق باطله فلا يعجلن أحد فيقول كيف وأنّى ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ألا إن خضاب النساء الحِنّاء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير في الأمور عواقباً إيهاً إلى الحرب قدماً غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده.

ثم قال معاوية: والله يا زرقاء لقد شركت عليّاً في كل دم سفكه.

فقالت: أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من بشر بخير وسرّ جليسه.

قال لها: وقد سرك ذلك؟

قالت: نعم والله لقد سرني قولك فأنّى بتصديق الفعل.

فقال معاوية: والله لوفاؤكم له بعد موته أحب إليّ من حبكم له في حياته اذكري حاجتك قالت: يا أمير المؤمنين إني قد آليت على نفسي أن لا أسأل أميراً أَعَنْتُ عليه شيئاً أبداً ومثلُك أعطى عن غير مسألة وجاد عن غير طلب.

قال: صدقت فأقطعها ضيعة أغلتها في أول سنة عشرة آلاف درهم وأحسن صفدها وردها والذين معها مكرمين[1].

أروى بنت الحارث:

دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية بن أبي سفيان بالموسم وهي عجوز كبيرة فلما رآها.

قال: مرحباً بك يا عمة.

---

(١) بلاغات النساء.

قالت: كيف أنت يابن أخي لقد كفرت بعدي بالنعمة وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك بغير بلاء كان منك ولا من آبائك في الإسلام ولقد كفرتم بما جاء به محمدﷺ فأتعس الله منكم الجدود وأصعر منكم الخدود حتى ردَّ الله الحق إلى أهله وكانت كلمة الله هي العليا ونبينا محمدﷺ هو المنصور على من ناوأه ولو كره المشركون فكنا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظاً ونصيباً وقدراً حتى قبض الله نبيهﷺ مغفوراً ذنبه مرفوعاً درجته شريفاً عند الله مرضياً فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وصار ابن عم سيد المرسلين فيكم بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى حيث يقول (يابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) ولم يجمع بعد رسول اللهﷺ لنا شمل ولم يسهل لنا وعر وغايتنا الجنة وغايتكم النار.

قال عمرو بن العاص: أيتها العجوز الضالة اقصري من قولك وغضي من طرفك.

قالت: ومن أنت لا أمَّ لك؟

قال: عمرو بن العاص.

قالت: يا ابن اللخناء النابغة أتكلمني ارْبِعْ على ظلعك واعْنَ بشأن نفسك فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ولا كريم منصبها ولقد ادعاك ستة من قريش كلهم يزعم أنه أبوك ولقد رأيت أمك أيام منى بمكة مع كل عبد عاهر فأُتَّم بهم فإنك بهم أشبه.

فقال مروان بن الحكم: أيتها العجوز الضالة ساخ بصرك مع ذهاب عقلك فلا يجوز شهادتك.

قالت: يا بني أتتكلم فوالله لأنت إلى سفيان بن الحارث بن كلدة أشبه منك بالحكم وإنك لَشَبَهُهُ في زرقة عينيك وحمرة شعرك مع قصر قامته

وظاهر دمامته ولقد رأيت الحكم مادّ القامة ظاهر الأمة سبط الشعر وما بينكما قرابة إلّا كقرابة الفرس الضامر من الأتان المقرب فاسأل أمك عما ذكرت لك فإنها تخبرك بشأن أبيك إن صدقت.

ثم التفتت إلى معاوية فقالت: والله ما عرضني لهؤلاء غيرك وإن أمك القائلة في أُحُدٍ في قتل حمزة رحمة الله عليه؟

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب يوم الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ... أبي وعمي وأخي وصهري
شفيت وحشي غليل صدري ... شفيت نفسي وقضيت نذري
فشكرُ وحشيّ عليّ عمري ... حتى تغيب أعظمي في قبري

فأجبتها:

يا بنت رقاع عظيم الكفر ... خزيت في بدر وغير بدر
صبحك الله قبيل الفجر ... بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري ... حمزة ليثي وعلي صقري
إذ رام شبيب وأبوك غدري ... أعطيت وحشيّ ضمير الصدر
هتك وحشيٌّ حجاب الستر ... ما للبغايا بعدها من فخر

فقال معاوية لمروان وعمرو: ويلكما أنتما عرضتماني لها وأسمعتماني ما أكره.

ثم قال لها: يا عمة اقصدي قصد حاجتك ودعي عنك أساطير النساء

قالت: تأمر لي بألفي دينار وألفي دينار وألفي دينار.

قال: ما تصنعين يا عمة بألفي دينار؟

قالت: أشتري بها عيناً خرخارة في أرض خوارة تكون لولد الحارث بن المطلب.

قال: نعم الموضع وضعتها فما تصنعين بألفي دينار؟

قالت: أزوج بها فتيان عبد المطلب من أكفائهم.

قال: نعم الموضع وضعتها فما تصنعين بألفي دينار؟

قالت: أستعين بها على عسر المدينة وزيارة بيت الله الحرام.

قال: نعم الموضع وضعتها هي لك نعم وكرامة ثم قال: أما والله لو كان علي ما أمر لك بها قالت: صدقت إن عليّاً أدى الأمانة وعمل بأمر الله وأخذ به وأنت ضيعت أمانتك وخنت الله في ماله فأعطيت مال الله من لا يستحقه وقد فرض الله في كتابه الحقوق لأهلها وبينها فلم تأخذ بها ودعانا (أي علي عليه السلام) إلى أخذ حقنا الذي فرض الله لنا فشغل بحربك عن وضع الأمور مواضعها وما سألتك من مالك شيئاً فتمن به إنما سألتك من حقنا ولا نرى أخذ شيء غير حقنا أتذكر عليّاً فض الله فاك وأجهد بلاءك ثم علا بكاؤها وقالت:

ألا يا عين ويحك أسعدينا ... ألا وابكي أمير المؤمنينا

رزينا خير من ركب المطايا ... وفارسها ومن ركب السفينا

ومن لبس النعال أو احتذاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا

إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر راع الناظرينا

ولا والله لا أنسى عليا ... وحسن صلاته في الراكعينا

أفي الشهر الحرام فجعتمونا ... بخير الناس طراً أجمعينا

قال: فأمر لها بستة آلاف دينار وقال لها: يا عمة أنفقي هذه فيما تحبين فإذا احتجت فاكتبي إلى ابن أخيك يحسن صفدك ومعونتك إن شاء الله[1].

سودة الهمدانية:

استأذنت سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها فلما دخلت عليه.

---

(١) المصدر السابق.

قال: هيه يا بنت الأسك ألست القائلة يوم صفين:

شمر كفعل أبيك يابن عمارة ... يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر علياً والحسين ورهطه ... واقصد لهند وابنها بهوان
إن الإمام أخو النبي محمد ... علم الهدى ومنارة الإيمان
فَقِهِ الحتوف وسر أمام لوائه ... قدماً بأبيض صارم وسنان

قالت: إي والله ما مثلي من رغب عن الحق أو اعتذر بالكذب.

قال لها: فما حملك على ذلك؟

قالت: حب علي عليه السلام واتباع الحق.

قال: فوالله ما أرى عليك من أثر علي شيئاً.

قالت: أنشدك الله يا أمير المؤمنين وإعادة ما مضى وتذكار ما قد نسي

قال: هيهات ما مثل مقام أخيك ينسى وما لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك قالت: صدق فوك لم يكن أخي ذميم المقام ولا خفي المكان كان والله كقول الخنساء:

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

قال: صدقت لقد كان كذلك.

فقالت: مات الرأس وبتر الذنب وبالله أسأل أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيت منه.

قال: قد فعلت فما حاجتك؟

قالت: إنك أصبحت للناس سيداً ولأمرهم متقلداً والله سائلك من أمرنا وما افترض عليك من حقنا ولا يزال يقدم علينا من ينوء بعزك ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس البقر ويسومنا الخسيسة

ويسلبنا الجليلة هذا بسر بن أرطأة قدم علينا من قبلك فقتل رجالي وأخذ مالي يقول لي: فوهي بما استعصم الله منه وألجأ إليه فيه ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فإما عزلته عنا فشكرناك وإما لا فعرفناك.

فقال معاوية: أتهددينني بقومك لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس فأردك إليه ينفذ فيك حكمه فأطرقت تبكي ثم أنشأت تقول:

صلى الإله على جسم تضمنه ... قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدل ... فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال لها: ومن ذلك؟

قالت: علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟

قالت: قدمت عليه في رجل ولاه صدقتنا قدم علينا من قبله فكان بيني وبينه ما بين الغث والسمين فأتيت علياً عليه السلام لأشكو إليه ما صنع فوجدته قائماً يصلي فلما نظر إلي انفتل من صلاته ثم قال لي برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته الخبر فبكى ثم قال: اللَّهمَّ إنك أنت الشاهد عليّ وعليهم أني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ثم أخرج من جيبه قطعة جلد كهيئة طرف الجراب فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾، ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾ إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام فأخذته منه والله ما ختمه بطين ولا خزمه بخزام فقرأته.

فقال لها معاوية: لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان فبطيئاً ما تفطمون ثم قال: اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها.

قالت: إليّ خاص أم لقومي عامة؟

قال: ما أنت وقومك.

قالت: هي والله إذن الفحشاء واللؤم إن لم يكن عدلاً شاملاً وإلّا فأنا كسائر قومي.

قال: اكتبوا لها ولقومها[1].

الدارمية:

حج معاوية سنة من سنيه فسأل عن امرأة يقال لها الدارمية الحجونية كانت امرأة سوداء كثيرة اللحم فأخبر بسلامتها فبعث إليها فجيء بها.

فقال لها: كيف حالك يا ابنة حام؟

قالت: بخير ولست لحام إنما أنا امرأة من قريش من بني كنانة ثمت من بني أبيك.

قال: صدقت هل تعلمين لِمَ بعثت إليك؟

قالت: لا يا سبحان الله وأنّى لي بعلم ما لم أعلم.

قال: بعثت إليك أن أسألك علام أحببت عليّاً وأبغضتيني وعلام واليتيه وعاديتيني؟

قالت أو تعفيني من ذلك؟

قال: لا أعفيك ولذلك دعوتك؟

قالت: فأما إذ أبَيْت فإني أحببت عليّاً عليه السلام على عدله في الرعية وقسمه بالسوية وأبغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك وطلبك ما ليس لك

---

(١) المصدر السابق.

ووالیت علیّا عليه السلام على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وآله من الولاية وحب المساكين وإعظامه لأهل الدين وعاديتك على سفكك الدماء وشقك العصا.

قال: صدقت فلذلك انتفخ بطنك وكبر ثديك وعظمت عجيزتك.

قالت: يا هذا بهندٍ أم معاوية والله يضرب المثل لا أنا.

قال معاوية: يا هذه لا تغضبي فإنا لم نقل إلّا خيراً إنه إن انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها وإذا كبر ثديها حسن غذاء ولدها وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها فرجعت المرأة.

فقال لها: هل رأيت عليّاً؟

قالت: إي والله لقد رأيته.

قال: كيف رأيته؟

قالت: لم ينفخه الملك ولم تصقله النعمة.

قال: فهل سمعت كلامه؟

قالت: نعم.

قال: فكيف سمعته؟

قالت: كان والله كلامه يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صداء الطست.

قال: صدقت هل لك من حاجة؟

قالت: وتفعل إذا سألت؟

قال: نعم.

قالت: تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها.

قال: تصنعين بها ماذا؟

قالت: أغذو بألبانها الصغار وأستحني بها الكبار وأكتسب بها المكارم وأصلح بها بين عشائر العرب.

قال: فإن أنا أعطيتك هذا أحل منك محل عليّ؟

قالت: يا سبحان الله أوَ دونه أوَ دونه.

فقال معاوية: إذا لم أجد منكم عليكم فمن ذا الذي بعدي يؤمل بالحلم خذيها هنيئاً واذكري فعل ماجد حباك على حرب العداوة بالسلم، أما والله لو كان عليّاً ما أعطاك شيئاً.

قالت: إي والله ولا برة واحدة من مال المسلمين يعطيني ثم أمر لها بما سألت[1].

(١) المصدر السابق.

وَعَلَى الْأَغْنِيَاءِ بِالتَّوَاضُعِ وَالسَّعَةِ

المال هو الطرف الآخر من مقومات معادلة التعايش وبالرغم من أن تلك المقومات هي فتنة وإن أشدها وأكبرها هي فتنة المال ولو كان فيه خيراً لما حُرِّمه النبي ﷺ وأصحابه الكرام وأنت خبير بأبي ذر، سلمان، عمار، المقداد، وكذا أصحاب أهل البيت الذين أصبحت أخبارهم مضرب الأمثال. وما ذلك إلّا لأجل أن يلقى العبد ربه خالي من التبعات وتفعيلاً لما ورد عنه ﷺ في حديث «فإن أمامك عقبة كؤود لا يقطعها إلّا المخفون»[1] ولكن زمانهم غير زماننا ولا يمكن أن نكون مثاليين إلى حدّ الوهم والخيال فإنّ المال أهم وسيلة وضرورة من الضروريات التي تبتني عليه حياة الفرد. ولأجل هذه اللابدِّية من جهة ولأجل أن يكون الفرد من المخفين من جهة أخرى فما عليه إلّا أن يسلك الحد الوسط في تحصيل الأموال وتجنب طرق التفريط حتى لا يقع في البخل قال أمير المؤمنين عليه السلام: عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي إياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء[2]. ويتجنب الإنفاق في غير طريقه وصرفه على غير أهله وهذا يبعده عن جانب الإفراط. عن علي بن

---

(١) إرشاد القلوب ج١ص٤٩.
(٢) البحار ١٩٩/٦٩.

إبراهيم في تفسيره قال ذكر رجل عند أبي عبد الله عليه السلام الأغنياء فوقع فيهم فقال أبو عبد الله عليه السلام: اسكت فإن الغني إذا كان وصولاً لرحمه وباراً بإخوانه أضعف الله له الأجر ضعفين لأن الله يقول: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1].

وبتجنب الطرفين يقع الفرد عندئذ لا محالة في الطرف الوسط وهو قوله عليه السلام: وأفضل المال ما وقي به العرض وقضيت به الحقوق[2]. وقد مرّ في فقرة الفقراء من الأحاديث التي يستشعر الفرد منها مرارة الفقر ومحصن ذله إن لم يصحبه تقوى وصبر وعفة مما يجعل المال عزيزاً ويطلب بشتى الوسائل لكن العزة في إنفاقه في موارده وصرفه في طرقه وهذا واضح بينه فيما جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في كتاب كتبه إلى محمد بن سنان جواب على مسائله: إن علة الزكاة من أجل قوت الفقراء وتحصين أموال الأغنياء لأن الله عزَّ وجلَّ كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوى كما قال الله تبارك وتعالى ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ في أموالكم إخراج الزكاة وفي أنفسكم توطين الأنفس على الصبر مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عزَّ وجلَّ والطمع في الزيادة مع ما فيه من الزيادة والرأفة والرحمة لأهل الضعف والعطف على أهل المسكنة والحث لهم على المواساة وتقوية الفقراء والمعونة لهم على أمر الدين وهو عظة لأهل الغنى وعبرة لهم ليستدلوا على فقراء الآخرة بهم وما لهم من الحث في ذلك على الشكر لله تبارك وتعالى لما خولهم وأعطاهم والدعاء والتضرع والخوف من أن يصيروا مثلهم في أمور كثيرة في أداء الزكاة والصدقات وصلة الأرحام واصطناع المعروف[3].

---

(١) تفسير القمي ٢/ ٢٠٣.
(٢) البحار ٧٥/ ٧.
(٣) من لا يحضره الفقيه ٢/ ٨.

وقال عليه السلام: أشرف الغنى ترك المنى[1].

وقال عليه السلام: المال مادة الشهوات[2].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله جل وعز جعل للفقَراء في أموال الأغنياء ما يكفيهم ولولا ذلك لزادهم وإنما يؤتون من منع من منعهم[3].

قال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى نظر في أموال الأغنياء ثم نظر في الفقَراء فجعل في أموال الأغنياء ما يكتفون به ولو لم يكفهم لزادهم بل يعطيه ما يأكل ويشرب ويكتسي ويتزوج ويتصدق ويحج[4].

عن أبي إبراهيم عليه السلام قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن طعام وليمة يخص بها الأغنياء ويترك الفقراء[5].

عن معتب مولى الصادق عليه السلام قال: قال الصادق عليه السلام: إنما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونة للفقراء ولو أن الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً ولاستغنى بما فرض الله عزَّ وجلَّ له وإن الناس ما افتقَروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلّا بذنوب الأغنياء وحقيق على الله عزَّ وجلَّ أن يمنع رحمته من منع حقاً لله في ماله وأقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق أنه ما ضاع مال في بر ولا بحر إلّا بترك الزكاة وما صيد صيد في بر ولا بحر إلّا بتركه التسبيح في ذلك اليوم وإن أحب الناس إلى الله عزَّ وجلَّ أسخاهم كفّاً وأسخى الناس من أدى زكاة ماله ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله عزَّ وجلَّ لهم في ماله[6]. عن علي عليه السلام في بيان

---

(١) غرر الحكم ٣١٢.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الكافي ٣/ ٤٩٧.
(٤) الكافي ٣/ ٥٥٦.
(٥) الكافي ٦/ ٢٨٢.
(٦) عوالي اللآلي ١/ ٣٧٠.

أسباب معايش الخلق قال: وأما وجه الصدقات فإنما هي لأقوام ليس لهم في الإمارة نصيب ولا في العمارة حظ ولا في التجارة مال ولا في الإجارة معرفة وقدرة ففرض الله في أموال الأغنياء ما يقوتهم ويقوم به أودهم إلى أن قال ثم بيَّن سبحانه لمن هذه الصدقات فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الآية فأعلمنا أن رسول الله ﷺ لم يضع شيئاً من الفرائض إلّا في مواضعها بأمر الله[1]. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أشرك بين الأغنياء والفقراء في الأموال فليس لهم أن يصرفوا إلى غير شركائهم[2]. عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ ثلاثة مجالستهم تميت القلب: الجلوس مع الأنذال والحديث مع النساء والجلوس مع الأغنياء[3]. عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال لرجل: يا فلان لا تجالس الأغنياء فإن العبد يجالسهم وهو يرى أن لله عليه نعمة فما يقوم حتى يرى أن ليس لله عليه نعمة[4]. عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ: إياكم وأولاد الأغنياء والملوك المرد فإن فتنتهم أشد من فتنة العذارى في خدورهن[5].

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء فما جاع فقير إلّا بما متع به غني والله تعالى جده سائلهم عن ذلك[6]. وعنه عليه السلام: اعلم أن الله تبارك وتعالى فرض على الأغنياء الزكاة بقدر مقدور وحساب محسوب فجعل عدد الأغنياء مائة وخمسة وتسعين والفقراء خمسة وقسم الزكاة على هذا الحساب فجعل على كل مائتين خمسة

---

(١) الوسائل ٩/ ٢١٣.
(٢) علل الشرائع ٢/ ٣٧١.
(٣) تحف العقول ص٥١.
(٤) مشكاة الانوار ٢٣.
(٥) الجعفريات.
(٦) غرر الحكم ٣٧١.

حقاً للضعفاء وتحصيناً لأموالهم لا عذر لصاحب المال في ترك إخراجه وقد قرنها الله بالصلاة[1]. عن أبي جعفر عليه السلام أنه سئل عن زكاة الفطرة قال هي الزكاة التي فرضها الله على جميع المؤمنين مع الصلاة بقوله تعالى ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ على الغني والفقير والفقراء هم أكثر الناس والأغنياء أقلهم فأمر كافة الناس بالصلاة والزكاة[2].

وقال عليه السلام: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله[3].

وكان محمد بن مسلم رجلاً شريفاً موسراً ومن أصحاب الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام فقال له أبو جعفر: تواضع يا محمد! فلما انصرف إلى الكوفة أخذ قوصرة من تمر مع الميزان، وجلس على باب المسجد الجامع وصار ينادي عليه، فأتاه قومه فقالوا له: فضحتنا، فقال: إن مولاي امرني بأمر فلن أخالفه، ولن ابرح حتى افرغ من بيع ما في هذه القوصرة، فقال له قومه: إن أبيت إلّا أن تشتغل ببيع وشراء فاقعد في الطحانين، فهيأ رحى وجملاً وجعل يطحن[4].

فيما أوحي إلى داود: يا داود قل لبني إسرائيل لا تجمعوا المال من الحرام فإني لا أقبل صلاتهم واهجر أباك على المعاصي وأخاك على الحرام واتل على بني إسرائيل نبأ رجلين كانا على عهد إدريس فجاءت لهما تجارة وقد فرضت عليهما صلاة مكتوبة فقال الواحد: أبدأ بأمر الله وقال الآخر أبدأ بتجارتي وألحق أمر الله فذهب هذا لتجارته وهذا لصلاته فأوحيت إلى السحاب فنفخت وأطلقت ناراً وأحاطت واشتغل الرجل بالسحاب والظلمة

---

(١) فقه الرضا ١٩٥.
(٢) دعائم الإسلام ١/ ٢٦٦.
(٣) مستدرك ١١/ ٢٩٦.
(٤) رجال الكشي ١٦٤.

فذهبت تجارته وصلاته وكتب على بابه انظروا ما تصنع الدنيا والتكاثر بصاحبه.

يا داود من تأجرني فهو أربح التاجرين ومن صرعته الدنيا فهو أخسر الخاسرين ويحك يابن آدم ما أقسى قلبك أبوك وأمك يموتان وليس لك عبرة بهما، يابن آدم ألا تنظر إلى بهيمة ماتت فانتفخت وصارت جيفة وهي بهيمة وليس لها ذنب ولو وضعت أوزارك على الجبال الراسيات لهدتها.

ياداود وعزتي ما شيء أضر عليكم من أموالكم وأولادكم ولا أشده في قلوبكم فتنة منها، والعمل الصالح عندي مرفوع وأنا بكل شيء محيط سبحان خالق النور[1].

وكان سليمان عليه السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى المساكين ويقعد معهم ويقول مسكين مع المساكين[2].

عن وهب بن منبه قال: رووا أن رجلاً من بني إسرائيل بنى قصراً فجوده وشيده ثم صنع طعاماً فدعا الأغنياء وترك الفقراء فكان إذا جاء الفقير قيل لكل واحد منهم إن هذا طعام لم يصنع لك ولا لأشباهك قال فبعث الله ملكين في زي الفقراء فقيل لهما مثل ذلك ثم أمرهما الله تعالى بأن يأتيا في زي الأغنياء فأدخلا وأكرما وأجلسا في الصدر فأمرهما الله تعالى أن يخسفا المدينة ومن فيها[3].

وعنه عليه السلام: مطية العقل التواضع[4].

وصية الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام بن الحكم:

يا هشام من أراد الغنى بلا مال وراحة القلب من الحسد والسلامة في

---

(١) قصص الجزائري ٣٥٢.
(٢) مجموعة ورام ١/ ٢٠٣.
(٣) القصص لقطب الدين الراوندي ١٨٤.
(٤) غرر الحكم.

الدين فليتضرع إلى الله عزَّ وجلَّ في مسألته بأن يكمل عقله فمن عقل قنع بما يكفيه ومن قنع بما يكفيه استغنى ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً.

يا هشام واعلم أن الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم ولكن رفعهم بقدر عظمته ومجده[1].

وقال الحسن بن علي عليه السلام إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها قيل يا ابن رسول الله ومن اهلها ؟ قال الذين قص الله في كتابه وذكرهم فقال ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ قال هم أولو العقول[2].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس وأن تسلم على من تلقى وأن تترك المراء وإن كنت محقاً وأن لا تحب أن تحمد على التقوى[3].

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه[4].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن من التواضع أن يجلس الرجل دون شرفه[5].

وفي حديث آخر أنه سئل عليه السلام: ما حد التواضع الذي إذا فعله العبد كان متواضعاً؟ فقال التواضع درجات منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم لا يحب أن يأتي إلى أحد إلّا مثل ما يؤتى إليه إن رأى سيئة درأها بالحسنة كاظم الغيظ عاف عن الناس والله يحب المحسنين[6].

---

(١) تحف العقول ص ٣٨٧.
(٢) المصدر السابق.
(٣) مشكاة الانوار٢٢٤.
(٤) الوسائل ١٥/ ٢٧٣.
(٥) الوسائل١٢/ ١٠٨.
(٦) مشكاة الأنوار ص٢٦٢.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من التواضع أن تسلم على من لقيت[1].

وقال عليه السلام: التواضع يرفع الوضيع والتكبر يضع الرفيع[2]. وعنه التواضع يكسوك المهابة[3].

قال عليه السلام: في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق[4].

قال أمير المؤمنين عليه السلام التواضع يكسبك السلامة زينة الشريف التواضع[5].

قال الصادق عليه السلام: التواضع أصل كل شرف وخير ونفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقَائق ما في مخفيات العواقب والتواضع ما يكون لله وفي الله وما سواه مكر ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السماوات من الملائكة وأهل الأرض من العارفين قال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ﴾ وقال أيضاً ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ الآية وأصل التواضع من إجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عزَّ وجلَّ عبادة يقبلها ويرضاها إلّا وبابها التواضع ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلّا المقربون من عباده المتصلون بوحدانيته قال الله عزّ وجلّ ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ وقد أمر الله عزَّ وجلَّ أعز خلقه وسيد بريته محمداً بالتواضع فقال عزَّ وجلَّ ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ والتواضع مزرعة الخشوع والخضوع

---

(١) جامع الأخبار ص٨٨.
(٢) مستدرك ١٢/ ٢٨.
(٣) غرر الحكم ٢٥٥.
(٤) نفسه.
(٥) كنز الفوائد ١/ ٣٢٠.

والخشية والحياء وإنهن لا ينبتن إلّا منها وفيها ولا يسلم الشوق التام الحقيقي إلّا للمتواضع في ذات الله تبارك وتعالى.

وقال عليه السلام: لو رخص الله سبحانه في الكبر لأحد من الخلق لرخص فيه لأنبيائه لكنه كره إليهم التكبر ورضي لهم التواضع[1]. - ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة؟ قالوا: وما حلاوة العبادة؟ قال: التواضع[2].

عن علي عليه السلام: التواضع زينة الحسب[3].

- التواضع ينشر الفضيلة[4].

وفي معرض قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[5].

قال عليه السلام: ذكر الحج وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، وإذعانهم لعزته[6].

عن العسكري عليه السلام: التواضع نعمة لا يحسد عليها[7].

عن علي عليه السلام: حسب المرء من تواضعه معرفته بقدره[8].

عن علي عليه السلام: التواضع مع الرفعة كالعفو مع المقدرة[9].

---

(١) مستدرك ١٢/ ٢٩.
(٢) مجموعة ورام ١/ ٢٠١.
(٣) غرر الحكم ٢٤٨.
(٤) المصدر نفسه السابق.
(٥) آل عمران: ٩٧.
(٦) نهج البلاغة ص ٤٥.
(٧) شرح النهج ٢٠/ ٣٠١.
(٨) غرر الحكم ٢٤٨.
(٩) نفسه.

وعنه أيضاً عليه السلام : طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وتواضع من غير منقصة[1].

وعنه عليه السلام : من أتى ذا ميسرة فتخشع له طلب ما في يديه، ذهب ثلثا دينه[2].

(١) تفسير القمي ٢/ ٧٠.
(٢) بحار ٧٠/ ٨٩.

وَعَلَى الْفُقَرَاءِ بِالصَّبْرِ وَالْقَنَاعَةِ

الحياة قائمة بأضدادها فلا يمكن أن تقوم على حالة واحدة، وهنا مقوم من مقوماتها التي وجد الإنسان ليعيش في حدودها وعلى ما قدر له من العمر، ذلك الوجود المنشود فيه راحة النفس وسكون البال حتى يرتب مقتنيات ونفائس الدرر في طريق الآخرة، والفقر حالة صعبة لصعوبة متطلبات الحياة واختلاف الناس بحسب أزمانهم، فكيف بزماننا المادي المعادي هذا الذي ينظر للفقير فيه نظرة ازدراء يعيبون عليه فقره.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: الفقر يخرس الفطن عن حجته، والمقل غريب في بلدته، من فتح عليه باباً من المسألة فيح الله عليه باباً من الفقر[1].

وفي وصيته لابنه الحسن عليه السلام: لا تلم إنساناً يطلب قوته، فمن عدم قوته كثرت خطاياه، يا بني الفقير حقير لا يُسمع كلامه، ولا يُعرف مقامه، لو كان الفقير صادقاً يسمونه كاذباً، ولو كان زاهداً يسمونه جاهلاً. يا بني من ابتلي بالفقر فقد ابتلي بأربع خصال: بالضعف في يقينه، والنقصان في عقله، والرقة في دينه، وقلة الحياء في وجهه، فنعوذ بالله من الفقر[2].

---

(١) كنز الفوائد ٢/ ١٩٣.

(٢) جامع الأخبار ص ١١٠.

وفي وصيته عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية: يا بني إني أخاف عليك الفقر، فاستعذ بالله منه؛ فإنّ الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت![1].

ومن الظنون الواهمة في النفس هو عدم تحقق ذلك النشيد إلّا من خلال الغنى أو الزعامة والتسلط بالرغم من أن الآخرة والجنة ثمراتها هو كل ما وظف في إطار الطاعة المقرونة بالقربة وهذه الثمرات يمكن أن تقطف من باقي المقومات شريطة أن يكون التحرك بنحو الاعتدال وحضور القصد في إرادة العمل لتحصيل هذه الثمرة الجنتية أو تلك.

كما أن لكل مقوم أطراف ثلاثة، إفراط وتفريط وطرف وسط وأصعب حالة على النفس ابتداءً هو اختيار الحد الوسط والعمل بمقتضاه بفعل قوة جذب باقي الأطراف لأنهما يمثلان طرفي الحياة الدنيا التي يعد الركون إليها بأحد طرفيها جني للعواقب والتبعات والتي يصعب معها الخروج والإفلات إلى جادة الخير والصلاح.وتلبس الإنسان بحالة من الحالات لا يمكن الجزم بِعدّه حالة خير أو شر لأنها مقرونة بالابتلاء كما أن الاستعداد والقابليات في تفعيل الطاعة لا تتم إلّا بالتلبس بتلك الحالة.

وبعبارة أخرى إن الوهم حقيقة قابعة في النفس البشرية وتعد من القوى المقومة للشخصية بناءً على أن كل قوة من القوى الموجودة في النفس لها نسبة، وعلى أساسها تُقيَّم الشخصية ولكل منها حد اعتدال وطرفي ارتفاع وانخفاض وكلاهما مذمومان بالرغم من كونهما أداة يستعين بها العقل على التصور والتفكير وإن قالوا إن الأداة في ذلك هو حد الاعتدال ولكن الاعتدال لا يعرف إلّا بهما فمثلهما ككفتي ميزان. وطرف الانخفاض هو ضعف قوة التصور المستعمل في التفكير فيكون البله والبلادة.

---

(١) نهج البلاغة ص ٥٣١.

وطرف الارتفاع يؤدي إلى الطغيان وكل منا طاغية باعتباره وكلما كانت النسبة أقل كان أقرب للاعتدال. وحد الاعتدال هو القرآن والقرآن هو الدين والدين هو العقل (أول ما خلق العقل) فمن لم يكن عنده دين فقد مال به الوهم إلى أحد طرفيه.

عن الصادق عليه السلام: ينبغي للمؤمن أن يلزم الطاعة ويلتحف الورع والقناعة[1].

والفقر بالمعنى الأخص هو الافتقار إلى المال مع الاحتياج إليه.والفقير إما أن يكون راغباً في المال حريص على تحصيله ومحباً له ويبحث عن سبيل لطلبه ولوْ بالمشقة والتعب ويسمى هكذا فقير حريصاً لأنّ أمثال هذا الصنف من الفقراء لا يكل ولا يمل عن الطلب ولا يستشعر الغنى، بل يعيش الفقر في كل حالاته لوجود الحرص والشره في نفسه. عن الإمام أبي الحسن الثالث عليه السلام لما سئل عن الفقر: الغناء قلة تمنيك والرضا بما يكفيك والفقر شره النفس وشدة القنوط[2]. وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: أفقر الناس من قتر على نفسه مع الغنى والسعة وخلفه لغيره[3]. عن الإمام الصادق عليه السلام قال: حرم الحريص خصلتين ولزمته خصلتان حرم القناعة فافتقد الراحة وحرم الرضا فافتقد اليقين[4].

أو يكون وجود المال عنده محبوباً لكن لم يبعثه على السعي والطلب ولا يرفضه أو يتركه إن وجده، وإن افتقده لم يشغل باله به ويسمى هذا الصنف قانعاً، وهذا هو الحد الوسط عن الإمام الصادق عليه السلام انزل ساحة القناعة باتقاء الحرص[5]. أو يكون عزوفاً عنه ويتأذى بوجوده ويهرب منه إن

---

(١) غرر الحكم ص ٩١.
(٢) البحار ٧٢/ ١٠٩.
(٣) مستدرك ١٥/ ٢٧١.
(٤) الخصال ١/ ٦٩.
(٥) تحف العقول ص٢٨٤.

أتاه وهذا هو الزاهد. سئل الإمام الرضا عليه السلام عن صفة الزاهد فقال: متبلغ بدون قوته مستعد ليوم موته متبرم بحياته[1].

وكل معنى من هذه المعاني للفقر يندرج تحت واحد من معاني ثلاثة هي الفقر للناس، أو الفقر لله أو الفقر لله والناس. أما الفقر للناس فقد وردت الأحاديث مدعومة بالمدلول القرآني تنهى استشعار الإنسان نفسه التذلل والاستصغار لأخيه الإنسان، بل حثته لأن يكون في درج العزة قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] وعن الصادق عليه السلام قال: المؤمنة أعز من المؤمن والمؤمن أعز من الكبريت الأحمر فمن رأى منكم الكبريت الأحمر[3]. عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ما من عبد فتح على نفسه باباً من المسألة إلّا فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر[4].

وصايا علي بن الحسين عليه السلام: طلب الحوائج إلى الناس مذلة للحياة ومذهبة للحياء واستخفاف بالوقار وهو الفقر الحاضر وقلة طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر[5].

عن الباقر عليه السلام في وصاياه: لو يعلم السائل ما في المسألة ما سأل أحد أحداً ولو يعلم المسؤول ما في المنع ما منع أحد أحداً[6].

عن الصادق عليه السلام قال: ما من عبد يسأل من غير حاجة فيموت حتى يحوجه الله عزَّ وجلَّ إلى السؤال ويثبت له بها في النار[7]. وقال الباقر عليه السلام:

---

(١) كشف الغمة ٢/ ٣٠٦.
(٢) المنافقون.
(٣) الكافي.
(٤) جامع الأخبار.
(٥) بحار الأنوار.
(٦) المصدر السابق.
(٧) المصدر السابق.

طلب الحوائج إلى الناس استلاب للعزة ومذهبة للحياء واليأس مما في أيدي الناس عز المؤمنين والطمع هو الفقر الحاضر[1].

والفقر لله، عنه عليه السلام: لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً[2]. وعن لقمان في وصيته لابنه: اعلم يا بني أني قد ذقت الصبر وأنواع المُرّ فلم أرَ أمّر من الفقر، فإنّ افتقرت يوماً فاجعل فقرك بينك وبين الله، ولا تحدث الناس بفقرك فتهون عليهم[3].

وأما الفقر لله والناس: وهو أن الكل مفتقر إليه تعالى ولا استغناء لغنيٍّ عن غناه سبحانه ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ فما الظن بالفقير المعدم فالفقر لله هو كون الإنسان دائماً عليه أن يكون مصداقاً لقوله في صلاته بحول الله وقوته أقوم واقعد سواء أقام قيام غني فعليه أن يتصرف وفق المنظور الإلهي للأغنياء فينفق ويتصدق ويقرض ويخرج ما تعلق من الحقوق الشرعية في أمواله أم فقيراً فلا يخرجه فقره عن حدّ الاعتدال ثم إن فقره للناس لا يفهم على نحو التذلل والمسكنة وإنما بما أنه فرد يعيش وسط أفراد عليه أن يتعايش معهم على ضوء ما يحمل المجتمع من إنسانية لا على نسبة الإنسانية فيه.فعلى ضوء هذه النسب من التعامل يكون المجتمع في الصورة الأولى مثاليّاً ومحل لإظهار الفيض الإلهي فيكون كالجبل وسط الربيع رغم صخوره فإنّ ما بينها أزهاراً حجبت صخورها.

وتبعاً لهذه المعاني الثلاثة ينكشف التعارض والتضارب في الروايات التي وردت في مدح وذم الفقر. وأراد الإمام روحي له الفداء تحقيق الحد الوسط في النفس المؤمنة لأنّ الحرص والشره ليس من شأنها ولا يليق بها

---

(١) المصدر السابق.
(٢) عوالي اللآلي.
(٣) أعلام الدين ص٣٢٧.

لأنه مورد روايات الذم. ثم إن الزهد لا يتحصل لكل البشر ولو حصل لتعطلت حركة الحياة، وخير الأمور أوساطها. أما روايات المدح فلا تكون من حصة الفقير إلّا بتحقق طرفيها وهو طرف الصبر وطرف القناعة. قال أمير المؤمنين عليه السلام: الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو[1].

الصبر:

هو كف النفس عن الهوى ويعد أم الفضائل حيث لا فضيلة إلّا وللصبر دخل فيها لأنّ الملكات لا يكون لها تفعيل إلّا به، كما أنه يعد طريق لتحصيل القناعة، بالإضافة إلى انه يعتبر (حقيقة المقاومة مع المكاره والشهوات والمشتهيات والاستقامة مع ما يرتضيه العقل والشرع من محاسن الأخلاق والوصول إلى المعارف والكمالات والمواظبة على الواجبات وترك المحرمات)[2] وتحصيل الملكة يستدعي التخلص من رذيلة والتحلي بفضيلة ولهذا اخذ الصبر عناوين ومسميات تبعاً لعنوان واسم الفضيلة، فتحصيل ملكة الشجاعة يستدعي التخلص من رذيلة الجبن والتحلي بفضيلة الإقدام، وتحصيل ملكة الحلم يستدعي التخلص من رذيلة التذمر والغضب والتحلي بفضيلة كظم الغيض، وتحصيل ملكة الكتمان يستدعي التخلص من رذيلة الإذاعة والإفشاء والتحلي بفضيلة السر وإخفاء الكلام، وتحصيل ملكة الزهد يستدعي التخلص من رذيلة الحرص والشره والتحلي بفضيلة القناعة، إلى آخره من الأمور التي ذكرها أهل الأخلاق في هذا المجال. والعبد لا يمكنه الاستغناء عن الصبر في جميع أحواله وآنات حياته لأنه يدور معه مدار الأحكام التكليفية الخمسة، فتجده يعمل الواجب ويتحمل مشاقه ومعاناته التي في بعضها تنزع النفس إلى الإفلات منه وتبرر امتناع امتثالها بأعذار

---

(١) كنز الفوائد ١/ ١٣٩.

(٢) مواهب الرحمن ج١ البحث الأخلاقي ص٢١٤ - ٢١٥.

وحجج واهية لا مبرر لها سوى المخادعة. ويترك الحرام خشية العقاب ومخالفة التكليف، ويترك المكروه لقربه من الحرام ولما فيه من جرأة على الحرام، ويعمل المستحب لقربه من الواجب والحلال وفيه ثمة طريق لترويض النفس على فعل الواجب، ويأخذ بالمباح لأنه مختبر التكاليف في النفس ولهذا عدّ الصبر طريقاً من طرق الاستكمال، فقد يترك المباحات لأنّ المستحبات أخذت منه مجالها من النفس.

القناعة: وهي الاكتفاء بقدر الضرورة والحاجة من دون سعي وتعب في طلب الزائد حتى تصبح ملكة بعد التخلص من الحرص والشره، عن النبي ﷺ (خيركم من رضي بالفقر) كما إنها تعد غاية الصبر الذي يعتبر أم الفضائل، فالقناعة تعتبر طريق تحصيل تلك الفضائل، لأنّ من قنع بقدر الضرورة امتنع قلبه عن الاشتغال بالزائد وكان فارغ البال عن زخارف الدنيا قال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا﴾ ومجتمع الهم والهمم في تحصيل أمر الدين وسلوك طريق الآخرة لنيل درجات المتقين. والقناعة إن وجدت وجد معها التعفف قال عليه السلام: رب فقير أغنى من كل غني[1]. وقال عليه السلام: أصل العفاف القناعة وثمرتها قلة الأحزان[2]. وقال عليه السلام: إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه القناعة فاكتفى بالكفاف[3]. وقال عليه السلام: من عدم القناعة لم يغنه المال[4]. ثم إن للفقر معنيين: معنى مادي وهو الآنف الذكر وآخر معنوي كما عنه ﷺ قال: الفقر فقران: فقر الدنيا وفقر الآخرة، ففقر الدنيا غنى الآخرة، وغنى الدنيا فقر الآخرة ذلك الهلاك[5].

والمادي طريق لذلك المعنوي لأنّ غاية الدين بناء النفس الإنسانية

---

(١) غرر الحكم ص٣٦٦.
(٢) البحار ٧٥/ ٧.
(٣) غرر الحكم ص٣٩٣.
(٤) المصدر السابق.
(٥) مشكاة الانوار ص١٢٨.

وانتشالها من حضيض البهيمية إلى أوج الإنسانية وهذا يفهم من روايات الذم لأنه يهبط بالنفس ويتركها تقبع في زوايا الغريزة حتى توردها النار ولهذا وردت روايات تشير إلى حقيقة الفقر منها: عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: أكبر البلاء فقر النفس. لأنّ التضور جوعاً يمر بالرغم من بقاء آثاره لكن فقر النفس أشدّ خسراناً فعن الإمام زين العابدين عليه السلام: اتخذوا عند الفقراء أيادي، فإن لهم دولة يوم القيامة.

- أعون شيء على صلاح النفس القناعة[1].

والبلاء يكون في النفس بحسب منسوب الإيمان والنفاق والكفر، والفقر من ذلك البلاء، عنه صلى الله عليه وآله: الفقر فقر القلب[2].

وعنه أيضاً: أتدرون ما المفلس؟ فقيل: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع له، فقال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار[3].

- ثلاثة أول من يدخل الجنة الشهيد في سبيل الله والمملوك لم يشغله رقه عن طاعة ربه وفقير ذو عيال متعفف[4].

- ثلاثة يبغضهم الله: المنان بصدقته والمقتر مع سعته والفقير المسرف[5].

---

(١) غرر الحكم ص٣٩١.
(٢) البحار ٦٩/ ٥٦.
(٣) البحار٦٩/ ٥.
(٤) مجموعة ورام ٢/ ١٢١.
(٥) المصدر السابق.

- أفضل المروّة استبقاء الرجل ماء وجهه[1].

عن رسول الله ﷺ: الفقر فخري وبه أفتخر[2].

- الفقر راحة والغنى عقوبة[3].

- الفقر شين عند الناس، وزين عند الله يوم القيامة[4].

- لما سئل ﷺ عن الفقر: خزانة من خزائن الله، قيل ثانياً: يا رسول الله ما الفقر؟ فقال: كرامة من الله، وقيل ثالثاً: ما الفقر؟ فقال شيء لا يعطيه الله إلّا نبياً مرسلاً أو مؤمناً كريماً على الله تعالى[5].

- عن علي عليه السلام: الفقر مخزون عند الله بمنزلة الشهادة يؤتيه الله من يشاء[6].

- في مناجاة موسى: يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل: ذنب عجلت عقوبته[7].

- من أحب السلامة فليؤثر الفقر، ومن أحب الراحة فليؤثر الزهد في الدنيا[8].

عن الكاظم: إن الأنبياء وأولاد الأنبياء وأتباع الأنبياء خصوا بثلاث خصال: السقم في الأبدان، وخوف السلطان، والفقر[9].

---

(١) غرر الحكم ص٢٥٨.
(٢) عدة الداعي ص١٢٣.
(٣) مستدرك ١١/ ٣٣٨.
(٤) جامع الاخبار ص١١١.
(٥) جامع الاخبار ص١٠٩.
(٦) المصدر السابق.
(٧) الكافي ٢/ ٢٦٣.
(٨) غرر الحكم ص٣٦٦.
(٩) الخصال ١/ ٨٨.

- لا فقر كالجهل[1].

- رب فقير أغنى من كل غني[2].

وسئل الرضا عليه السلام عن القناعة فقال: القناعة تجتمع إلى صيانة النفس وعز القدر وطرح مؤن الاستكثار والتعبد لأهل الدنيا ولا يسلك طريق القناعة إلّا رجلان إما متعلل يريد أجر الآخرة أو كريم متنزه عن لئام الناس[3].

قال النبي صلى الله عليه وآله: القناعة ملك لا يزول وهو مركب رضا الله تحمل صاحبها إلى داره فأحسن التوكل فيما لم تعط والرضا بما أعطيته ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ فـ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[4].

---

(١) غرر الحكم ص٧٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) البحار ٧٨/ ٣٤٩.
(٤) البحار٦٨/ ٣٤٩.

وَعَلَى الْغُزاةِ بِالنَّصْرِ وَالْغَلَبَةِ
وَعَلَى الأُسَراءِ بِالْخَلاصِ وَالرّاحَةِ

إن (بذل الطاقة وتحمل المشقة مأخوذ في جميع مشتقات مادة الجهاد سواء استعملت في العلم، أو العمل، أو بذل المال، أو النفس في سبيل الله والمجاهدة في مخالفة الهوى، أو غير ذلك. وبهذا المعنى العام تقوم الأديان السماوية حدوثاً وبقاءً بالنسبة إلى الأفراد والأنواع، فليس قوام الدِّين بالجهاد في جهة خاصة فقط، وهي المجاهدة مع الكفار، بل هو متقوِّم به بمعناه العام فرداً أو نوعاً، وكما أنه علة محدثة للدِّين مبقية له أيضاً)[1].

والفقهاء تبعاً للآثار المعصومية عليهم السلام قيدوا الجهاد الأصغر بقيود وحدّوه بحدود وضوابط وشروط لأنه لم يكن هو الغاية والهدف، بالإضافة إلى أن الإسلام الذي هو اسم وضعه وأضفاه من هو خبير بمعانيه وخصوصياته لا بوضع من تحتل قواه غير العقلية النسبة الأكبر في عموم تصرفاته. قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب وإذا اشتهى وإذا

---

(١) مهذب الأحكام/ج١٥ كتاب الجهاد.

غضب وإذا رضي فقد حرَّم الله جسده على النار[1]. والإسلام يريد أن يتفرغ القلب ليكون ساحة قدسه ولا يكون كذلك إلّا بالجهادالأكبر.

لو دعيت إلى مكان قذر تنبعث منه الروائح الكريهة وكان الداعي لأجل استقبالك اكتفى بتعطير المكان بعِطر عبق!! ما تقول وما تفعل؟ الجواب ورد الفعل نفسه ورأيك بتمامه ينطبق على من حمل السيف بوجه الأعداء وقلبه تعلوه كتل الرين ومن فوقه سحائب الذنوب تمطرها فيمتزجان فيتولد عنهما شيطاناً يُرقِص القلب، فهل ينفعل السيف وهو آلة صماء تحركها جارحة خاطئة؟ هل ينفعل وملك الجوارح مشغول بشيطانه؟ ويمكن أن يكون هذا صورة من صور كل حالة خاصة أم عامة غلب عليها طابع الهوى والميول والرغبات النفسية على طابع التعقل والحكمة. قال النبي ﷺ: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)[2]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (عليكم أنفسكم إن انتصرتم عليها فأنتم على غيرها أقدر وإن عجزتم عنها فأنتم عن غيرها أعجز)[3].

والغزو أو الجهاد الأصغر لا يكون إلّا بأمر المعصوم عليه السلام إما بمباشرته أم بإذن خاص منه، ومن دون ذلك يحتاج الأمر إلى دليل بالرغم من انه أفضل الأعمال بعد الفرائض قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[4].

وتقييد الأفضلية بما بعد الفرائض من جهة أنه لا يمكن أن يكون

---

(١) الوسائل باب١ من أبواب جهاد النفس حديث ٨.
(٢) عدة الداعي ص٣١٤.
(٣) غرر الحكم.
(٤) التوبة الآية ١١١.

المجاهد مجاهداً كما أسلفنا إلّا أن تنفعل مقدماته وهو تفعل الجوارح بالفرائض لا العكس والفرق واضح. عن أبي جعفر عليه السلام قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله رجل من أصحابه يقال له قزمان بحسن معونته لإخوانه وذكره فقال صلى الله عليه وآله إنه من أهل النار فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل: إن قزمان استشهد فقال يفعل الله ما يشاء ثم أتى فقيل إنه قتل نفسه فقال أشهد أني رسول الله قال وكان قزمان قاتل قتالاً شديداً وقتل من المشركين ستة أو سبعة فأثبتته الجراح فاحتمل إلى دور بني ظفر فقال له المسلمون: أبشر يا قزمان فقد أبليت اليوم فقال بم تبشرون فوالله ما قاتلت إلّا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت فلما اشتدت عليه الجراحة جاء إلى كنانته فأخذ منها مشقصاً فقتل به نفسه[1]. وكانت امرأة من بني النجار قتل أبوها وزوجها وأخوها مع رسول الله صلى الله عليه وآله فدنت من رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون قيام على رأسه فقالت لرجل: أحيٌّ رسول الله ؟

قال: نعم

قالت: أستطيع أن أنظر إليه ؟

قال: نعم

فأوسعوا لها فدنت منه وقالت: كل مصيبة جلل بعدك ثم انصرفت[2].

وكتب الفقه أسهبت في بيانه وشروطه، ولتكميل الفائدة في إيضاح بعض نكاته نذكر جملة من الروايات الدالة على وجوبه، وعلى من يجب وأهم أقسامه وشروطه إجمالاً. وأغلبها لم تتعدَّ خط المشهور لأنه قطعاً يكون أقرب إلى رأي المعصوم، وترك الفتيا التي تتعارض مع المشهور أولى من ترك نفس المشهور.

---

(١) اعلام الورى الباب الرابع في مغازيه.

(٢) المصدر السابق.

أما الأول: فتدل الأدلة الأربعة على أصل وجوبه في الجملة وجوب كفاية.

فمن الكتاب آيات كثيرة وردت فيه منها: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾[1].

ومن السنة أخبار متواترة منها:

صحيحة ابن خالد عن أبي جعفر عليه السلام: ألا أخبرك بالإسلام أصله، وفرعه، وذروة سنامه؟ قلت: بلى جعلت فداك قال عليه السلام: أما أصله فالصلاة، وفرعه الزكاة، وذروة سنامه الجهاد[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إن الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام وهو قوام الدين والأجر فيه عظيم مع العزة والمنعة وهو الكرّة فيه الحسنات والبشرى بالجنة بعد الشهادة وبالرزق غداً عند الرب والكرامة يقول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية[3] ثم إن الرعب والخوف من جهاد المستحق للجهاد والمتوازرين على الضلال ضلال في الدين وسلب للدنيا مع الذل والصغار وفيه استيجاب النار بالفرار من الزحف عند حضرة القتال يقول الله عزَّ وجلَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾[4] فحافظوا على أمر الله عزّ وجل في هذه المواطن التي الصبر عليها كرم وسعادة ونجاة في الدنيا والآخرة من فظيع الهول والمخافة فإن الله عزَّ وجلَّ لا يعبأ بما العباد مقترفون ليلهم ونهارهم لطف به علماً وكل ذلك في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى فاصبروا وصابروا واسألوا النصر ووطنوا أنفسكم على القتال واتقوا الله عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟

---

(١) التوبة الآية ٧٣، التحريم الآية ٩.

(٢) الوسائل باب ١ من أبواب مقدّمة العبادات الحديث ٣.

(٣) ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ آل عمران الآية ١٦٩.

(٤) الأنفال الآية ١٥.

وَٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[1] فإن الحرب سجال لا يشدون عليكم كرة بعد فرة ولا حملة بعد جولة ومن ألقى إليكم السلم فاقبلوا منه واستعينوا بالصبر فإن بعد الصبر النصر من الله عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]. وعنه عليه السلام: استشعروا الصبر فإنه أدعى إلى النصر[3].

عن أبي عبد الله عليه السلام: قال ما التقت فئتان قط من أهل الباطل إلّا كان النصر مع أحسنهما بقية على أهل الإسلام[4]. عن عثمان بن مظعون قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: إن نفسي تحدثني بالسياحة وأن ألحق بالجبال قال يا عثمان لا تفعل فإن سياحة أمتي الغزو والجهاد[5].

ومن الإجماع: فقد اجمع المسلمون عليه واعتبروه ضرورة من ضروريات الدين.

ومن العقل: فإنه حكم بلزوم إقامة العدل الإلهي وتفعيلة القوانين الإلهية في الحياة.

الجهاد الأصغر والفتوحات الإسلامية: إن سوء فهم الجهاد من جهة وحب الدنيا وغلبة الهوى من جهة أخرى أو قل ضعف الدين فضلاً عن انعدامه في نفوس الحكام - وسلب الخلافة مع معرفتهم بعدم أحقيتهم بها يعد من الشواهد الجلية على ذلك الانعدام - دفعهم لتحقيق أغراضهم ومآربهم والتي منها غزو البلدان بدعوى (الفتح) لنشر الإسلام وهذه لغة عصرهم فإنّ في كل زمان قراصنة يسخرون طابع المجتمع العام ولغته

---

(١) النحل الآية ١٢٨.
(٢) الأعراف من الآية ١٢٨.
(٣) شرح النهج ٢/ ٦٠.
(٤) الكافي ٨/ ١٥٢.
(٥) التهذيب٦/ ١٢٢ باب فضل الجهاد وفروضه.

التعاملية لتحقيق مقاصدهم، ولما كانت الجاهلية لم تزل تعيش فيهم ولغزو الغارات من غير حق ووجه من شيمهم ابتدعوا لها سمة إسلامية مما عكس صورة الإسلام الدموي. وكتب التاريخ مليئة بأشكال وصور تحكي ردَّ الفعل السلبي اتجاه الإسلام من قبل أهالي تلك البلدان خصوصاً ما ابتدعوه من أباطيل سواء من الداعين أم المدعوين.

عن عبد الله بن سنان قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك ما تقول في هؤلاء الذين يقتلون في هذه الثغور؟ قال فقال: الويل يتعجلون قتلة في الدنيا وقتلة في الآخرة والله ما الشهيد إلّا شيعتنا ولو ماتوا على فرشهم[1].

عن عبد الملك بن عمرو قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا عبد الملك ما ليَّ لا أراك تخرج إلى هذه المواضع التي يخرج إليها أهل بلادك؟ قال قلت وأين؟ قال جدة عبادان والمصيصة وقزوين فقلت انتظاراً لأمركم والاقتداء بكم فقال: إي والله لو كان خيراً ما سبقونا إليه قال قلت فإن الزيدية تقول ليس بيننا وبين جعفر خلاف إلّا أنه لا يرى الجهاد فقال إني لا أرى بلى والله إني لأراه ولكني أكره أن أدع علمي إلى جهلهم[2]. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأل رجل أبي عن حروب أمير المؤمنين عليه السلام وكان السائل من محبينا قال له أبو جعفر عليه السلام بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف ثلاثة منها شاهرة لا تغمد إلى أن تضع الحرب أوزارها ولن تضع الحرب أوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، وسيف منها مكفوف وسيف منها مغمود سله إلى غيرنا وحكمه إلينا فأما السيوف الثلاثة الشاهرة فسيف على مشركي العرب قال الله تعالى ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ فهؤلاء لا يقبل منهم إلّا القتل أو الدخول في الإسلام والسيف الثاني على أهل الذمة قال الله تعالى ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا

---

(١) نفسه باب المرابطة في سبيل الله.

(٢) الوسائل ١٥/ ٤٦ باب اشتراط وجوب الجهاد بأمر الإمام.

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية فهؤلاء لا يقبل منهم إلّا الجزية أو القتل والسيف الثالث سيف على مشركي العجم يعني الترك والخزر والديلم قال الله تعالى ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ فهؤلاء لا يقبل منهم لا القتل أو الدخول في الإسلام ولا يحل لنا نكاحهم ما داموا في الحرب وأما السيف المكفوف على أهل البغي والتأويل قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ إلى قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ إن منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل فسُئل النبي ﷺ من هو؟ فقال هو خاصف النعل يعني أمير المؤمنين عليه السلام.

وقالَ عمار بن ياسر رحمه الله: قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاثاً وهذه الرابعة والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل وكانت السيرة فيهم من أمير المؤمنين عليه السلام ما كان من رسول الله ﷺ في أهل مكة يوم فتح مكة فإنه لمْ يَسْبِ لهم ذرية وقال من أغلق بابه وألقى سلاحه أو دخل دار أبي سفيان فهو آمن وكذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة فيهم: لا تسبوا لهم ذرية ولا تتموا على جريح ولا تتبعوا مدبراً ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن وأما السيف المغمود فالسيف الذي يقام به القصاص قال الله تعالى ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية فسله إلى أولياء المقتول وحكمه إلينا فهذه السيوف التي بعث الله تعالى نبيه ﷺ بها فمن جحدها أو جحد واحداً منها أو شيئاً من سيرها وأحكامها فقد كفر بما أنزل الله على محمد ﷺ[1].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: غدوت إلى رسول الله في مرضه الذي قبض فيه فدخلت المسجد والناس أحفل ما كانوا كان على رؤوسهم الطير إذ

---

(١) التهذيب ٦/ ١٣٦.

أقبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حتى سلم على رسول الله صلى الله عليه وآله فتغامز به بعض من كان عنده فنظر إليهم النبي صلى الله عليه وآله فقال: ألا تسألون عن أفضلكم قالوا بلى يا رسول الله قال أفضلكم علي بن أبي طالب أقدمكم إسلاماً وأوفركم إيماناً وأكثركم علماً وأرجحكم حلماً وأشدكم لله غضباً وأشدكم نكاية في الغزو والجهاد فقال له بعض من حضر يا رسول الله وإن علياً قد فضلنا بالخير كله فقال رسول الله أجل هو عبد الله وأخو رسول الله فقد علمته علمي واستودعته سري وهو أميني على أمتي فقال بعض من حضر لقد أفتن علي رسول الله حتى لا يرى به شيئاً فأنزل الله الآية ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾[1].

وعن الصادق عليه السلام: طلبت فضل الجهاد فوجدته في الكسب للعيال[2].

ومن أفعال الجهاد المرابطة التي هي الإرصاد لحفظ الثغر والمرابطة ملازمة ثغر العدو والثغر ما يلي دار الحرب وموضع المخافة من فروج البلدان.

عن محمد بن مسلم وزرارة عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: الرباط ثلاثة أيام وأكثره أربعون يوماً فإذا جاوز ذلك فهو جهاد[3].

عنه عن محمد بن عيسى عن يونس قال سأل أبا الحسن عليه السلام رجل وأنا حاضر فقال له جعلت فداك إن رجلاً من مواليك بلغه أن رجلاً يعطي سيفاً وفرساً في سبيل الله فأتاه فأخذهما منه ثم لقيه أصحابه فأخبروه أن السبيل مع هؤلاء لا يجوز وأمروه بردهما قال فليفعل قال قد طلب الرجل فلم يجده وقيل له قد شخص الرجل قال: فليرابط ولا يقاتل قلت مثل قزوين وعسقلان والديلم وما أشبه هذه الثغور؟ قال نعم قال فإن جاء العدو إلى الموضع الذي هو فيه مرابط كيف يصنع؟ قال يقاتل عن بيضة الإسلام قال يجاهد؟ قال لا

---

(١) تفسير فرات الكوفي ص٤٩٣.
(٢) مستدرك الوسائل.
(٣) التهذيب ٦/ ١٢٥.

إلّا أن يخاف على ذراري المسلمين قلت أرأيتك لو أن الروم دخلوا على المسلمين لم ينبغ لهم أن يمنعوهم؟ قال يرابط ولا يقاتل فإن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين قاتل فيكون قتاله لنفسه لا للسلطان لأن في دروس الإسلام دروس ذكر محمد ﷺ[1].

من خفايا الحق:

يعد الإسلام نوراً للإنسانية يطرق جدار الرين في النفوس لتستضيء به، لكنها تتفاوت في نسب الاستضاءة بتفاوت نسب الاختراق أو الصدع في جدرانها وذلك تابع للقابلية والاستعداد.

وبسبب هذا كانت هناك نفوس يكفيها اختراقها بمجرد قدحة كما في قوله ﷺ في بداية دعوته المباركة: قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا[2]، فأخذت مأخذاً مؤثراً في النفوس. أو ذاك الذي جاء يسوي الأرض بخطواته ليأخذ مبتغاه من رسول الإنسانية ﷺ. دخل المسجد يسأل عن النبي فأرشدوه إليه وسيماؤه تنبي عن إيمانه لكنها بحاجة إلى إقرار النبي ﷺ. دنا منه مسَلِّماً: السلام عليك يا رسول الله وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ردّ رسول الله ﷺ قال الرجل: علمني ما الدين؟ أشار النبي إلى من في مجلسه أن يعلمه القرآن وبعد مدة سأل عنه النبي قيل له يا رسول الله لما أمرتني أن أعلمه القرآن أخذت رقعة وإذا فيها قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[3].

---

(١) المصدر نفسه السابق.

(٢) عن طارق المحاربي رأيت النبي في سويقة ذي المجاز عليه حلة حمراء وهو يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا وأبو لهب يتبعه ويرميه بالحجارة وقد أدمى كعبه وعرقوبيه وهو يقول يا أيها الناس لا تطيعوه فإنه كذاب. بحار الأنوار ص٢٠٢ ج ١٨ باب ١- المبعث وإظهار الدعوة.

(٣) الزلزلة: ٧، ٨.

قال حسبك وكرّ راجعاً إلى أهله.قال النبي ﷺ: ذهب الرجل فقيه. وهناك نفوس تحتاج إلى صقل ومعالجة كما في (المؤلفة قلوبهم) فإنهم مجموعة من المنافقين لا يصلحهم ولا يسكن شيطانهم إلّا هكذا أسلوب فأمر سبحانه وتعالى نبيّه أن يدفع لهم أموالاً خاصة لهم. ومنها نفوس مقفولة القلوب ولا يكفيها قساوتها حتى وقفت كالحجر الصلد أمام باقي النفوس تمنع عنها تزودها بنور الإسلام.

وهكذا نفوس لا يكسر أقفال قلوبها إلّا صوارم أهل الإيمان، فكان الغزو والجهاد لأجل ذلك أو على أقل تقدير تقليص الظلام والباطل وحصره في زاوية.

وهذه من خفايا حركة الحق في النفوس وجولاته في خفايا الدهور وعلى مرّ العصور يلقح بها النفوس ليصنع منها رجالاً يكونوا دروعاً في وجه الباطل. وفي الوقت نفسه تخبو نفوس فتنبز أشباحاً لتكون عثرات أمام صولات الحق .

وهذا الصراع بين الحق والباطل والذي اختص باسم الجهاد الأكبر، ابتدأ من لحظة السجود لآدم قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾[1].

وتتبع الباطلُ آدمَ حتى أخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض حتى استقوى فاستمكن من نفوس بني آدم فجثم على صدورهم يحرك بهم عواطفهم حتى صارت الفعال كتل سحاب تمنع العقل من الحركة وعلى أثرهم انتفى التعقل فكانت توجهات الإنسان في كل مساراتها تحمل الطابع العاطفي الغريزي.

---

(١) الحجر: الآيتان ٣٠، ٣١.

لكن هذه السطوة للباطل لم تشمل كل بني آدم قال تعالى في سورة الحجر أيضاً: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾[1] لأن المخلصين كانوا يعيشون الحذر من الباطل، لا أنهم حذرون فقط، ففرق بين أن يعيش الفرد في حالة ما وبين أن يتعايش، ففي الأولى نجد تفعل الجوارح وتوظيفها في تلك الحالة لتكون طبعاً فيه. وأما في الحالة الثانية فالتفاعل آني سرعان ما يزول بمجرد خطور فكرة أو حالة أخرى فتكون تطبعاً فيه.

فكان هؤلاء المخلصين صوراً للحق في الواقع العملي للحياة، كما أن غيرهم صور الباطل في ذلك الواقع، حتى وصل الأمر إلى خاتم الأديان ونهاية كمالات البشرية قال تعالى: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾[2] وما ذلك إلا ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾[3] وهذا دليل على أن الباطل مهما علا واستمكن فإن الحق أثبت وأقدر على السمو في سماء الإنسانية وإزاحة ضبابية الباطل من أفق النفس. ولا كمال لإنسانية الإنسان إلّا بمحمد وآله الأطهار عليهم السلام وقطعاً يكون الحق بهم ومنهم وفيهم وإليهم قال الإمام الصادق عليه السلام: (نحن الأدلاء على الله لولانا ما عُبد الله)[4] فأرادوا عليهم السلام إثبات الحق فيهم من خلال إيجاد صور لهم تكون عاكسة لإنسانيتهم وحقيقة الحق فيهم ولكي تستمر مقاصد الدلالة وهي العبادة الخالصة من الشوائب الإنية والدنيوية، ولأجل هذا صنعوا رجالاً كانوا هم الصور فاعملوا على صقل النفوس وتهذيبها أملاً منهم عليهم السلام بإزالة الرين من على صفحة الإنسانية، وفي مقابل ذلك كان استمكان الباطل وارتفاع نسبة الرين في بعض النفوس أبقاهم يتحركون بالحق ما دام الحق زاجراً لهم

---

(١) الحجر الآيتان: ٣٩، ٤٠.

(٢) الأعراف: ١١٨.

(٣) الأنفال: ٨.

(٤) بحار الأنوار ٢٦ ص٢٦٠ باب جوامع مناقبهم وفضائلهم، التوحيد للشيخ الصدوق ص١٥٢.

وبابتعاده عنهم يعودوا لما هم عليه وهذا سمة المنافقين وأصحاب القلوب المريضة قال تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾[1] ولما كان للأشياء صوراً تقابلها سواء أكانت في الذهن أم في المصداق ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾الخارجي، والحياة شيء من تلك الأشياء التي لا بدَّ من تصنيفها وإدراجها تحت ما يناسبها من الصورتين وأداة تصنيفها هي حالة الطبع والتطبع، فإنّ كانت الغلبة لحالة التطبع فعندئذ يتحقق الشطر الأول من الآية المباركة: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾. قال النبي ﷺ: (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)[2] لأنّ (عالم الدنيا متقوم بالخيالات والأوهام والجهالات، والناس بعيدون عن الحقائق والواقعيات وموجبات الإغراء بالشهوات كثيرة ومتعددة)[3] وإن كانت الغلبة لحالة الطبع الذي هو ميزة أهل الشق الثاني من الآية المباركة: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[4] لأنهم أحكموا عقولهم فاستعملوا الحكمة في استعمار الدنيا للآخرة فتخلقوا بأخلاق آل محمد التي هي أخلاق الله سبحانه. حتى عكسوا صورة الحق المتمثل في أهله وهم النبي ﷺ وعترته عليهم السلام وكذلك للحق جولات وصولات في خفايا نفوس غطى فطرتها رين الدنيا وظلمات الدهر.

وكان لفعل الحق نسب في النفوس وكل يأخذ بحسب ما يسعه إناؤه وذلك الحق لا يمكن أن يتصور إلّا في أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله ﷺ كما قال ﷺ: (علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار)[5].

وهذا الحق فيه عليه السلام لا يعتريه الخمول أبداً فهو حركة مستديمة ليس للهوادة

---

(١) الحج: ٥٣.
(٢) خصائص الأئمة ص١١٢.
(٣) مبحث عرفاني من مواهب الرحمن ج٦ ص ٣٦٢.
(٤) (العنكبوت٦٤).
(٥) بحار الأنوار ٢٨ ص٣٦٨.

في قاموسها أثر ولا معنى ولأجل هذا اخذ يجول في الرجال حتى صنع لنا مالكاً، جندباً، عماراً، أبي ذر، حجراً، رشيداً، حذيفة، سليماً، حكيماً، الأصبغ، الحارث، صعصعة وأخويه زيداً وسيحاناً، حبيباً، ميثماً، وليتنا نقتبس من هؤلاء رحمهم الله وأمثالهم جذوة تصطلي بها نفوسنا حتى نعجن الحق في الجوارح فنصير صورة منهم، فندفع الباطل بعد إزالة آثاره وترسباته في النفس.

ثم جال الحق في نفوس مظلمة ليزيل عنها ظلمتها فلم يصمدوا أمام نوره عليه السلام حتى فرت نفوسهم وأقرت ضللهم خوف الفضيحة ومن تلك النفوس التي اصطدم بجدار رينها نور هدي الإمام عليه السلام كأبي موسى الأشعري، عبيد الله بن العباس، الأشعث بن قيس، المنذر بن الجارود، مصقلة بن هبيرة، شبث بن ربعي، شريح بن هانئ، وما اخترنا منهم إلّا أنحاتاً من ذوي الظلمات والباطل.

ولو أمعنا النظر وأجلنا الفكر في هاتين الصورتين لتعرفنا عملياً على عظيم دور الإمامة والولاية التي أرادها الله سبحانه أن تكون خليفته في أرضه على خلقه عموماً والإنسان خصوصاً قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾[1].

ولكن تصاعد الغبار من كتل الظلم المتراكم في أفق الدنيا حتى صار ريناً على قلبها حال دون ولوج الحق في صدرها فكان ما يخرج من زفير أثراً لذلك الشهيق، وإن تنفست ريح الصبا لوثته أباطيل النفوس.

ثم إن الغازي أو المجاهد إما أن يحصل على بغيته وعندها النصر والغنيمة وإيقاع القتل والدمار في العدو أو يُقتل أو يُؤسر ومنظور الإمام

---

(١) البقرة: ٣٠، ٣١، ٣٢.

روحي فداه منظور الدين الذي يريد أن يجاهد الإنسان نفسه وينتفض عليها قبل الانتفاض على الغير فيقتل ذنوبه قبل أن تقتله ويقطع خيوط الشر فيها قبل أن تلتف حوله فتأسره. فثمرة جهاد النفس وغزو الدوافع الإنية في النفس هو نصر وغلبة على قوى الشر وثمرة المجاهدة أيضاً هو عدم الوقوع في أسر الشهوات والهوى، وأما إن غلبت عليه شقوته وغرته الدنيا فأسر، فقد جعله الإمام روحي له الفداء تحت رعايته ونظره الشريف بالخلاص بأن يقدح الله عزَّ وجلَّ فيه التوفيق بمجابهة دوافع الشر والشيطان فتحصل له الغلبة التي هي الراحة من أسر الذنوب.

عنه عليه السلام: يا علي من استولى عليه الضجر رحلت عنه الراحة[1]. عن محمد بن سنان عن المفضل قال كان الصادق عليه السلام يدعو بهذا الدعاء إلهي كيف أدعوك وقد عصيتك وكيف لا أدعوك وقد عرفت حبك في قلبي وإن كنت عاصياً مددت إليك يداً بالذنوب مملوءة وعيناي بالرجاء ممدودة مولاي أنت عظيم العظماء وأنا أسير الأسراء أنا أسير بذنبي مرتهن بجرمي إلهي لئن طالبتني بذنبي لأطالبنك بكرمك ولئن طالبتني بجريرتي لأطالبنك بعفوك ولئن أمرت بي إلى النار لأخبرن أهلها أني كنت أقول لا إله إلّا الله محمد رسول الله اللَّهمَّ إن الطاعة تسرك والمعصية لا تضرك فهب لي ما يسرك واغفر لي ما لا يضرك يا أرحم الراحمين[2].

عن عليّ عليه السلام: الراحة وضدها التعب[3].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حرم الحريص خصلتين ولزمته خصلتان حرم القناعة فافتقد الراحة وحرم الرضا فافتقد اليقين[4].

---

(١) روضة الواعظين ٢/ ٣٢٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المحاسن ١/ ١٩٦.
(٤) الخصال ١/ ٦٩.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في حديث: وطلبت الراحةَ فما وجدت إلّا بترك مخالطة الناس لقوام عيش الدنيا اتركوا الدنيا ومخالطة الناس تستريحوا في الدارين وتأمنوا من العذاب[1].

عن محمد بن علي عليه السلام قال: ما من عمل أفضل يوم النحر من دم مسفوك أو مشي في بر الوالدين أو ذي رحم قاطع يأخذ عليه بالفضل ويبدؤه بالسلام أو رجل أطعم من صالح نسكه ودعا إلى بقيتها جيرانه من اليتامى وأهل المسكنة والمملوك وتعاهد الأسراء[2].

---

(١) المستدرك ١١/ ٣٨٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه٢/ ٢١٣.

وَعَلَى الْأُمَرَاءِ بِالْعَدْلِ وَالشَّفَقَةِ
وَعَلَى الرَّعِيَّةِ بِالْإِنْصَافِ وَحُسْنِ السِّيرَةِ

الإنسان من جملة المخلوقات المجبولة على نظام الرئيس والمرؤوس، الحاكم والمحكوم، الأمير والرعية، ولها أسماء وعناوين بحسب الفترة والحال كما أن بعضها لا يخرج عن الاختيار والانتخاب لأنه من خلال هذه المسميات تسنم الإنسان الزعامة ليكون صورة جامعة مانعة ومعبرة عن المرؤوسين من جهة ويكون عاملاً على توفير حاجاتهم ومتطلبات حياتهم العامة والخاصة ولهذا نجد أن زعيم القبيلة يحمل هموم أفراد قبيلته ويكون صورة معبرة عنهم وتجتمع فيه كل ميزات وسجايا القبيلة وما سادها إلّا لخصال فيه فاقت خصالهم. ولكن بعد أن اتسعت السلطة وشملت مناطق وأفراد بسبب دخولهم تحت سلطان المملكة أو الحكومة اختلفت ميزات الأمير أو الرئيس فصارت لا علاقة لها بالمرؤوس لأن تلك السلطة لا تعرف من المرؤوس إلا رقماً داخلاً في ضمن عدد أفرادها. ومن هنا ابتدأ الجور من السلطان لأنه ترأسهم لا لأجل اجتماع صور المجتمع في شخصه فيمثلها وإنما تجميع حاجاته وأغراضه الدنيوية وتحصيلها منهم لا لهم، فعن أنس

قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: من ولي عشرة فلم يعدل فيهم جاء يوم القيامة ويداه ورجلاه ورأسه في ثقب فأس[1].

ولهذا تغيرت الصور فكان أفراد القبيلة صورة مصغرة عن زعيمها كما أن فيه تجتمع صورهم، أما في الحكومات فإنّ الأمر منحصر في أفراد الحكومة ومسؤوليها. وأوجه الحسن أو القبح تنعكس على المجتمع، وما أشدّ غفلة الحكام لشدة الازدواجية التي يعيشونها نتيجة الوهم في الغرض من الخدمة العامة وخلاص الإنسان من سطوة وتسلط أخيه الإنسان وتفعيلة الإنسانية في الحاكم والحكومة.

عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عزَّ وجلَّ أوحى إلى نبي من الأنبياء في مملكة جبار من الجبابرة أن ائت هذا الجبار فقل له إني لم أستعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال وإنما استعملتك لتكف عني أصوات المظلومين فإني لن أدع ظلامتهم وإن كانوا كفاراً[2].

ولكن ما أن يتمكن الحاكم حتى تكون التفعيلة للأنا وهذا يؤدي إلى إضعاف دور الدين فصاروا لا يعون الإشارات الإلهية فضلاً عن الآثار الوضعية.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من ولي شيئاً من أمور المسلمين فضيعهم ضيعه الله عزَّ وجلَّ[3].

عن الرضا عليه السلام قال: إذا كذب الولاة حبس المطر وإذا جار السلطان هانت الدولة وإذا حبست الزكاة ماتت المواشي[4].

ولو تفحصت الدنيا فلن تجد حاكماً بعد أمير المؤمنين عليه السلام إلّا خبّا

---

(١) مشكاة الانوار ص٣١٦.
(٢) بحار الأنوار.
(٣) عوالي اللآلي ١/ ٣٦٦.
(٤) أمالي المفيد ص٣١٠.

وشيطان طباع، فكان القرآن الناطق عليه السلام غير غافلٍ عن هذا فقد أقام الحجة على كل من يتولى منصباً ويتصدى لمسؤولية حتى قيام الحجة بدليلين دامغين لا مهرب من قنصهما، كتاب تقريعه لابن حنيف حينما دعي إلى وليمة الأثرياء وعهده لمالك الاشتر وإن كنا لم نسمع عنهما في هذا الزمان لما فيهما من كشف لزيف المدعى وفضح للقراصنة على رؤوس الأشهاد، لكنهما يبقيان حجة حتى قيام الحجة روحي له الفداء.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن شر البقاع دور الأمراء الذين لا يقضون بالحق[1].

ولهذا أمر أئمتنا عليهم السلام بعدم التصدي إلى ذلك، وإن كان ولا بدّ فيجب السير بالناس على سيرتهم وعدم الانحراف عن جادتهم وإن كان الناس لا يناسبهم أحكام آل محمد عليهم السلام نتيجة ظلم الظلمة وما طبعوا عليه المجتمعات من حب الدنيا والركون إليها وإطاعة النفس الأمارة مما أدى إلى الغفلة عن الآثار الدنيوية القاطعة عن طريق الآخرة.

عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت: الأمراء والقراء[2]. وفيما أوحيّ إلى داود: يا داود إن الكبائر والكبر حرد لا يتغير أبداً فإذا رأيت ظالماً قد رفعته الدنيا فلا تغبطه فإنه لا بدَّ له من أحد الأمرين إما أن أسلط عليه ظالماً أظلم منه فينتقم منه وإما ألزمه ردّ التبعات يوم القيامة[3].

والحاكم العادل لا يكون كذلك إلّا إذا انفعلت جوارحه بأحكام آل محمد عليهم السلام ولكنه مع الأسف يكتفي بالاسم والعنوان التي تعد أول المزالق نحو الظلم والجور.

---

(١) الفقيه٣/ ٦.
(٢) أمالي الصدوق ص٣٦٦.
(٣) البحار١٤/ ٤٥.

أما العدل فهو شيمة الأشراف وعلامة النزاهة وطهارة الأعراف. والشفقة تاج العدل. فلو لم يكن العادل رؤوفاً رحيماً لم يهتدِ إلى دقيقة من دقائق العدل. وبالإضافة إلى ذلك يقتضي على العادل أن يزيل عن نفسه منثور الضغائن والأحقاد ودواعي الأنا وحب الرياسة والاستعلاء وإلّا أوقع نفسه ومن تأمر عليهم بالهلاك مع تحمل تبعاتهم.

ثم إن العدل لا يصدر إلّا من عاقل ولا يكون الإنسان كامل العقل إلّا بالتقوى قال أمير المؤمنين عليه السلام: (من اتقى الله عقل)[1]. ثمّ إن لكل إنسان ثوباً لا بدَّ له من ارتدائه ووجه لا بدَّ له من البروز والظهور به. ثوب ووجه يدلان على أصله وسمته ويشيران إلى حسب الفضيلة ورفعة الشرف لديه، فإنّ تخلى عنهما أُرغم على التزام ضديهما، فثوب السلطان العدل ووجهه الشفقة فإن تخلى عنهما وجب ارتداء ثوب الجور وإبراز وجه الظلم والطغيان. فإن الرعية تكشف حقيقة السلطان وتنبئ عن واقع سريرته فيجب أن يلبس ما يناسب شأنه حتى تتحرك الرعية وتعمل بإزائه. أما إن صار جباراً عتيّاً، فلا يكون عندئذ إلّا الظلم والطغيان والانحدار في ظلمات من بعد ظلمات حتى يتكون منها ركاماً عالياً يمنع من الرجوع والارتقاء أو عادلاً منصفاً فيسود الرعية السكينة والوقار فلا تتحرك إلّا في إطار الأمن ولا تتعامل إلّا بالشفقة والرأفة ولا تجني إلّا المودة والرحمة. لأنّ الرعية تعني عامة الناس وهو راعٍ لهم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (العدل فضيلة السلطان)[2].

وهناك من الروايات ما تنبئ أن صورة المجتمع لا يرسمها السلطان وحده بل لا دخل له فيها بتاتاً وإنما الذي يرسمها هم الرعية فحسب. وهذا

---

(١) غرر الحكم.
(٢) غرر الحكم.

واضح من اتصافهم بالإنصاف وحسن السيرة، والإنصاف لغة نَصَفَ إنصافاً وهو العدل والمساواة وهو ضد الحمية والانحياز المؤدي إلى تفضيل جهة على جهة وهذا بحد ذاته يكون مانعاً عن المناصفة والعدل وبالتالي يكون مانعاً عن حسن السيرة بين الأفراد أنفسهم والاعتداء على حقوق الآخرين بدلاً من انتشار الشعور بالغيرية. خرج أمير المؤمنين عليه السلام على أصحابه وهم يتذاكرون المروءة فقال: أين أنتم من كتاب الله؟

قالوا: يا أمير المؤمنين في أي موضع؟

فقال: في قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ فالعدل الإنصاف والإحسان التفضل[1].

والإنصاف وحسن السيرة صفتان أساسيتان في شخصية وهوية السلطان لأنّ (صلاح السلطان من صلاح الرعية) ولما كان السلطان من هذه الرعية قبل أن يكون سلطانا فقد وجب عليه تحقيق المعادلة والمناصفة من جهته، وهو أن يكون منصفاً في التعامل مع الرعية. قال أمير المؤمنين عليه السلام: مع الإنصاف تدوم الأخوة[2].

وبما أن الرئاسة شرط في صلاح أمور البشر فحريٌّ بهم أن يَرتَدُوا أصل ثيابهم ويظهروا بحقيقة وجههم. عن أمير المؤمنين عليه السلام: قلوب الرعية خزائن راعيها فما أودعها من عدل أو جور وجده[3]. عن أبي جعفر عليه السلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بصفين فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: أما بعد فقد جعل الله تعالى لي عليكم حقاً بولاية أمركم ومنزلتي التي أنزلني الله عز ذكره بها منكم ولكم علي من الحق مثل الذي لي

---

(١) تفسير العياشي ٢/ ٢٦٧.
(٢) غرر الحكم ص٣٩٥.
(٣) غرر الحكم ص ٣٤٦.

عليكم والحق أجمل الأشياء في التواصف وأوسعها في التناصف لا يجري لأحد إلّا جرى عليه لا يجري عليه إلّا جرى له ولو كان لأحد أن يجري ذلك له ولا يجري عليه لكان ذلك لله عزَّ وجلَّ خالصاً دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله في كل ما جرت عليه ضروب قضائه ولكن جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعل كفارتهم عليه بحسن الثواب تفضلاً منه وتطولاً بكرمه وتوسعاً بما هو من المزيد له أهلاً ثم جعل من حقوقه حقوقاً فرضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ في وجوهها ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها إلّا ببعض فأعظم مما افترض الله تبارك وتعالى من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله عزَّ وجلَّ لكلٍّ على كل فجعلها نظام ألفتهم وعزّاً لدينهم وقواماً لسنن الحق فيهم فليست تصلح الرعية إلّا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلّا باستقامة الرعية فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وأدى إليها الوالي كذلك عزّ الحق بينهم فقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على أذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطاب به العيش وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء وإذا غلبت الرعية واليهم وعلا الوالي الرعية اختلفت هنالك الكلمة وظهرت مطامع الجور وكثر الإدغال في الدين وتركت معالم السنن فعمل بالهوى وعطلت الآثار وكثرت علل النفوس ولايستوحش لجسيم حد عطل ولا لعظيم باطل أثل فهنالك تذل الأبرار وتعزّ الأشرار وتخرب البلاد وتعظم تبعات الله عزَّ وجلَّ عند العباد فهلم أيها الناس إلى التعاون على طاعة الله عزَّ وجلَّ والقيام بعدله والوفاء بعهده والإنصاف له في جميع حقه فإنه ليس العباد إلى شيء أحوج منهم إلى التناصح في ذلك وحسن التعاون عليه وليس أحد وإن اشتد على رضا الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما أعطى الله من الحق أهله ولكن من واجب حقوق الله عزَّ وجلَّ على العباد النصيحة له بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحق فيهم ثم ليس امرؤ وإن

عظمت في الحق منزلته وجسمت في الحق فضيلته بمستغن عن أن يعان على ما حمله الله عزَّ وجلَّ من حقه ولا لامرئ مع ذلك خسأت به الأمور واقتحمته العيون بدون ما أن يعين على ذلك ويعان عليه وأهل الفضيلة في الحال وأهل النعم العظام أكثر في ذلك حاجة وكل في الحاجة إلى الله عزَّ وجلَّ شرع سواء[1].

أوردنا هذه الخطبة الشريفة بكاملها لما فيها من المعاني التي لا يمكن التغاضي عنها في هذا الباب.

وعنه عليه السلام: ثلاثة لا خوف عليهم يوم القيامة المخلص بالإيمان والمجازي بالإحسان والسلطان العادل. وثلاثة أول من يدخل النار أمير متسلط بالجور وذو ثروة من المال لا يخرج الزكاة وفقير فاجر[2].

ورويّ أنه كان ملك في الهند قد ذهب سمعه فاشتد حزنه وجزعه فدخل عليه أهل مملكته لتعزيته في سمعه فقال ما جزعي وحزني على ذهاب هذه الجارحة ولكن لصوت المظلوم كيف أسمعه إذا استغاث بي ولكن إذا ذهب سمعي فما ذهب بصري فأمرت لكل ذي ظلامة يلبس الأحمر حتى إذا رأيته عرفته وقربته وأنصفته وانتصفت له[3]. وقال عليه السلام: الخرق مناوأة الأمراء ومعاداة من يقدرعلى الضراء[4].

فان السلطان يتعامل معهم بحسب ما لبسوا وأظهروا. وعنه عليه السلام: زكاة السلطان إغاثة الملهوف[5].

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا قيل يا

---

(١) الكافي ٨/ ٣٥٤.
(٢) غرر الحكم.
(٣) عوالي اللآلي.
(٤) المستدرك.
(٥) غرر الحكم ص٣٤١.

رسول الله وما دخولهم في الدنيا؟ قال: اتباع السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم[1]. وأمثال هؤلاء كثير في كل عصر وزمان ولكن العجب كل العجب من زماننا كأنه خزانة الأزمان لأنه جمع كل أشكال وصور الأزمان الغابرة فما تجد هيكلاً يتحرك إلّا ويذكرك بفلان، وفلان، وفلان وهذا يوحي أن الزمن واحد والتغاير بالأشكال.

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إن أحدكم ليكثر به الخوف من السلطان وما ذلك إلّا بالذنوب فتوقوها ما استطعتم ولا تمادوا فيها[2].

عن علي بن يقطين قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: إن لله عزَّ وجلَّ مع السلطان أولياء يدفع بهم عن أوليائه[3].

وخير معنى على هذا هذه الرواية، وعسى أن نقتبس منها أثراً: روي عن الحسن بن علي بن يقطين عن أبيه عن جده قال: وليَ علينا بالأهواز رجل من كتاب يحيى بن خالد وكان عليَّ بقايا من خراج كان فيها زوال نعمتي وخروجي من ملكي فقيل لي إنه ينتحل هذا الأمر فخشيت أن ألقاه مخافة أن لا يكون ما بلغني حقاً فيكون خروجي من ملكي وزوال نعمتي فهربت منه إلى الله تعالى وأتيت الصادق عليه السلام مستجيراً فكتب إليه رقعة صغيرة فيها: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ إن لله في ظل عرشه ظلاً لا يسكنه إلّا من نفّس عن أخيه كربة وأعانه بنفسه أو صنع إليه معروفاً ولو بشق تمرة وهذا أخوك المسلم ثم ختمها ودفعها إلي وأمرني أن أوصلها إليه فلما رجعت إلى بلادي صرت إلى منزله فاستأذنت عليه وقلت رسول الصادق عليه السلام بالباب فإذا أنا به وقد خرج إليّ حافياً فلما بصر بي سلم عليَّ وقبَّل ما بين عيني.

ثم قال لي: يا سيدي أنت رسول مولاي؟

---

(١) أعلام الدين ص٩٠.

(٢) الكافي ٢/.

(٣) الوسائل ١٥/ ٣٠٤.

فقلت: نعم.

فقال: هذا عتقي من النار إن كنت صادقاً فأخذ بيدي وأدخلني منزله وأجلسني في مجلسه وقعد بين يدي ثم قال: يا سيدي كيف خلفت مولاي؟

فقلت: بخير.

فقال: الله الله.

قلت: الله حتى أعادها ثم ناولته الرقعة فقرأها وقبَّلها ووضعها على عينيه.

ثم قال: يا أخي مُر بأمرك فقلت في جريدتك عليَّ كذا وكذا ألف درهم وفيه عطبي وهلاكي.

فدعا بالجريدة فمحا عني كل ما كان فيها وأعطاني براءة منها ثم دعا بصناديق ماله فناصفني عليها ثم دعا بدوابه فجعل يأخذ دابة ويعطيني دابة ثم دعا بغلمانه فجعل يعطيني غلاماً ويأخذ غلاماً ثم دعا بكسوته فجعل يأخذ ثوباً ويعطيني ثوباً حتى شاطرني جميع ملكه ويقول هل سررتك؟ وأقول إي والله وزدت على السرور فلما كان في الموسم قلت والله لا كان جزاء هذا الفرح بشيء أحب إلى الله وإلى رسوله من الخروج إلى الحج والدعاء له والمصير إلى مولاي وسيدي الصادق عليه السلام وشكره عنده وأسأله الدعاء له فخرجت إلى مكة وجعلت طريقي إلى مولاي عليه السلام فلما دخلت عليه رأيته والسرور في وجهه وقال: يا فلان ما كان من خبرك من الرجل فجعلت أورد عليه خبري وجعل يتهلل وجهه ويسر السرور.

فقلت: يا سيدي هل سررت بما كان منه إليَّ؟

فقال: إي والله سرني إي والله لقد سر آبائي إي والله لقد سر رسول الله صلى الله عليه وآله إي والله لقد سر الله في عرشه[1].

---

(١) أعلام الدين، للديلمي.

فأين من هذه أولئك الذين يدعون خدمة الناس فيفعلون معهم فعل فرعون في بني إسرائيل !!!

عن جويرية بن مسهر قال اشتددت خلف أمير المؤمنين عليه السلام فقال لي: يا جويرية إنه لم يهلك هؤلاء الحمقى إلّا بخفق النعال خلفهم ما جاء بك؟ قلت جئت أسألك عن ثلاثة عن الشرف وعن المروءة وعن العقل قال أما الشرف فمن شرفه السلطان شرف وأما المروءة فإصلاح المعيشة وأما العقل فمن اتقى الله عقل[1].

وجاء في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام: وحق السلطان أن تعلم أنك جعلت له فتنة وأنه مبتلى فيك بما جعله الله عزَّ وجلَّ له عليك من السلطان وأن عليك أن لا تتعرض لسخطه فتلقي بيدك إلى التهلكة وتكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء .

عن أبي ولاد قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما ترى في الرجل يلي أعمال السلطان ليس له مكسب إلّا من أعمالهم وأنا أمر به وأنزل عليه فيضيفني ويحسن إلي وربما أمر لي بالدراهم والكسوة وقد ضاق صدري من ذلك فقال لي خذ وكل منه فلك المهنأ وعليه الوزر[2].

قال الصادق عليه السلام: كفارة عمل السلطان قضاء حوائج الإخوان[3] .

عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال: يا علي ثلاثة يقسين القلب: استماع اللهو وطلب الصيد وإتيان باب السلطان[4].

---

(١) الكافي ٨/ ٢٤١.
(٢) الفقيه٣/ ١٧٥.
(٣) المصدر السابق.
(٤) مستطرفات السرائر ص٦٢٠.

عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: إن الأنبياء وأولاد الأنبياء وأتباع الأنبياء خصوا بثلاثة: السقم في الأبدان وخوف السلطان والفقر[1].

عن سليمان الجعفري قال قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: ما تقول في أعمال السلطان؟

فقال: يا سليمان الدخول في أعمالهم والعون لهم والسعي في حوائجهم عديل الكفر والنظر إليهم على العمد من الكبائر الذي يستحق به النار[2].

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: تسعة أشياء من تسعة أنفس هن منهم أقبح من غيرهم: ضيق الذرع من الملوك والبخل من الأغنياء وسرعة الغضب من العلماء والصبا من الكهول والقطيعة من الرؤوس والكذب من القضاة والزمانة من الأطباء والبذاء من النساء والبطش من ذوي السلطان[3]. ومن جملة ما كتبه عليه السلام إلى أمراء جنده: لا تفرطوا في صلاح دينكم من دنياكم وأن تنفذوا لما هو لله طاعة ولمعيشتكم صلاح[4].

عن الهروي عن الرضا عليه السلام قال: إذا ولي الظالم الظالم فقد أنصف الحق وإذا ولي العادل العادل فقد اعتدل الحق وإذا ولي العادل الظالم فقد استراح الحق وإذا ولي العبد الحر فقد استرق الحق[5].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عزَّ وجلَّ جعل لمن جعل له سلطاناً مدة من ليالٍ وأيام وسنين وشهور فإن عدلوا في الناس أمر الله عزَّ وجلَّ

---

(١) المستدرك٢/ ٤٣٧.
(٢) تفسير العياشي١/ ٢٣٨ سورة النساء.
(٣) نوادر الراوندي ص٥٥.
(٤) بحار الأنوار باب أحوال الملوك والأمراء.
(٥) أمالي الطوسي ص٤٥٢.

صاحب الفلك أن يبطئ بإدارته فطالت أيامهم ولياليهم وسنوهم وشهورهم وإن هم جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر الله عزَّ وجلَّ صاحب الفلك فأسرع إدارته وأسرع فناء لياليهم وأيامهم وسنيهم وشهورهم وقد وفى تبارك وتعالى لهم بعدد الليالي والأيام والشهور[١].

عن الصادق عليه السلام قال: تبع حكيم حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فمنها أنه سأله ما أوسع من الأرض؟ قال العدل أوسع من الأرض[٢].

عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن ملكاً من بني إسرائيل قال: لأبنين مدينة لا يعيبها أحد فلما فرغ من بنائها اجتمع رأيهم على أنهم لم يروا مثلها قط. فقال له رجل: لو آمنتني على نفسي أخبرتك بعيبها فقال: لك الأمان فقال: لها عيبان أحدهما أنك تهلك عنها والثاني أنها تخرب من بعدك فقال الملك وأيعيب أعيب من هذا ؟ ثم قال: فما نصنع؟ قال: تبني ما يبقى ولا يفنى وتكون شاباً لا تهرم أبداً فقال الملكلابنته ذلك فقالت: ما صدقك أحد غيره من أهل مملكتك[٣].

وفي رواية أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال الله عزَّ وجلَّ: أي قوم عصوني جعلت الملوك عليهم نقمة ألا لا تولعوا بسب الملوك توبوا إلى الله عزَّ وجلَّ يعطف بقلوبهم عليكم[٤].

سئل أمير المؤمنين عليه السلام: أيما أفضل العدل أو الجود؟ قال: العدل يضع الأمور مواضعها والجود يخرجها عن جهتها والعدل سائس عام والجود عارض خاص فالعدل أشرفهما وأفضلهما[٥].

---

(١) علل الشرائع.
(٢) الخصال.
(٣) قصص الأنبياء للسيد الجزائري.
(٤) المحاسن.
(٥) روضة الواعظين.

وقال رسول الله ﷺ : إياكم والظلم فإنه يخرب قلوبكم[1].

وقال عليه السلام: الولايات مضامير الرجال[2].

وقال عليه السلام في وصيته للحسن عليه السلام : إذا تغير السلطان تغير الزمان[3].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: أسد حطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتن تدوم[4]. قال رسول الله ﷺ : لا تزال هذه الأمة بخير تحت يد الله وفي كنفه ما لم يمالئ قراؤها أمراءها ولم يزك صلحاؤها فجارها ولم يمالئ أخيارها أشرارها فإذا فعلوا ذلك رفع الله تعالى يده عنهم وسلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب وضربهم بالفاقة والفقر وملأ قلوبهم رعباً[5].

تتميم

بعد أن استلبت الخلافة من أمير المؤمنين كانت الفترة بين سلبها وتسنمها ما يقرب الخمس والعشرين سنة ومن المعروف عند الكل وتشهد به كتب التاريخ أنهم أخطروه إن لم يتسنمها كما أخطروه من قبل في تسنمها فعن ابن عباس، قال ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال واللّه لقد تقمّصها أخو تيم وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء، يشيب فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويكدح فيها

---

(١) الوسائل ج٩ص٤٢.
(٢) شرح النهج لابن ابي الحديد ج٢٠ص٨٨.
(٣) عوالي اللآلي ص٢٨٧.
(٤) اعلام الدين ص١٨٥.
(٥) البحار ج٧٢ص٣٨١.

مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أنّ الصبر على هاتى أحجى، فصبرت وفي القلب قذاً، وفي الحلق شجاً، أرى تراثي نهباً، حتّى إذا مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده، عقدها لأخي عدي بعده، فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها الآخر بعد وفاته، فصيّرها واللّه في حوزة خشناء، يخشن مسّها، ويغلظ كلمها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن عنف بها حرن وإن أسلس بها غسق، فمني الناس لعمر اللّه بخبط وشماس، وتلوّن واعتراض، وبلوى وهو مع هن وهني، فصبرت على طول المدّة وشدّة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي منهم، فيا للّه وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر فمال رجل بضبعه، وأصغى آخر لصهره، وقام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نشيله ومعتلفه، وقاموا معه بني أبيه يخضمون مال اللّه خضم الإبل نبت الربيع، حتّى أجهز عليه عمله، وكسبت به مطيّته، فما راعني إلّا والناس إليّ كعرف الضبع قد انثالوا عليّ من كلّ جانب، حتّى لقد وطئ الحسنان، وشقّ عطفاي، حتّى إذا نهضت بالأمر نكثت طائفة، وفسقت أخرى، ومرق آخرون، كأنّهم لم يسمعوا اللّه تبارك وتعالى يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾، بلى واللّه لقد سمعوها ووعوها لكن احلولت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها، والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ اللّه على العلماء أن لا يقرّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه عندي أزهد من خبقة عنز.. وناوله رجل من أهل السواد كتاباً فقطع كلامه وتناول الكتاب، فقلت يا أمير المؤمنين لو اطردت مقالتك إلى حيث بلغت فقال هيهات هيهات يا

ابن عباس، تلك شقشقة هدرت ثم قرّت.. فما أسفت على كلام قط كأسفي على كلام أمير المؤمنين عليه السلام إذ لم يبلغ حيث أراد[1].

وان إرغامهم إياه على تسنم الخلافة لا لأنهم لم يجدوا من هو أجدر بها منه وقبل هذا الحين كان هناك من هو الأجدر هذا الرأي يعد قدحاً من التاريخ في الإمامة وخدشاً في شخصيته الإلهية صلوات الله عليه وإنما ذلك في الواقع هو صوت الحق الكامن في زوايا باطنهم اقضهم فلم يستطيعوا إسكاته وطفح سيل الباطل على ظاهرهم فأرادوا ستره بدل خلعه ولكنهم لما رأوا صرخة الحق جادة في نزع باطلهم وقلعه من نفوسهم اندفعوا لأن ينتفضوا خشية أن يترك أثره فيهم فكانت الجمل ثم صفين ثم النهروان ثم ثم حتى أن الحال لم ينته عند خؤونة الأمة فقط بل دب دبيب الباطل إلى غيرهم سعياً منهم في إيقاف صولات الحق ضنّاً من عتههم أن بصدهم ينهزم ولكن هيهات هيهات فإنه بقي مستمراً في تهشيم رين النفوس بمطرقة ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾[2].

ومما يذكر من معاول التهشيم لتلك النفوس: (انه عليه السلام صعد المنبر مخاطباً أهل الكوفة ومستشهداً بالمهاجرين والأنصار الحاضرين تحت منبره ليبين مكانته الإلهية وانه ليس من دعاة السلطة والتسلط وليس هو سلسلة لما سميّ بالخلافة والخلفاء وإنما خلافته واقعية والتسمية مولوية مخصوصة وتسمية الغير بها يعد سلباً وغصباً فضلاً عن تسنمها وهذا بحث عقائدي ولوجه يخرجنا عن المقصود.فأراد أن يبين أمراً ويكشف سراً فقال مخاطباً المهاجرين والأنصار تعلمون أن لي مع رسول الله ساعات خلوة ومناجاة قالوا بلى نشهد قال سأحدثكم بحديث لم أحدث به أحد قبل الآن، في إحدى ساعات خلواتي برسول الله انفلت رسول الله ليصلي فقلت له يا رسول

---

(١) بحار الأنوار ١٥ ٤٩٧ ٢٩- باب شكاية أمير المؤمنين.

(٢) الإسراء ٨١.

الله ادعُ لي قال افعل فلما انتهى من صلاته رفع يديه بالدعاء دنوت منه لأسمع ما يقول سمعته يقول اللَّهمَّ بحق علي اغفر لعلي قلت له ما هذا يا رسول الله؟ قال أوهناك أحد يتقرب به إلى الله غيرك)[1].

أو عندما قال عليه السلام (سلوني قبل أن تفقدوني والله لأني أعلم بطرق السماوات من الأرض قام إليه شخص فقال يا أمير المؤمنين انك تدعي ذلك قال نعم قال اخبرني أين جبرائيل الآن؟ تفحص الإمام يمنة ويسرة ثم نزل من منبره واخذ يتفحص السماء فقال بعد برهة إن لم يكن عند العرش فهو أنت عندها غاب الشخص عن الأنظار).

أو يدخل ثعبان من أحد أبواب المسجد التي لم يكن لها اسم تعرف به من قبل حتى عرفت بباب الثعبان فعن جابر الجعفي عن جعفر بن محمد عليه السلام قال بينا علي بن أبي طالب عليه السلام على منبر الكوفة يخطب إذ أقبل ثعبان من آخر المسجد فوثب إليه الناس بنعالهم فقال لهم علي عليه السلام: مهلاً يرحمكم الله فإنها مأمورة فكف الناس عنها فأقبل الثعبان إلى علي عليه السلام حتى وضع فاه على أذن علي عليه السلام فقال له ما شاء الله أن يقول ثم إن الثعبان؟ نزل وتبعه علي عليه السلام فقال الناس يا أمير المؤمنين ألا تخبرنا بمقالة هذا الثعبان فقال نعم إنه رسول الجن قال لي أنا وصي الجن ورسولهم إليك يقول الجن لو أن الإنس أحبوك كحبنا إياك وأطاعوك كطاعتنا لما عذب الله أحداً من الإنس بالنار[2].

كل هذا لم يقدح فيهم شيئاً ولم يزيل الرين أو ينصدع من على صفحة القلوب وهذا واضح من صيحتهم واسنة عمراه بعد أن وجدهم في المسجد يصلون التراويح في شهر رمضان فقال لا جماعة في نافلة.

---

(١) هذه الرواية مع التي تليها نقلتها بالمضمون لفقد المصدر وقد بذلت جهدي في البحث عنها ولكن غابت عن ناظري في المصدر الموثقة الوجود فيها.

(٢) بشارة المصطفى وبحار الأنوار ج ٣٩ ص ٢٤٩.

ولم يمض من سبات بين غسل النبي ﷺ لرين الدنيا وغسله عليه السلام لرين قلوبهم سوى خمس وعشرين سنة لكنها تشبعت برين وباطل الحكام، هذه صورة.

صورة ثانية:

عايش الإمام الصادق عصرين عصر الأمويين حتى اندك وهم تسلطهم وصار هشيماً وعصر العباسيين ووضعهم ركائز تسلطٍ يجمع العصرين فكان باستطاعة الإمامة وهي مالكة للإرادة التكوينية أن تبني عرش العلويين بدلاً من السماح للعباسيين والكل كان ينظر إلى الإمام، والكل كان يأمل منه توجيهاً ناهيك عن هذا الذي جاءه يحمل سجل المجاهدين وتوقيعاتهم ووضعها تحت إرادة الإمام ولم يدرِ أن هناك درساً عمليّاً في الجهاد ينتظره ليتعرف عن قرب على الشخصية الجهادية التي يبتغيها الإمام ويحتاجها في بناء الدولة العلوية لأنّ النفوس قد تطبعت بطباع الظلمة والطغاة فأنتجت سلوك الباطل وحب الدنيا فليس لها قابلية تفعل الأحكام الإلهية في نفوسها فضلاً عن المجتمع ولهذا اختار الإمام صنع النفوس ليهشم بها ركام رين الدنيا قبل ركام رين القلوب، فقد ورد عن عمر بن أبان قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: يا معشر الشيعة إنكم قد نسبتم إلينا كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً ما يمنعكم أن تكونوا مثل أصحاب علي رضوان الله عليه في الناس إن كان الرجل منهم ليكون في القبيلة فيكون إمامهم ومؤذنهم وصاحب أماناتهم وودائعهم عودوا مرضاهم واشهدوا جنائزهم وصلوا في مساجدهم ولا يسبقوكم إلى خير فأنتم والله أحق منهم به ثم التفت نحوي وكنت أحدث القوم سنّاً فقال وأنتم يا معشر الأحداث إياكم والوسادة عودوهم حتى يصيروا أذناباً والله خير لكم منهم[1].

---

(١) مشكاة الأنوار ص٦٧.

الصورة الثالثة:

التي هي خير دليل على عدم استعداد النفوس لتقبل الأحكام الإلهية التي يطرحها آل محمد والتي تتلخص في فترة إمامة الإمام الرضا بالرغم من أنه لم يقبل ولاية العهد واشتراطه على المأمون أن ليس له إلّا العنوان وما هي إلّا ولاية عهد (فخرية)، ومع هذا فقد اجتمع الوجهاء من بني العباس وغيرهم عند المأمون منكرين عليه فعله هذا ويطالبونه بإصرار شديد أن لا يكون سبباً لعودة ولاية العلويين.

خلاصة القول

إن إقامة الدولة قبل ظهور دولة الحق يولد التصادم مع الواقع ويكشف أن أحكام آل محمد مجرد دساتير نقرأها على الورق، لفقد المترجم العملي والفعلي لها على أرض الواقع وكل من يدعي تلك الترجمة ويعدّ نفسه منها ومن أهلها يكشف في خلال الممارسة انه ليس منها أو من أهلها وكان مدعاه ذريعة للوصول إلى مبتغاه هذا من جهة التفعيل وأما من جهة الاستعداد فإنّ العالم بأسره يتحد بصلابة ويقف بشدة حيال الإسلام ومبادئه وقيمه الحقة فما أن تتفعل حتى تكشف عن باطلهم وتبرز صور أقرانهم فيكونون سبباً في فضيحة شيطانهم وهذا مما تأباه قاعدة الدنيا المبتنية على الوهم والأباطيل.

وَبارِكْ لِلْحُجّاجِ وَالزُّوّارِ فِي الزّادِ وَالنَّفَقَةِ وَاقْضِ ما أَوْجَبْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ

الحج في اللغة: القصد، وهو من الألفاظ المنقولة التي أصبحت حقيقة شرعية بحيث إذا وردت لفظة الحج ينصرف الذهن منها إلى معنى القصد إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك مخصوصة عنده على وجه مخصوص في وقت مخصوص. والحج إما مقتضياً لنفسه أو لغيره، فإنّ كان الأول فهو فرض ونفل والفرض ثلاثة: مطلق ونذر وقضاء فالمطلق حجة الإسلام وعمرته ويجبان في العمر مرة باجتماع تسعة شروط والرجل والمرأة فيها سواء وتنقسم الشروط ثلاثة أقسام فبعضها يؤثر في الوجوب دون الصحة والبعض في الصحة دون الوجوب والبعض فيهما معاً. فالأول سبعة: البلوغ والحرية والصحة ووجود الزاد والراحلة وتخلية السرب وإمكان المسير. والثاني يؤثر في الصحة وهو الإسلام. والثالث كمال العقل لأن المجنون والصبي لا يجب عليهما والكافر لا يصح منه وإن وجب عليه وإذا سقط الوجوب لاختلال أحد هذه الأوصاف لم يسقط الاستحباب إلّا لعذر. والمستحب لا يجزئ عن الواجب.إلى آخر ما ذكره الفقهاء في كتبهم فليرجع من شاء إلى ما زبرته أقلامهم الشريفة هناك.

والعمرة في اللغة: الزيارة، وخصت في الشريعة بزيارة البيت الحرام

لأداء مناسك مخصوصة عنده على وجه مخصوص والتفاصيل التي مرت في الحج جارية فيها أيضاً .

وعلى كل حال فالحج سفر من الأسفار إلى الله تعالى والأسفار كثيرة لا حصر ولا عدّ لها وقيل إنها بعدد أنفاس الخلائق (ومن يقدر على عدّ الخلائق فضلاً عن حصر أصنافها أو أجناسها، سبحان الله رب السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهم ورب العرش العظيم). ولكن هناك أسفار بارزة لتعلق التكليف بها أو ببعضها منها واحد وخمسون سفراً في اليوم والليلة وهو صلاة الفريضة بنوافلها فإنها سفر يومي يتجلى فيه المعبود جل وعلا لعباده. إلى غيرها من الأسفار الزمانية المخصوصة بزمان معين كالصوم والحج .

أما الأسفار التي لا تعلق للتكليف بها وإنما هي طرق لتفعيل الطاعة كزيارة العتبات المقدَّسة في مناسباتها أو في غيرها، وكالتحلي بأخلاق آل محمد والأخذ عنهم حتى يكون صوراً عنهم في الواقع العملي. وهذه المندوبات التي هي أسفار خفية والتي منها إفشاء السلام الذي صار في هذه الأزمان عنوان التكبر والاستنكاف، وحسن الجوار ضعف، والتواد والتراحم منقصة!!؟ وهذه تعد مدرج السفر بل اخص الأسفار.

ثم إن كل فرع من فروع الدين يعد بحد ذاته سفراً لما له من خصوصيات وضوابط وشروط وثمرات. والحج جامع لتلك الفروع ومجسداً لتكاليفها، فهو مجمع الأسفار وقد تعرض له سيدنا المقدَّس السبزواري رَحِمَهُ اللَّهُ في مواهبه وبينه ببيان أهل العرفان وكشف أسرار مناسكه لطلاب الكمال وقد تعرضنا لتوضيح ما ناسب فهمنا وإدراكنا له في موسومنا: (مع المقدَّس السبزواري في قبسات من مواهبه).

ومما ذكرناه: أن في هكذا سفر تتجلى الرحمة الرحيمية والرحمانية،

وعندما شرفنا الله سبحانه وتعالى بالكينونة في بيته الحرام وبالتلبس بتلك المناسك والسفر، فقد تعرفنا عملياً إلى مصاديق ومعاني كلتا الرحمتين ننقل صوراً منها:

- من حين عقد نية القصد لأداء مناسك الحج يحصل للفرد شعور يغاير كل مشاعر قصوده الأخرى ويتجلى هذا عند الإحرام فينتابه شعور غريب وإحساس يعتريه من النشوة والزهو، أما عند الوصول إلى مشارف مكة زادها الله شرفاً يجد نفسه مضطربة الأوصال والدم يموج في عروقه بسرعة خفقان القلب حتى كأنه يسمع منها دويها لبيك اللّهمَّ لبيك لا شريك لك لبيك، أما عند الطواف والسعي فلا أجد عبارات اصف بها الحال.

- رأيت الناس وقت الآذان يتوجهون من كل صوب وحدب على مختلف ألوانهم وصورهم وألسنتهم من شتى بقاع المعمورة ساعين إلى الصلاة يفترشون الجادات والأرصفة ليؤدوا فرضهم، ترى منظراً يرهب القلب فيضطرب وأصوات تقرع في زوايا النفس لتنفعل مع عظمة البيت العتيق، منظر يعكس صورة حية عن صور عرصات القيامة؛ أخذت أتساءل عن المعاني التي ذكرت عن الرحمة الرحيمية والرحمانية، فيا ترى من الداخل تحت ظلها ومن الخارج؟ أهذا الذي أيقظه صوت الآذان من نومه فتوجه نحو الكعبة من دون وضوء؟ أم ذاك الذي يصرف زبائنه ولا يبيعهم لأن الصلاة قد حلّ وقتها فما عليه إلّا أن يذر البيع مقدماً الصلاة على رزقه وكسبه؟ أم ذاك الذي اجتاز حدود البلدان والدول ليطوف بالبيت العتيق وهو لا يعرف شيئاً عن آل محمد الذين هم مفاتح البيت؟

أم هذا الذي جاء يتفحص الخطوات عسى أن يحظى بآثاره ﷺ حين كان يدعو قومه، ويتفحص في الحرم الشريف عن تلك الآثار الشريفة عندما كان ﷺ يقف يصلي وإلى خلفه أمير المؤمنين وجعفر عليهما السلام؟

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: أول جماعة كانت أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصلي وأمير المؤمنين معه إذ مر أبو طالب به وجعفر معه فقال يا بني صل جناح ابن عمك فلما أحس به رسول الله تقدمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول[1]:

إن عليّاً وجعفراً ثقتي ... عند ملم الزمان والكرب

والله لا أخذل النبي ولا ... يخذله من بني ذو حسب

أجعلهما عرضة العدى وإذا ... أترك ميتاً نما إلى حسب

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما ... أخي لأمي من بينهم وأبي

وعن المكان الذي تعرضه فيه ابن الزبعرى وموقف أبي طالب عليه السلام وإهانته القوم:

فعن ابن عباس قال دخل النبي صلى الله عليه وآله الكعبة وافتتح الصلاة فقال أبو جهل من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته فقام ابن الزبعرى وتناول فرثاً ودماً وألقى ذلك عليه فجاء أبو طالب وقد سل سيفه فلما رأوه جعلوا ينهضون فقال والله لئن قام أحد جللته بسيفي ثم قال يابن أخي من الفاعل بك قال هذا عبد الله فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً وألقاه عليه.

وفي رواية متواترة أنه أمر عبيده أن يلقوا السلى عن ظهره ويغسلوه ثم أمرهم أن يأخذوه فيمروا على أسبلة القوم بذلك[2].

أو ذاك الذي ينظر إلى الكعبة المشرفة والى جدارها المنشق لعلي عليه السلام وهو في بطن أمه لتلده محاطاً بجدرانها حتى يعلوها محطماً عنها أصنام قريش.

---

(١) المناقب ج٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٥.

كل هذا وذاك راودني بحثاً عن مكانهم من الرحمتين.

- سمعت أحد الحجاج يقول للآخر - بعد أن تعارفا وانتسب كل منهما إلى أحد البلدان العربية الأفريقية- إني طفت ألف طواف، فأخذ الآخر يتحفه بالتهاني ويبارك توفيقه!! استوقفني ما سمعت وأخذت انظر إليه وصاحبه بحثاً عن مكانهما في الرحمتين وهما على هذا الحال والبعد العقائدي، ولكنه كفاني عناء بحثي ودوار الأسى بقوله لصاحبه (مفتخراً ومبيناً سبب توفيقاته لطوافه الألف): وأنا أمويّ !! فما كان من صاحبه إلّا أن شدَّ عليه بحرارة مفاخراً به وبنسبه!!

- شاهدت في المسجد الحرام امرأة أحدثت طفلتها على ذراعها والظاهر أنها مصابة بالإسهال فسال الغائط من على ثوبها الى أرض المسجد الحرام فأنزلتها إلى الأرض ونزعت شالها ومسحت لطفلتها ثم طوته ومسحت ما وقع على أرض المسجد ولما لم يستوعبه ناولته إلى أخرى كانت بصحبتها ومسحت الأرض بيديها ثم برجلها، نظرت إلى الثانية وإذا بها واضعة الشال المتنجس بيد وفاتحة الأخرى متجهة بهما نحو السماء في حالة دعاء وانقطاع !!

أكتفي بهذا تاركاً لك التصنيف ووضعهم في ما يناسبهم.

ونرجع إلى منهل آل محمد نقتبس منه ما يناسب المقام فقد روي أنه لما رجع مولانا زين العابدين عليه السلام من الحج استقبله الشبلي.

فقال عليه السلام له: حججت يا شبلي؟

قال: نعم يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: أنزلت الميقات وتجردت عن مخيط الثياب واغتسلت؟

قال: نعم.

قال: فحين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية ولبست ثوب الطاعة؟

قال: لا.

قال: فحين تجردت عن مخيط ثيابك نويت أنك تجردت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟

قال: لا.

قال: فحين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟

قال: لا.

قال: فما نزلت الميقات ولا تجردت عن مخيط الثياب ولا اغتسلت؟

ثم قال: تنظفت وأحرمت وعقدت بالحج؟

قال: نعم.

قال: فحين تنظفت وأحرمت وعقدت الحج نويت أنك تنظفت بنورة التوبة الخالصة لله تعالى؟

قال: لا.

قال: فحين أحرمت نويت أنك حرمت على نفسك كل محرم حرمه الله عزّ وجل.

قال: لا.

قال: فحين عقدت الحج نويت أنك قد حللت كل عقد لغير الله؟

قال: لا.

قال له عليه السلام: ما تنظفت ولا أحرمت ولا عقدت الحج؟

قال له: أدخلت الميقات وصليت ركعتي الإحرام ولبيت؟

قال: نعم.

قال: فحين دخلت الميقات نويت أنك بنية الزيارة؟

قال: لا.

قال: فحين صليت الركعتين نويت أنك تقربت إلى الله بخير الأعمال من الصلاة وأكبر حسنات العباد؟

قال: لا.

قال: فحين لبيت نويت أنك نطقت لله سبحانه بكل طاعة وصمت عن كل معصية؟

قال: لا.

قال له: ما دخلت الميقات ولا صليت ولا لبيت؟

ثم قال له: أدخلت الحرم ورأيت الكعبة وصليت؟

قال: نعم.

قال: فحين دخلت الحرم نويت أنك حرمت على نفسك كل غيبة تستغيبها المسلمين من أهل ملة الإسلام؟

قال: لا.

قال: فحين وصلت مكة نويت بقلبك أنك قصدت الله؟

قال: لا.

قال عليه السلام: فما دخلت الحرم ولا رأيت الكعبة ولا صليت؟

ثم قال: طفت بالبيت ومسست الأركان وسعيت؟

قال: نعم.

قال عليه السلام: فحين سعيت نويت أنك هربت إلى الله وعرف منك ذلك علام الغيوب؟

قال لا.

قال: فما طفت بالبيت ولا مسست الأركان ولا سعيت؟

ثم قال له: صافحت الحجر ووقفت بمقام إبراهيم عليه السلام وصليت به ركعتين؟

قال: نعم فصاح عليه السلام صيحة كاد يفارق الدنيا.

ثم قال: آه آه.

ثم قال عليه السلام: من صافح الحجر الأسود فقد صافح الله تعالى فانظر يا مسكين لا تضيع أجر ما عظم حرمته وتنقض المصافحة بالمخالفة وقبض الحرام نظير أهل الآثام.

ثم قال عليه السلام: نويت حين وقفت عند مقام إبراهيم عليه السلام أنك وقفت على كل طاعة وتخلفت عن كل معصية؟

قال: لا.

قال: فحين صليت فيه ركعتين نويت أنك صليت بصلاة إبراهيم عليه السلام وأرغمت بصلاتك أنف الشيطان؟

قال لا.

قال له: فما صافحت الحجر الأسود ولا وقفت عند المقام ولا صليت فيه ركعتين؟

ثم قال عليه السلام له: أشرفت على بئر زمزم وشربت من مائها.

قال: نعم.

قال: نويت أنك أشرفت على الطاعة وغضضت طرفك عن المعصية؟

قال: لا.

قال عليه السلام: فما أشرفت عليها ولا شربت من مائها؟

ثم قال له عليه السلام: أسعيت بين الصفا والمروّة ومشيت وترددت بينهما؟

قال: نعم.

قال له: نويت أنك بين الرجاء والخوف؟

قال: لا.

قال: فما سعيت ولا مشيت ولا ترددت بين الصفا والمروّة؟

ثم قال: أخرجت إلى منى؟

قال: نعم.

قال: نويت أنك آمنت الناس من لسانك وقلبك ويدك؟

قال: لا.

قال: فما خرجت إلى منى؟

ثم قال له: أوقفت الوقفة بعرفة وطلعت جبل الرحمة وعرفت وادي نمرة ودعوت الله سبحانه عند الميل والجمرات؟

قال: نعم.

قال: هل عرفت بموقفك بعرفة معرفة الله سبحانه أمر المعارف والعلوم وعرفت قبض الله على صحيفتك واطلاعه على سريرتك وقلبك؟

قال: لا.

قال: نويت بطلوعك جبل الرحمة أن الله يرحم كل مؤمن ومؤمنة ويتولى كل مسلم ومسلمة؟

قال: لا.

قال: فنويت عند نمرة أنك لا تأمر حتى تأتمر ولا تزجر حتى تنزجر؟

قال: لا.

قال: فعندما وقفت عند العلم والنمرات نويت أنها شاهد لك على الطاعات حافظة لك مع الحفظة بأمر رب السماوات؟

قال: لا.

قال: فما وقفت بعرفة ولا طلعت جبل الرحمة ولا عرفت نمرة ولا دعوت ولا وقفت عند النمرات؟

ثم قال: مررت بين العلمين وصليت قبل مرورك ركعتين ومشيت بمزدلفة ولقطت فيها الحصى ومررت بالمشعر الحرام؟

قال: نعم.

قال: فحين صليت ركعتين نويت أنها صلاة شكر في ليلة عشر تنفي كل عسر وتيسر كل يسر؟

قال: لا.

قال: فعندما مشيت بين العلمين ولم تعدل عنهما يميناً وشمالاً نويت أن لا تعدل عن دين الحق يميناً وشمالاً لا بقلبك ولا بلسانك ولا بجوارحك؟

قال: لا.

قال: فعندما مشيت بمزدلفة ولقطت منها الحصى نويت أنك رفعت عنك كل معصية وجهل وثبت كل علم وعمل؟

قال: لا.

قال: فعندما مررت بالمشعر الحرام نويت أنك أشعرت قلبك إشعار أهل التقوى والخوف لله عزّ وجل؟

قال: لا.

قال: فما مررت بالعلمين ولا صليت ركعتين ولا مشيت بالمزدلفة ولا رفعت منها الحصى ولا مررت بالمشعر الحرام؟

ثم قال له: وصلت منى ورميت الجمرة وحلقت رأسك وذبحت هديك وصليت في مسجد الخيف ورجعت إلى مكة وطفت طواف الإفاضة؟

قال: نعم.

قال: فنويت عندما وصلت منى ورميت الجمار أنك بلغت إلى مطلبك وقد قضى ربك لك كل حاجتك؟

قال: لا.

قال: فعندما رميت الجمار نويت أنك رميت عدوك إبليس وغضبته بتمام حجك النفيس؟

قال: لا.

قال: فعندما حلقت رأسك نويت أنك تطهرت من الأدناس ومن تبعة بني آدم وخرجت من الذنوب كما ولدتك أمك؟

قال: لا.

قال: فعندما صليت في مسجد الخيف نويت أنك لا تخاف إلّا الله عزّ وجل وذنبك ولا ترجو إلّا رحمة الله تعالى؟

قال: لا.

قال: فعندما ذبحت هديك نويت أنك ذبحت حنجرة الطمع بما تمسكت به من حقيقة الورع وأنك اتبعت سنةَ إبراهيم عليه السلام بذبح ولده وثمرة فؤاده وريحان قلبه وحاجه سنته لمن بعده وقربه إلى الله تعالى لمن خلفه؟

قال: لا.

قال: فعندما رجعت إلى مكة وطفت طواف الإفاضة نويت أنك أفضت من رحمة الله تعالى ورجعت إلى طاعته وتمسكت بودِّه وأديت فرائضه وتقربت إلى الله تعالى؟

قال: لا.

قال له زين العابدين عليه السلام: فما وصلت منى ولا رميت الجمار ولا حلقت رأسك ولا أديت نسكك ولا صليت في مسجد الخيف ولا طفت طواف الإفاضة ولا تقربت ارجع فإنك لم تحج فطفق الشبلي يبكي على ما فرطه في حجه وما زال يتعلم حتى حج من قابل بمعرفة ويقين.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: الحجاج يصدرون على ثلاثة أصناف: صنف يعتق من النار وصنف يخرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه وصنف يحفظ في أهله وماله فذاك أدنى ما يرجع به الحاج[1].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن المزدلفة أكثر بلاد الله هواماً فإذا كانت ليلة

---

(١) الكافي ٤/ ٢٥٣.

التروية نادى مناد من عند الله يا معشر الهوام ارحلن عن وفد الله قال فتخرج في الجبال فتسعها حيث لا ترى فإذا انصرف الحاج عادت[١].

عن الصادق عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: حجوا واعتمروا تصح أبدانكم وتتسع أرزاقكم وتكفون مؤونات عيالكم وقال الحاج: مغفور له وموجوب له الجنة ومستأنف له العمل ومحفوظ في أهله وماله[٢].

عن أبي بصير قال سمعت أباعبد الله الصادق عليه السلام يقول: ضمان الحاج والمعتمر على الله إن أبقاه بلغه أهله وإن أماته أدخله الجنة[٣].

عن سعد الإسكاف قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الحاج إذا أخذ في جهازه لم يخط خطوة في شيء من جهازه إلّا كتب الله عزّ وجل له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات حتى يفرغ من جهازه متى ما فرغ فإذا استقبلت به راحلته لم تضع خفّاً ولم ترفعه إلّا كتب الله عزّ وجل له مثل ذلك حتى يقضي نسكه فإذا قضى نسكه غفر الله له ذنوبه وكان ذا الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول أربعة أشهر تكتب له الحسنات ولا تكتب عليه السيئات إلّا أن يأتي بموجبة فإذا مضت الأربعة الأشهر خلط بالناس[٤].

عن الصادق عليه السلام قال: الحاج والمعتمر وفد الله إن سألوه أعطاهم وإن دعوه أجابهم وإن شفعوا شفعهم وإن سكتوا ابتدأهم ويعوضون بالدرهم ألف ألف درهم[٥].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الحاج والمعتمر في ضمان الله فإن مات متوجهاً غفر الله له ذنوبه وإن مات محرماً بعثه الله ملبياً وإن مات بأحد الحرمين بعثه الله من الآمنين وإن مات منصرفاً غفر الله له جميع ذنوبه[1].

وعنه عليه السلام قال: إن أدنى ما يرجع به الحاج الذي لا يقبل منه أن يحفظ في أهله وماله قال فقلت بأي شيء يحفظ فيهم؟ قال لا يحدث فيهم إلّا ما كان يحدث فيهم وهو مقيم معهم[2].

عنه عليه السلام قال: لو يعلم الحاج ما له من الحملان ما غال أحد ببعير[3].

وروي أن الحاج إذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه[4].

والحاج إذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه[5].

والحاج إذا وقف بالمشعر خرج من ذنوبه[6].

وقال عليه السلام: الحاج إذا رمى الجمار خرج من ذنوبه[7].

وروي أن الحاج من حين يخرج من منزله حتى يرجع بمنزلة الطائف بالكعبة[8].

عن الصادق عليه السلام قال: الحاج لا يملق أبداً قلت وما الإملاق؟ قال الإفلاس ثم قال ولاتقتلوا أولادكم من إملاق[9].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الكافي ٦/ ٥٤٢.
(٤) الفقيه٢/ ٢١٠.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.
(٧) المصدر السابق.
(٨) المصدر السابق.
(٩) تفسير العياشي ٢/ ٢٨٩.

عنه عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام في حديث له إذا ذبح الحاج كان فداؤه من النار[1].

وعنه عليه السلام قال: الحاج إذا دخل مكة وكل الله به ملكين يحفظان عليه طوافه وصلاته وسعيه فإذا وقف بعرفة ضرباً على منكبه الأيمن ثم قالا أما ما مضى فقد كفيته فانظر كيف تكون فيما تستقبل[2].

وروي أنه ما تقرب عبد إلى الله عزّ وجل بشيء أحب إليه من المشي إلى بيته الحرام على القدمين وإن الحجة الواحدة تعدل سبعين حجة ومن مشى عن جمله كتب الله له ثواب ما بين مشيه وركوبه والحاج إذا انقطع شسع نعله كتب الله له ثواب ما بين مشيه حافياً إلى متنعل[3].

وروي أن الحاج والمعتمر يرجعان كمولودين مات أحدهما طفلاً لا ذنب له وعاش الآخر ما عاش معصوماً[4].

والحاج على ثلاثة أصناف فأفضلهم نصيباً رجل يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووقاه الله عذاب القبر وأما الذي يليه فرجل غفر له ذنبه ما تقدم منه ويستأنف العمل فيما بقي من عمره وأما الذي يليه فرجل يحفظ في أهله وماله[5].

وقال أبو جعفر عليه السلام: وقروا الحاج والمعتمرين فإن ذلك واجب عليكم[6].

---

(١) المحاسن١/ ٦٧.
(٢) ثواب الأعمال ص٤٧.
(٣) الفقيه ٢/ ٢١٨.
(٤) مجموعة ورام٢/ ٩.
(٥) الفقيه٢/ ٢٢٦.
(٦) المصدر السابق.

وقال عليه السلام: بادروا بالسلام على الحاج والمعتمرين ومصافحتهم من قبل أن تخالطهم الذنوب[1].

- عن محمد بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي على الناس زمان يكون فيه حج الملوك نزهة وحج الأغنياء تجارة وحج المساكين مسألة[2].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الحاج لا يزال عليه نور الحج ما لم يلم بذنب[3].

وعنه عليه السلام قال: إن الله عزّ وجل ليغفر للحاج ولأهل بيت الحاج ولعشيرة الحاج ولمن يستغفر له الحاج بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر[4].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان أنزلت صكاك الحاج وكتب الآجال والأرزاق واطلع الله إلى خلقه فغفر لكل مؤمن ما خلا شارب مسكر ولا صارم رحم مؤمنة ماسة[5].

عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: إن الملائكة يقفون على طريق مكة يتلقون الحاج فيسلمون على أهل المحامل ويصافحون أصحاب الرواحل ويعتنقون المشاة اعتناقاً[6].

عن مالك بن دينار: رأيت في مودع الحج امرأة ضعيفة على دابة نحيفة والناس ينصحونها لتنكص فلما توسطنا البادية كلت دابتها فعذلتها في إتيانها

---

(١) المصدر السابق.
(٢) التهذيب٥/ ٤٦٢.
(٣) الكافي٤/ ٢٥٥.
(٤) ثواب الأعمال ص٤٦.
(٥) البحار٩٥/ ١٤٣.
(٦) مستدرك٨/ ٣٠.

فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: لا في بيتي تركتني ولا إلى بيتك حملتني فوعزتك وجلالك لو فعل بي هذا غيرك لما شكوته إلّا إليك فإذا شخص أتاها من الفيفاء وفي يده زمام ناقة فقال لها اركبي فركبت وسارت الناقة كالبرق الخاطف فلما بلغت المطاف رأيتها تطوف فحلفتها من أنت؟ فقالت: أنا شهرة بنت مسكة بنت فضة خادمة الزهراء[1].

وعن حنان بن سدير قال: كنت أنا وأبي وأبو حمزة الثمالي وعبد الرحيم القصير وزياد الأحلام فدخلنا على أبي جعفر عليه السلام فرأى زياداً قد تسلخ جلده فقال له من أين أحرمت؟

قال: من الكوفة.

قال: ولم أحرمت الكوفة؟

فقال: بلغني عن بعضكم أنه قال: ما بعُد من الإحرام فهو أعظم للأجر؟

قال: ما بلغك هذا إلّا كذاب؟

ثم قال لأبي حمزة: من أين أحرمت؟

قال: من الربذة.

قال: ولِمَ ذلك لأنك سمعت أن قبر أبي ذر بها فأحببت أن لا تجوزه؟

ثم قال لأبي ولعبد الرحيم: من أين أحرمتما؟

فقالا من العقيق؟

فقال: أصبتما الرخصة واتبعتما السُّنة ولا يعرض لي بابان كلاهما حلال إلّا أخذت باليسير وذلك أن الله يسير يحب اليسير ويعطي على اليسير ما لا يعطي على العنيف[2].

---

(١) المناقب٣/ ٣٣٨.

(٢) من مستطرفات السرائر.

بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ

سأل كميل بن زياد النخعي وكان من حواري أمير المؤمنين عليه السلام الامام علي بن أبي طالب عليه السلام قائلاً: ما الحقيقة؟

فقال عليه السلام: ما لك والحقيقة يا كميل؟

فقال: أو لست صاحب سرك؟

قال عليه السلام: بلى ولكن يَرشحُ عليك ما طفح مني.

فقال: أو مثلك يخيب سائلاً؟!

فقال عليه السلام: الحقيقة كشف سُبحات الجلال من غير إشارة.

فقال: زدني بياناً.

فقال عليه السلام: محو الموهوم وصحو المعلوم.

فقال: زدني بياناً.

فقال عليه السلام: هتك السّتر وغلبة السّر.

فقال: زدني بياناً.

فقال عليه السلام: نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره.

فقال: زدني بياناً.

فقال عليه السلام: اطف السراج فقد طلع الصبح[1].

بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين

كل ما عند الإنسان فضلاً عن باقي المخلوقات هو من فضل لطفه تبارك وتعالى، لأنّ الإنسان تحيطه الخطيئة وتطوقه فتشوب له حتى فعاله الحسنة وتدفع به طاردة إياه خارج مدار الإحسان. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾[2].

ومن الحقائق الثابتة أيضاً أن الإنسان لا يتم له الوصول إلى الكمالات الواردة في الدعاء المزبور ولا فهم معانيه وإدراك مضامينه إلّا بالرحمة الإلهية التي هي عنوان التخطي والعبور والارتقاء. فإن الفضل الذي منَّ به على عباده أسدل الستار عن كل ما يوجب البعد عن الرحمة والقرب من السخط والنقمة نعوذ بوجهه الكريم من أن نضل أو نضل، فإنّ الإنسان مغرور سرعان ما ينخدع بأدنى عمل أو تسوف له نفسه ويخدعه الشيطان بحسن الفعال، وهذا من أشدّ حالات الفرد صعوبة وتعقيداً وهو عين الجهل المركب. فلو دققنا في حقائق الأحوال فلا حسن فعال عند الإنسان أمام فعاله تعالى بل أين محض الخطيئة من محض الخير؟ قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾[3]، سواء أكان كفران توحيد أم كفران نعم. ولهذا لم ينل ما عنده باستحقاق، جاء في دعاء كل يوم من شهر رجب: (يا من يعطي من سأله يا من يعطي من لم يسأله تحنناً منه ورحمة)[4].

---

(١) الأسرار العلوية البحث الرابع ص١٢٧ عن منبع الأنوار وشرح الأسماء للسبزواري.

(٢) النور: ١٤.

(٣) عبس: ١٧.

(٤) مفاتيح الجنان.

عن رسول الله عليه السلام: إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا له لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً.

عنه صلى الله عليه وآله: تعرضوا لرحمة الله بما أمركم من طاعته.

عن علي عليه السلام: رحم الله امرئ عرف قدره ولم يتعد طوره.

عنه عليه السلام: من لم يرحم الناس منعه الله رحمته.

عن رسول الله عليه السلام: لما قال له رجل: أحب أن يرحمني ربي قال: ارحم خلق الله يرحمك الله.

الإمام علي عليه السلام: يا أصبغ لئن ثبتت قدمك وتمت ولايتك وانبسطت يدك فالله ارحم بك من نفسك.

الإمام الكاظم عليه السلام: ما ظنك بالرؤوف الرحيم الذي يتودد إلى من يؤذيه بأوليائه، فكيف بمن يؤذى فيه، وما ظنك بالتواب الرحيم الذي يتوب على من يعاديه، فكيف بمن يرتضاه ويختار عداوة الخلق فيه.

الإمام زين العابدين عليه السلام: لما قيل له إن الحسن البصري قال: ليس العجب ممن هلك كيف هلك وإنما العجب ممن نجا كيف نجا !أنا أقول ليس العجب ممن نجا كيف نجا، وإنما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله!!

وعنه عليه السلام: لا يهلك مؤمن بين ثلاث خصال: شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وشفاعة رسول الله وسعة رحمة الله عزَّ وجلَّ.

عنه عليه السلام: ما خلق الله من شيء إلّا وقد خلق له ما يغلبه، وخلق رحمته تغلب غضبه.

عن أمير المؤمنين عليه السلام : ابلغ ما تستدر به الرحمة أن تضمر لجميع الناس الرحمة.

الإمام الباقر عليه السلام : تعرض للرحمة بحسن المراجعة واستعن على حسن المراجعة بخالص الدعاء والمناجاة في الظلم.

المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- الأربعون حديثاً السيد روح الله الخميني - دار التعارف للمطبوعات.

٣- الإنفاق في سبيل الله عز الدين بحر العلوم مطبعة العاني - بغداد.

٤- إرشاد القلوب، الحسن بن أبي الحسن الديلمي، جزآن في مجلد واحد، دار الشريف الرضي للنشر، ١٤١٢.

٥- الإرشاد، الشيخ المفيد، جزآن في مجلد واحد، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد - قم، ١٤١٣.

٦- الأجوبة المسكتة ودورها النضالي في التاريخ العربي، علي عبد عيدان الخزاعي مطبعة الآداب - النجف الأشرف.

٧- أمالي الطوسي، الشيخ الطوسي، في جزء واحد، دار الثقافة للنشر - قم، ١٤١٤.

٨- أمالي الصدوق، الشيخ الصدوق، في جزء واحد، المكتبة الإسلامية.

٩- أمالي المفيد، الشيخ المفيد، في جزء واحد، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد - قم، ١٤١٣.

١٠- الإشارات.

١١- أعلام الدين، الحسن بن أبي الحسن الديلمي، في جزء واحد، مؤسسة آل البيت (ع) - قم، ١٤٠٨.

١٢- الاختصاص، الشيخ المفيد، في جزء واحد، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد - قم، ١٤١٣.

١٣- إقبال الأعمال، السيد علي بن طاوس الحلي، في جزء واحد، دار الكتب الإسلامية - طهران، ١٣٦٧.

١٤- بشارة المصطفى، عماد الدين الطبري، في جزء واحد، المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف.

١٥- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، ١٠ أجزاء في مجلد واحد، مكتبة آية الله المرعشي - قم، ١٤٠٤.

١٦- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ١١٠ أجزاء، مؤسسة الوفاء، بيروت لبنان، ١٤٠٤.

١٧- بلاغات النساء، ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، في جزء واحد، دار الشريف الرضي - قم.

١٨- الجعفريات (الأشعثيات)، محمد بن محمد الأشعث الكوفي، في جزء واحد، مكتبة نينوى الحديثة - طهران.

١٩- جلاء الكروب في شرح حكمة القلوب الشيخ عبد الصاحب جابر طاهر المظفر ج١ مطبعة الآداب النجف الأشرف.

٢٠- جامع الأخبار، تاج الدين الشعيري، في جزء واحد، دار الرضي للنشر - قم، ١٤٠٥.

٢١- جامع السعادات للنراقي ط٤ منشورات جامعة النجف الدينية.

٢١- دعائم الإسلام، نعمان بن محمد التميمي المغربي، جزآن، المعارف - مصر.

٢٢- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الرابعة.

٢٣- الكافي، ثقة الإسلام الكليني، ٨ أجزاء، دار الكتب الإسلامية طهران التهذيب، الشيخ الطوسي، ١٠ أجزاء، دار الكتب الإسلامية - طهران، ١٣٦٥.

٢٤- كنز الفوائد أبو الفتح الكراجكي، حجري مكتبة مصطفوي، قم.

٢٥- كنز العمال.

٢٦- كشف الغمة علي بن عيسى الإربلي، جزآن، مكتبة بني هاشمي تبريز، ١٣٨١.

٢٧- لسان العرب.

٢٨- مستدرك الوسائل، المحدث النوري، ١٨ جزءاً، مؤسسة آل البيت قم، ١٤٠٨.

٢٩- مشكاة الأنوار، علي بن الحسن الطبرسي، في جزء واحد، المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٨٥.

٣٠- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، في جزء واحد، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤٠٣.

٣١- من لا يحضره الفقيه الشيخ الصدوق، ٤ أجزاء، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤١٣.

٣٢- محاسبة النفس، السيد علي بن طاوس الحلي، في جزء واحد، دار المرتضوي للنشر.

٣٣- مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، في جزء واحد، مؤسسة فقه الشيعة - بيروت، ١٤١١.

٣٤- مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس، جزآن في مجلد واحد، مكتبة الفقيه - قم.

٣٥- مجمع البحرين.

٣٦- معجم ألفاظ القرآن.

٣٧- معدن الجواهر، أبو الفتح الكراجكي، في جزء واحد، المكتبة المرتضوية - طهران، ١٣٩٤.

٣٨- منية المريد، الشهيد الثاني، في جزء واحد، منشورات مكتبة أمير.

المؤمنين العامة في النجف الأشرف اعداد وتحقيق علي جهاد الحساني.

٣٩- مستطرفات السرائر، محمد بن إدريس الحلي، في جزء واحد، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤١١.

٤٠- مصباح الشريعة، الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في جزء واحد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٠.

٤١- المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي نشر دار الكتب الإسلامية قم.

٤٢- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري ﷺ، مطبعة الآداب النجف الأشرف.

٤٣- مجمع البيان في تفسير القرآن.

٤٤- مفاتيح الجنان الشيخ عباس القمي دار التعارف للمطبوعات، بيروت الطبعة الثالثة.

٤٥- مناقب آل أبي طالب، محمد بن شهر آشوب المازندراني، مؤسسة العلامة للنشر - قم، ١٣٧٩.

٤٦- مكارم الأخلاق، الحسن بن الفضل الطبرسي، في جزء واحد، دار الشريف الرضي - قم، ١٤١٢.

٤٧- نهج البلاغة لمحمد عبده دار الأندلس، بيروت الطبعة الخامسة.

٤٨- النوادر للراوندي، السيد فضل الله الراوندي، في جزء واحد، مؤسسة دار الكتاب - قم.

٤٩- سعد السعود، السيد علي بن طاوس الحلي، في جزء واحد، دار الذخائر - قم.

٥٠- علي من المهد إلى اللحد السيد محمد كاظم القزويني ط٧ دار إحياء التراث العربي.

٥١- عوالي اللآلي لابن أبي جمهور الأحسائي، ٤ أجزاء، دار سيد الشهداء - قم، ١٤٠٥.

٥٢- عدة الداعي أحمد بن فهد الحلي، في جزء واحد، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٠٧.

٥٣- كتاب العين.

٥٤- عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، جزآن في مجلد واحد، دار العالم للنشر.

٥٥- علل الشرائع، الشيخ الصدوق، جزآن في مجلد واحد، مكتبة الداوري - قم.

٥٦- العدد القوية، رضي الدين الحلي، في جزء واحد، مكتبة آية اللّه المرعشي - قم، ١٤٠٨.

٥٧- فقه الرضا، الإمام الرضا عليه السلام، في جزء واحد، المؤتمر العالمي للإمام الرضا.

٥٨- الصحيفة السجادية، الإمام علي بن الحسين عليه السلام، في جزء واحد، نشر الهادي - قم، ١٣٧٦.

٥٩- قصص الأنبياء السيد نعمة الله الجزائري، منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت، ط٨.

٦٠- قصص الأنبياء قطب الدين الراوندي، في جزء واحد، مؤسسة البحوث الإسلامية - مشهد، ١٤٠٩.

٦١- روضة الواعظين، محمد بن الحسن الفتال، في جزء واحد، دار الرضي - قم.

٦٢- رجال الكشي، محمد بن عمر الكشي، في جزء واحد، مؤسسة النشر في جامعة مشهد، ١٣٤٨.

٦٣- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ٢٠ جزءاً في ١٠ مجلدات، دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى.

٦٤- تفسير القمي، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، جزآن، دار الكتاب - قم، ١٤٠٤.

٦٥- تفسير الإمام العسكري، منسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام في جزء واحد، مدرسة الإمام المهدي - قم، ١٤٠٩.

٦٦- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، جزآن، المطبعة العلمية - طهران، ١٣٨٠.

٦٧- تفسير فرات فرات بن إبراهيم الكوفي.

٦٨- تحف العقول، الحسن بن شعبة الحراني، في جزء واحد، منشورات مطبعة الأعلمي بيروت.

٦٩- تنبيه الخواطر.

٧٠- الترغيب والترهيب.

٧١- تصحيح الاعتقاد، الشيخ المفيد، في جزء واحد، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد - قم، ١٤١٣.

٧٢- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي دار الكتاب العربي بيروت.

٧٣- ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، في جزء واحد، دار الرضي للنشر - قم، ١٤٠٦.

٧٤- خصائص الأئمة، السيد الرضي، في جزء واحد، المطبعة الحيدرية النجف الأشرف.

٧٥- الخصال، الشيخ الصدوق، جزآن في مجلد واحد، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

٧٦- غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي، في جزء واحد، مكتب الإعلام الإسلامي - قم.

٧٧- الصراط المستقيم، علي بن يونس النباطي البياضي، ٣ أجزاء في مجلد واحد، المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٨٤.

بالإضافة إلى مصادر أخرى ذكرت في محلها.

الفهرس

المقدّمة ٥

نص الدعاء ١٣

من أخبار ذي القرنين ١٥

اللَّهمَّ ارزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية ١٨

ما هو التوفيق ٢٠

التوفيق والخذلان ٢٣

ما يوجب التوفيق ٢٤

في الاستدراج ٢٤

من مواعظ الإمام الحسين(ع) ٢٨

الطاعة ٣٠

طاعة الله وآثارها ٣١

طاعة الرسول وأولي الأمر ٣٢
أفضل الطاعات ٣٤
وصدق النية وعرفان الحرمة ٣٨
صدق النوايا وأثاره في الخارج ٤٠
النية ٤٢
وأكرمنا بالهدى والاستقامة ٤٤
في الاستقامة ٤٧
وسدد ألسنتنا بالصواب والحكمة ٥٠
آثار الصمت ٥٩
واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة ٦٢
للقلب معنيان ٦٢
في العلم ٦٤
قيمة المعرفة ٦٦
وطهر بطوننا من الحرام والشبهة ٦٨
موعظة من زبور داود ٧٧
واكفف أيدينا عن الظلم والسرقة ٧٨

واغضض أبصارنا عن الفجور والخيانة ٨٤
واسدد أسماعنا عن اللغو والغيبة ٩٢
ما هو النطق ٩٤
الغيبة ٩٩
وتفضل على علمائنا بالزهد والنصيحة ١٠٦
وعلى المتعلمين بالجهد والرغبة ١٢٣
وعلى المستمعين بالاتباع والموعظة ١٣٦
وعلى مرضى المسلمين بالشفاء والراحة ١٤٣
وعلى موتاهم بالرأفة والرحمة ١٤٧
وعلى الشباب بالإنابة والتوبة وعلى مشايخنا بالوقار والسكينة ١٥٩
وعلى النساء بالحياء والعفة ١٦٧
في حق المرأة على الزوج ١٧٣
في الحياء ١٧٥
في العفة ١٧٦
وصاياه ﷺ إلى حولاء ١٨٥
مواقف ١٩٣

فاطمة عليها السلام ١٩٣
الزرقاء ١٩٦
أروى بنت الحارث ١٩٨
سودة الهمدانية ٢٠١
الدارمية ٢٠٤
وعلى الأغنياء بالتواضع والسعة ٢٠٧
وعلى الفقراء بالصبر والقناعة ٢١٧
الصبر ٢٢٢
القناعة ٢٢٣
وعلى الغزاة بالنصر والغلبة وعلى الأسراء بالخلاص والراحة ٢٢٧
الجهاد الأصغر والفتوحات الإسلامية ٢٢٨
من خفايا الحق ٢٣٥
وعلى الأمراء بالعدل والشفقة وعلى الرعية بالإنصاف وحسن السيرة ٢٤٢
تتميم ٢٥٤
صورة ثانية ٢٥٨
الصورة الثالثة ٢٥٩

خلاصة القول ٢٥٩
وبارك للحجاج في الزاد والنفقة ٢٦٠
بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين ٢٧٧
المصادر ٢٨١
الفهرس ٢٨٩

هذا الكتاب

قبس من نور الإيمان. . . . .وشعاع من شمس الولاية. . . . . وضياء في طريق الحق. . . . . وعروج إلى سماء الفضيلة. . . . . إنه عبق. . . . . وشذًى من أريج إكليل العلم والمعرفة. . . . . ونغمات قدسية من وحي الحقيقة. . . . . ووسيلة لامتصاص رحيق الهدى. . . . . ونثر من البشرى لظهور المُغَيَّب «عجل الله فرجه». . . . .

إنه غيض من فيض

سدّد الله مؤلفه

محمد موسى الغبان

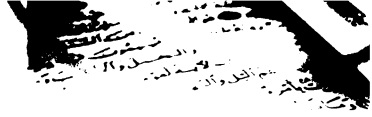

تجليات من سماء الغيبة

هذا الكتاب

قبس من نور الإيمان وشعاع من شمس الولاية وضياء في طريق الحق وعروج إلى سماء الفضيلة، إنّه عبق وشذى من أريج إكليل العلم والمعرفة ونفحات قدسية من وحي الحقيقة ووسيلة لامتصاص زحيق الهدى ونثر من البشرى لظهور المغيّب (عجّل الله فرجه).

الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com